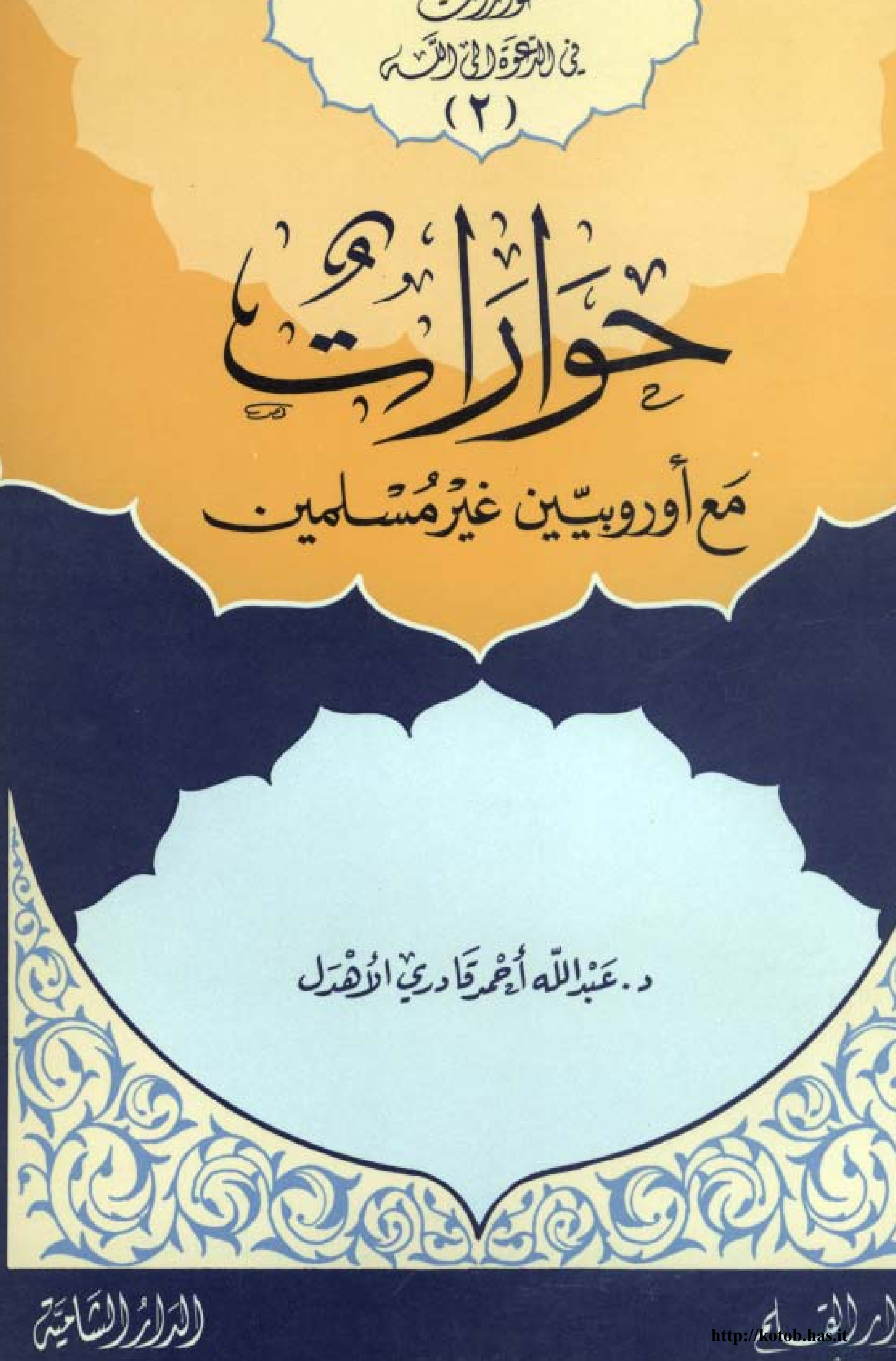

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾(٣).

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾(٤).

«اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطوِ عنا بُعدَه، اللهم أنت الصاحب في السفر

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٤) سورة الزخرف الآية: ١٤.

http://kotob.has.it

والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعَثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل»[1].

أما بعد، فإن من المعلوم أن لكل أمة غاية تسعى إلى تحقيقها وهدفاً تتعاون وتتسابق للوصول إليه، فتجند لتلك الغاية وذلك الهدف كل أفرادها، تعد له المناهج تعليماً وتربية وإعلاماً، وتخطط له سياسة واقتصاداً وقتالاً، يكون هو محور نشاطها وقطب رحى حركاتها وسكناتها من أجله يقدح القادة عقولهم قدحاً، ويكدح الأتباع أنفسهم إليه كدحاً، ولا تخلو غايات الأمم وأفرادها كلها منذ أن أوجد الله الخليقة إلى يوم الدين من إحدى غايتين:

غاية ترفع إليها الأبصار ويسمو إليها ذوو الهمم الكبار الذين لا ترضى نفوسهم بما دونها ولا يسلكون في دنياهم طريقاً لا يؤدي إلى مستقرها وعرينها، يستسهلون للوصول إليها الصعاب ولو كانت أسفاراً كلها قطع من عذاب، لأنهم قد علموا أن في الوصول إلى تلك الغاية كل السعادة، وهي لا تحصل بدون عزم وتوفيق وتعب وإرادة، كما تيقنوا أن في الحرمان منها ضنكاً وشقاء على الدوام لا يستحقهما في الدنيا والآخرة إلا الكسالى اللئام.

هذه الغاية هي رضا الحي القيوم الذي لا تأخذه سِنَة ولا نوم، والطريق المؤدي إليها هي أن يعبده العابدون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]. عبادة تشمل الحركة والسكون فلا تكون صلاة العابد ونسكه وموته وحياته إلا لرب العالمين: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

وغاية هي تحت الأقدام في أسفل الدركات وتهبط إليها نفوس الأراذل الهالكات، ولو نالت بذلك الخسران المبين في الدنيا الفانية ويوم الدين، نفوس

---

(١) انظر: الكلم الطيب لابن تيمية، تخريج عبد القادر الأرناؤوط ص ١٠٧، الطبعة الثالثة. والحديث في مسلم.

(٢) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

(٣) سورة الأنعام الآيتان: (٦٢، ٦٣).

http://kotob.has.it

تستثيرها متع الحياة وتستعبدها ملذاتها فلا ترى في مسعاها إلا بريقها وخيالاتها، وتنسى الغاية التي يجب أن يشمّر إليها المشمّرون تشميراً، وبذلك كان صاحب الغاية الأولى مسروراً وصلي صاحب الغاية الثانية سعيراً، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحَاً فَمُلَاقِيهِ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيرَاً وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورَاً وَيَصْلَى سَعِيراً إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرَاً﴾(١).

وإذا كانت تلك الغاية العليا هي مطلب الأمة الإسلامية وأفرادها، فإن نشاط المسلم في مقامه وسفره يجب أن يكون لتحقيق تلك الغاية، وهي رضا الله تعالى بعبادته الشاملة لأداء الشعائر الإسلامية المفروضة عيناً، أو كفاية، والقيام بكل ما ينفع الإسلام والمسلمين.

وإني لأرجو من الله تعالى أن تكون أسفاري الكثيرة التي جلت فيها في العالم شرقاً وغرباً نائلة منه التوفيق لتكون محققة لتلك الغاية، وأن يجعل كل تنقلاتي وتحركاتي خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعني بما أجهدت نفسي في عمله وتسجيله مما يتعلق بأحوال المسلمين والدعوة إلى الله في صفوفهم وصفوف غيرهم، وينفع به من يريد الإسهام في الدعوة إلى الله بالبلاغ أو المال أو الجاه أو الكتابة أو غير ذلك، وأن ينفع به كذلك كل من يحتاج إلى الدعوة والتوجيه من المسلمين وبخاصة أولئك الذين هجروا بلدانهم الإسلامية واستوطنوا غيرها من بلاد الكفر، أو هداهم الله للإسلام في تلك البلدان.

وقد اعتدت في رحلاتي أن أسجل كثيراً من مشاهداتي مما يتعلق بالكون وجماله والأجواء وما أتمكن من معرفته عن البلدان التي أزورها أو ما يحدث لي من انفعالات وعواطف وطيب المسكن أو عدم ملاءمته، والمسافات التي أقطعها بأي وسيلة من وسائل السفر، وبعض المعلومات عن الأشخاص الذين ألتقي بهم

---

(١) سورة الانشقاق الآيات: (٦ ـ ١٥).

http://kotob.has.it

وما يدور بيننا من حوار أو ما يلقى من أحاديث أو محاضرات، وما يوجد من أعمال إيجابية في بعض مراكز الدعوة أو سلبية، وما يعترض الدعوة في المراكز من المشكلات واقتراح حلول لها، وما يحتاج إليه الدعاة من مساعدات مادية أو كتب أو منح دراسية أو دعاة ومدرسين وأئمة، وغير ذلك، هذه الأمور هي التي اعتدت كتابتها في رحلاتي السابقة في المشارق والمغارب.

وقد زدت في هذه الرحلة أموراً أخرى كنت أتوق إليها في أسفاري السابقة ولكني لم أتمكن منها، إما لعدم الإثقال على المرافق وإما لضيق الوقت، وإما لعدم تشجيع المسلمين القائمين بالدعوة في تلك البلدان التي أزورها، ويمكن تلخيص هذه الأمور فيما يلي:

الأمر الأول: الاتصال بمن أمكن من الذين دخلوا في الإسلام من أهل البلد للتعرف على أحوالهم ومعرفة الطريق الذي سلكوه لمعرفة الإسلام والسبب الدافع لهم، وصلتهم بأقاربهم وأصدقائهم غير المسلمين وصلتهم بالمسلمين من غير أهل البلد الأصليين وصلة هؤلاء بهم، وسؤالهم عن أساليب الدعوة النافعة في بلدانهم والموضوعات التي يرون أن طرقها أولى من غيرها في دعوة غير المسلمين في بلادهم، والصفات أو الشروط التي يجب توافرها فيمن يدعو إلى الله في تلك البلدان من وجهة نظرهم، وغير ذلك مما سيطلع عليه القارىء عند قراءته للحوار مع هؤلاء المسلمين.

وتوجد عند هؤلاء المسلمين أسئلة كثيرة يحتاجون إلى الجواب عنها وهي تتعلق بالأحكام من الحلال والحرام أو شبهات لا زالت عالقة بأذهانهم من زمن جاهليتهم ولم يجدوا لها جواباً أو شبهات يوردها عليهم أقاربهم الذين لم يسلموا أو غيرهم.

الأمر الثاني: الاتصال بغير المسلمين من أهل البلد لمحاورتهم عن الإسلام وشرح مبادئه بالأسلوب المناسب ومعرفة ماذا يفهمون عن الإسلام ومصادر فهمهم له، والرد على ما عندهم من شبهات يرمون بها الإسلام. وهم فئات كثيرة من الرجال والنساء، من كبار السن أو الشباب وكلهم مثقفون، إلا

http://kotob.has.it

أنهم يختلفون في مستوى الثقافة والتخصص، منهم من هو رجل كنيسة داعية إلى النصرانية ومخطط للدعوة إليها ومنهم من هو مستشرق من أساتذة الجامعات وأقسام مقارنة الأديان، ومنهم المحامي ومنهم القانوني، ومنهم المدرس العادي، ومنهم الطالب في الدراسات العليا، وغير هؤلاء.

وقد بلغ عدد الذين قابلتهم بصفة مفردة من المسلمين ثلاثة وثلاثين شخصاً، وأضفت إليهم ستة آخرين التقيت بهم في رحلة تالية في عام ١٤٠٨ ـ ١٤٠٩ هـ فوصل عددهم إلى تسعة وثلاثين شخصاً، وأجريت معهم حواراً في أسباب تركهم دينهم ودخولهم في الإسلام وما يتعلق بالدعوة الإسلامية ووسائلها وأسبابها ومستقبل الإسلام في أوروبا وواجب المسلمين في ذلك والإمكانات المتاحة للدعوة والعقبات التي تعترض طريقها.

أما المسلمون الأوروبيون الجُدُد الذين قابلتهم بصفة جماعية، أي جماعات جماعات، فعددهم أكثر من العدد المذكور.

وبلغ عدد الذين قابلتهم من غير المسلمين ثمانية عشر شخصاً وكلهم مثقفون ذوو مؤهلات ما عدا شخصاً واحداً سيمر به القارىء[1].

والهدف من مقابلة المسلمين وغير المسلمين جميعاً هو معرفة ما يدور في أذهانهم عن الإسلام والمسلمين، وإن كان أغلب المسلمين الذين التقيت بهم يودون أن ينتشر الإسلام في أوروبا ويسعد به غيرهم كما سعدوا هم به، ويتمنون أن يجتمع شمل المسلمين وأن تقوم لهم دولة تطبق الإسلام على حقيقته ليرى العالم الآخر ـ الأوروبي وغيره ـ هذا الدين صافياً نقياً من الشوائب التي أدخلت على سلوك المسلمين والشبهات التي أوردها أعداء هذا الدين عليه للتنفير منه وتشويهه، وأن يكون المسلمون قدوة حسنة يدعون الناس إلى الدخول في هذا الدين قبل القول بالعمل الصالح الصادق.

---

(١) أضفت إليهم المستشرق البرتغالي الذي قابلته في رحلة عام ١٤٠٨ ـ ١٤٠٩ هـ، وبه يكون عددهم (١٩) شخصاً.

http://kotob.has.it

والحقيقة أن المسلمين إذا أرادوا للدعوة إلى الله تعالى أن تنتشر في أوروبا فإن عليهم أن يستنصحوا المسلمين الأوروبيين المخلصين الذين هم أدرى بنفسيات أبناء بلدانهم وبالطرق والأساليب النافعة في نشر الدعوة وبالقوانين التي يمكن من خلالها اغتنام الفرص لإقامة المشروعات القريبة والبعيدة لتثبيت هذا الدين في أوروبا وجعله راسخاً في نفوس أبنائه الذين وفدوا إلى أوروبا من خارجها وكذلك في نفوس الداخلين فيه من جديد وأجيالهم القادمة.

فاقتراحات المسلمين الجُدُد من أهل أوروبا التي يمكن أن يؤدى بها الواجب جديرة بالدراسة والاهتمام والمتابعة والتخطيط والتنظيم ثم التنفيذ، مع إضافة آراء دعاة الإسلام من أهل المراكز الإسلامية النشيطة في الدعوة.

وها أنا أقدم للمؤسسات الإسلامية من دعوية وتعليمية وغيرها حواراً مفصلاً مع هؤلاء المسلمين الذين هداهم الله للدخول في الإسلام لتطلع تلك المؤسسات على آراء أولئك المسلمين وما يريدون فعله من العالم الإسلامي للحفاظ على دين الله في نفوس أهله في بلدان أوروبا، وفي سلوكهم العملي عن طريق الكتاب المؤلف أو المترجم، أو الداعية الكفء، أو المدرسة الدائمة الكاملة، أو الوسيلة الإعلامية الممكنة، أو المحاضرة العامة، أو النشرة الصغيرة، أو النادي الرياضي الثقافي الاجتماعي ذي الصبغة الإسلامية، أو المنح الدراسية، أو الدورات العامة أو المتخصصة.

ولعل القادرين من المسلمين بمالهم أو علمهم أو جاههم ونفوذهم السياسي يفيقون من غفوتهم ويهتمون بإخوانهم المسلمين في أوروبا وفي غيرها من العالم فيقوم كل فرد وكل فئة بواجبهم على النحو المطلوب منهم شرعاً، فإن عز المسلمين إنما يكون بإعزاز دينهم وانتشاره في الأرض. وذلهم إنما يكون بانحسار دينهم كذلك، وإذا كانت بعض الجهات تؤدي شيئاً قليلاً مما فرض الله عليها من إقامة دين الله فإنها تثاب على أداء ذلك القليل ولكنها تأثم بترك ما هي قادرة عليه فيما أوجب الله عليها.

أما الجهات الأخرى التي لا تقدم للإسلام شيئاً، بل هي تعاديه وتؤذي

http://kotob.has.it

أهله في بلدانهم وفي مهاجرهم بشتى أساليب الإيذاء فياويلها من غضب الله وأليم جزائه في الدنيا والآخرة.

هذا فيما يتعلق بمقابلات المسلمين ومحاوراتهم.

أما محاورات غير المسلمين فيتضح للقارىء منها ماذا بلغهم عن الإسلام، هل بلغهم على حقيقته أو بلغهم مشوهاً بأساليب منفرة منه؟ وهم بلا شك أصناف، منهم المهتم بالاطلاع على الإسلام ومعرفة أحوال المسلمين القديمة والحديثة، مع القدرة على أخذ ذلك مباشرة من القرآن والسنّة والسيرة النبوية وكتب التاريخ والفقه والعقائد وغيرها، كما هو شأن بعض المستشرقين الذين أجادوا قراءة اللغة العربية والتحدث بها، وهدف غالب هؤلاء هو محاولة التنفير من الإسلام بإبراز بعض المثالب التي يتصيدونها إما من متشابه يأباه محكَم الكتاب والسنّة، وإما من روايات تاريخية واهية السند أو بدون سند، أو من بعض تصرفات المسلمين السيئة، حتى إن بعض هؤلاء المستشرقين لينسبون إلى الإسلام تصرفات أعدائه الذين حاربوه في عقر داره بكل الوسائل الفكرية والإعلامية والتعليمية والعسكرية والاجتماعية والسياسية، ويحاولون أن يخلطوا بين منهج الله وتصرفات أعداء الله.

وهؤلاء المستشرقون هم مراجع ساسة أوروبا ومبشريها في كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، يطلبون منهم إمدادهم بما عندهم من المعلومات ويستنصحونهم في طرق الصد عن دين الله بالطرق الخفية في بلاد المسلمين وفي بلدان أوروبا وغيرها.

وإذا اطلع الإنسان على ما يعتقدون ـ حسب تصريحاتهم ـ في الإسلام يجد أعداء الدين في الشعوب الإسلامية من العلمانيين ملحدين وشيوعيين وقوميين ينهلون من مناهل أولئك المستشرقين بل يجدهم أبواقاً تردد ما يقولونه من الطعن في الإسلام ومحاولة إبعاد الناس عن تطبيقه في حياتهم وأن يكون فقط عقيدة هامدة في النفوس لمن أراد أن يعتقد هذا الدين.

وقد يوجد من هؤلاء المستشرقين من يظن أنه محايد ـ كما يقولون ـ يبرز

http://kotob.has.it

حقائق الإسلام بدون تجنٍّ عليه ولا تشويه في تخصصات مختلفة، ولكنه قلما يسلم من الخطأ الذي وقع فيه من سبقه من المستشرقين بسبب سوء الفهم أو الاعتماد على المراجع الاستشراقية السابقة. ويندر أن تجد مستشرقاً صافي الفكر، اللهم إلا إذا كان مسلماً يكتم إسلامه لأمر ما، وقد وجدت لهذا مثالاً واحداً فقط[١] في رحلتي هذه التي أقدم منها هذين الكتابين.

أما أصناف غير المسلمين الأخرى ـ غير المستشرقين ـ فأغلبهم لا يفهمون الإسلام إلا فهماً مشوهاً مع ثقافاتهم العالية وتخصصاتهم المختلفة، وهم في الغالب إذا أرادوا الاطلاع على مبادىء الإسلام تكون مراجعهم كتب المستشرقين القديمة والحديثة والقليل منهم من يتجه إلى بعض المراكز الإسلامية.

وعلى كل حال فإن الاطلاع على ما عند القوم من أفكار عن الإسلام مهم جداً لمن يريد أن يسهم في الدعوة إلى الله وبخاصة من أراد دعوتهم المباشرة ممن يجيد لغتهم ويفقه الإسلام فإن معرفته لما عندهم تجعله يستعد لهم، سواء في مخاطبتهم أو الكتابة لهم. وكذلك من أراد أن يدعو إلى الله في صفوف المسلمين من أهل أوروبا أو يكتب لهم فإن معرفته بنفسياتهم وأفكارهم تعينه على أداء واجبه.

والذي يريد أن يدعو إلى الله في صفوف قوم لا يعرف عنهم شيئاً أو يريد أن يكتب لهم وهو في منزله بعيداً عن معرفة عاداتهم وأفكارهم سيكون نفعه قليلاً إن لم يكن منعدماً. ولهذا نبه الرسول ﷺ معاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن للدعوة إلى الله على أن القوم الذين سيدعوهم هناك تختلف عقائدهم وأفكارهم وثقافاتهم عن العرب الوثنيين الذين نشأ معاذ بينهم فقال: «إنك تأتي قوماً أهل كتاب . . ».

ولهذا نرى المستعمرين والمبشرين وغيرهم ممن يريدون أن يحققوا أهدافاً معينة في أي بلد من بلدان العالم يقومون بدراسات سابقة لذلك البلد: لغة وعادات وعقائد وأفكار فلا يتركون مجالاً من المجالات الدينية والسياسية

(١) وهو لم يسلم من الأغلاط الفاحشة، ولكن بسبب سوء الفهم، وليس لسوء قصد فيما يغلب على ظني.

http://kotob.has.it

والاجتماعية والثقافية والعسكرية والاقتصادية وغيرها بدون دراسة كاملة من قبل متخصصين في كل مجال، ثم يخططون لأهدافهم وينظمون وينفـذون وهم يعرفون مواطىء أقدامهم أولاً بأول.

ونحن مع الأسف الشديد لا نراعي ذلك في مناهجنا ولا في إعداد دعاتنا ولا في كتاباتنا، ويكفينا أننا نبعث دعاة ـ كما نسميهم ـ إلى الغرب وهم لا يعرفون عن البلد الذي يُبعَثون إليه شيئاً بل قد لا يعرفون لغته، فإذا وصل هناك وجد نفسه شبيهاً ببدوي طلب منه تشغيل مصنع معقد لم يسمع باسمه قبل أن يكلف تشغيله.

وغاية ما يستطيعه هذا الداعية، إن كان مخلصاً في دعوتـه، أن ينزوي بين فئة من المسلمين يفهم لغتها وتفهم لغته فيؤمهم في صلاتهم ويعلم أولادهم شيئاً من مبادىء الإسلام ويبقى فترة طويلة في البلد الأوروبي وكأنه في حارة من حارات بلده.

فإليكم أيها المسلمون القادرون على الإسهام في الدعوة إلى الله أقدم هذين الكتابين:

الكتاب الأول: «**حوارات مع مسلمين أوروبيين**».

والكتاب الثاني: «**حوارات مع أوروبيين غير مسلمين**».

وإني لأرجو الله أن أكون قد أسهمت بما استطعت وكشفت لبني قومي ممن يريدون إقامة هذا الدين ما يكون خفياً على بعضهم من المجالات التي يمكنهم تحقيق ما يصبون إليه فيها، وإن الرائد لا يكذب أهله وأرجو أن أكون رائد خير ودالاً على خير، والدال على الخير كفاعله.

هذا ولا بد هنا من الإشارة إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنني كنت مشتاقاً قبل عقد من الزمن إلى تحقيق مثل هذه المقابلات مع مسلمين من أهل البلدان التي أزورها وقد زرت كثيراً من مشارق الأرض ومغاربها، ولكني لم أتمكن من ذلك لظروف لا داعي لذكرها هنا، وكذلك كنت أرغب في مقابلة غير المسلمين ولم يتيسر لي ما كنت أرغب فيه.

http://kotob.has.it

ولهذا كانت كتاباتي التي سبقت هذه الرحلة تتعلق بالمسلمين الوافدين إلى تلك البلدان من الشعوب الإسلامية ويندر أن تجد فيها لقاء مع غير المسلمين أو مع مسلمين من أهل البلد، وقد بلغت خمسة[1] كتب وسميتها بعنوان: «**في المشارق والمغارب**»، ولم يتيسر طبعها مع أنها كثيرة الفوائد وفيها اقتراحات ومعلومات عن أحوال المسلمين في تلك البلدان.

الأمر الثاني: أن المسلمين الجُدُد يسرهم كثيراً أن يزورهم المسلم القادم من الشعوب الإسلامية، وبخاصة إذا أظهر الاهتمام بآرائهم وسألهم عن مشكلاتهم واقتراحاتهم وقد لمست ذلك منهم في هذه الرحلة.

الأمر الثالث: أن الوصول إلى غير المسلمين والتحاور معهم فيما يتعلق بالأديان وبخاصة الإسلام ممكن وميسر لمن أراد ذلك، وقد كان إخواننا في المراكز الإسلامية في رحلاتي السابقة لا يشجعوننا على الاجتماع بهؤلاء ظناً منهم أنهم لا يرغبون في المناقشات الدينية أو خوفاً أن يتهموا المسلمين المقيمين بينهم بأنهم يحاولون إدخال الناس في دينهم، ولكني بحمد الله عندما أصررت في هذه الرحلة على الاجتماع بهم لم أجد معوقات تحول بيني وبينهم إلا ضيق الوقت أو عدم وجود من يساعدني في الاتصال بهم.

وسيجد القارىء في هذه المحاورات إن شاء الله ما يدل على ما ذكرت.

هذا وقد مهدت في كلا الكتابين بتمهيد يناسبه.

فمهدت للكتاب الأول بذكر نماذج من مسلمين جدد التقيت بهم في بلدانهم في غير الرحلة الأوروبية، ومهدت للكتاب الثاني بذكر نماذج من غير المسلمين التقيت بهم أيضاً في بلدانهم في غير الرحلة الأوروبية.

وهذا هو أوان الشروع في وضع نصوص محاورات الكتاب الثاني بين يدي القارىء.

أسأل الله أن ينفع بذلك ويثيب عليه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

٢٣/ ٢/ ١٤٠٩ هـ د. عبدالله أحمد قادري الأهدل

---

(١) بل هي الآن ثمانية.

http://kotob.has.it

تمهيد

(١)

دعوة زعيم البوذيين في داخل معبده[1]

وعندما دخلنا المدينة أشير إلى معبد بوذي، وعرض علينا الأخ محمد زيارته للاطلاع، فقلت: نحن مسلمون لباسنا ينبىء الناس أننا من الجزيرة العربية وفيها الكعبة بيت الله الذي يتجه إليه ملايين المسلمين لعبادة الله الواحد وأخشى أن يكون في حضورنا إليه ما يدعو بعض الجهال إلى اعتقاد شيء لا يليق، قالوا: فلنقترب لنراه من الخارج ثم نعود، وعندما اقتربنا شاهدنا خارج المعبد رجلاً قاعداً تحت شجرة بجوار المعبد وهو يلبس مثل لباس الإحرام عندنا إلا أن ثيابه تميل إلى الصفرة وهي رقيقة فسألت: من يكون هذا؟ فقالوا: هذا هو السادن المعظم عند البوذيين وهو المسؤول عن المعبد، قلت: يجب إذن أن نبلغه دعوة التوحيد. وعندما نزلنا اتجه هو إلى داخل الدير الذي نصب فيه الوثن فدخلنا بعد أن خلعنا نعالنا ترجيحاً لجانب تبليغ عقيدة لا إله إلا الله وإلا فقد كنت عازماً على الدخول بالنعال.

وعندما دخلنا رأينا المبنى كله قاعة واحدة من الداخل وبجانب الجدار الواقع أمام الداخل ـ أي في أقصى القاعة ـ بنيت دكة مرتفعة من الحجارة وعليها نصب التمثال الذي يرمز لبوذا والناس يدخلون وقد وضعت أمامهم أعواد الند (بخور) وملئت أحواض بتربة، وكان الواحد منهم يشعل النار في عود البخور ثم يتجه إلى الوثن مشيراً إليه برأسه ويديه وفيها البخور ثم يغرز عود البخور في

---

(١) في كوالالمبور، ٢٤/٨/١٤٠٠ هـ.

http://kotob.has.it

التربة وينصرف، وبعضهم يرفع العودين في يديه فوق رأسه مشيراً بهما وبرأسه سواء إلى الوثن.

قلت للرجل مشيراً إليه بيدي ـ أي السادن ـ تعال، فجاء حتى وقف بجواري وعليه علامة الاضطراب عندما رآنا نقف وقوف المستهترين بـإلهه وبعبادته رافعين رؤوسنا نحس بالعزة **وقلت له** ـ وكان يترجم بيني وبينه الأخ عبد الله باهرمز ويساعده محمد أمين ـ: ما سبب عبادتكم لهذا الحجر ومن أين جئتم بأصل هذه العبادة؟ **فقال**: هذه العبادة أصلها من الهند وهي من توجيهات بوذا، **قلت**: ولكن هذا حجر منحوت أعطيتموه صفة الألوهية وعبدتموه من دون الله فلماذا؟ **قال**: لأنه يرمز لبوذا.

قلت: وبوذا هذا إله عندكم أم نبي؟ **قال**: نبي. **قلت**: أنتم إذن تعبدون رمز النبي وليس الخالق. **فقال**: هكذا تعاليم بوذا.

قلت: الأنبياء كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده مباشرة بدون واسطة ونهوا الناس عن عبادة غيره وهذه الأوثان لا تضر ولا تنفع والذي يستحق العبادة هو الله الخالق ونحن ندعوك إلى الإسلام الذي لا يوجد في الأرض دين يرضاه الله سواه. فقال: هذا صحيح ونحن نعتقد أن الإله واحد، وهذه الأوثان ما هي إلا وسائط تقربنا إليه.

فبينت له معنى لا إله إلا الله، وأنها هي السبيل الوحيد للدين الحق وأنه لا تجوز عبادة غير الله بأي شكل من الأشكال، وأن الرسول ﷺ حارب مشركي قريش الذين كانوا يقولون مثلكم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾.

فقال: هذه تعاليم بوذا ـ يعني التي يفعلونها لهذه الأوثان ـ وكان يبدو عليه الخوف والوجل والعجز أمام الحجة، حتى إن ريقه جف ووجهه انتقع. **قلت**: هكذا كان أهل الشرك حجتهم على شركهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾. **قلنا له بعد ذلك**: لقد أقمنا عليك الحجة.

* * *

http://kotob.has.it

(٢)

دعوة زعيم الهندوكيين في سنجاراجا إلى الإسلام[١]

أكد لنا الإخوة المسلمون في جزيرة بالي تسامح الهندوكيين معهم واحترامهم ومساعدتهم مادياً في بعض شؤونهم، كبناء المساجد وترميمها والاحتفالات الدينية، قالوا: وكثير من عامتهم مقتنعون بالإسلام ولكنهم يتمسكون بدينهم تقليداً لمتبوعيهم، ويصرح بعضهم بأنهم إذا دخل زعيمهم في الإسلام فإنهم سيدخلون فيه أيضاً، وأثنَوا على زعيمهم في هذه المدينة بأنه يتعاطف كثيراً مع المسلمين، فطلبت منهم أن يضربوا لنا معه موعداً في هذا اليوم لنلتقي به ونشرح له الإسلام وندعوه إلى التوحيد ونشكره على تعاطفه مع المسلمين.

فرحب بالزيارة عندما بلغوه رغبتنا، وزرناه في الساعة التاسعة صباحاً في مكتبه، وشكرناه على حسن معاملته للمسلمين وأخبرناه بموقف النجاشي من المسلمين عندما هاجروا إلى بلاده من إيذاء قومهم إياهم في بدء الرسالة في مكة وأن الرجل أسلم وحسن إسلامه وصلى الرسول ﷺ عليه صلاة الغائب، وأن ذوي العقول النيرة إذا شرح لهم دين الإسلام تقرّ به عقولهم ويدخلون فيه، وقد كان هذا على مدار تاريخ الإسلام واقعاً، فقد أسلم كثير من أهل الكتابين في القديم والحديث وكذلك الوثنيون في فارس والهند وغيرها.

---

(١) في مدينة سنجاراجا في جزيرة بالي في أندونيسيا ١٦/٩/١٤٠٠ هـ.

http://kotob.has.it

وبيّنا له أننا إنما جئنا إليه طمعاً في أن ينقذه الله تعالى بالإسلام الذي لا يوجد في الأرض دين يرضى الله به غيره، وأن رسالة هذا الدين عالمية يجب على كل الناس الإيمان بها، وأن الحجج والبراهين المقنعة قد قامت على كون هذا الدين هو الحق وما سواه باطل، كما قامت على صحة رسالة الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء، وأن هذا القرآن حق منزل من عند الله تحدى الله به الأنس والجن أن يأتوا بمثله فلم يقدروا على ذلك منذ نزوله إلى يوم القيامة، وأن سبيل الجنة التي يطمع فيها أهل الأديان كلها هو هذا الدين فقط، وأن النجاة من النار لا تكون إلا لأهله، وأن كل جزئية من جزئيات الإسلام تدل على أنه حق، ويكفي أن الأمم التي حاربته قد دخلت فيه، ولا يزال المنصفون من أعداء الإسلام ينطقهم الله بالحجة على أنفسهم.

ولذلك فنحن رغبة في إنقاذكم من النار ودخولكم الجنة أنتم وأتباعكم جئنا ندعوكم إلى الله عزّ وجلّ والدخول في هذا الدين حتى يكون لكم أجركم وأجر أتباعكم ولا تتحملوا وزركم ووزرهم بعدم الدخول في هذا الدين.

وقلت له: إن هذا الرجل - يعني الشيخ عبد القوي - يحفظ القرآن كله وهناك آلاف المسلمين يحفظونه كما أنزله الله لا تحريف فيه ولا يقدر أحد على تحريفه ولو كنت تفهم اللغة العربية وسمعت منه وصف الجنة ونعيم أهلها ووصف النار وعذاب أهلها لطرت شوقاً إلى الأولى بلا إله إلا الله محمد رسول الله، ولهربت خوفاً من الثانية بترك عبادة غير الله تعالى، ونحن نرغب أن تدخلوا في دين الله في أسرع وقت لأن الإنسان لا يدري متى يقتاده الموت إلى قبره والموت على غير الإسلام يورث الحسرة والألم والخلود في النار ونرغب في أن نكون أمة واحدة ندعو إلى الخير ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وكان يظهر السرور بكل ما يسمع.

وأجاب أنه قد قرأ ترجمة معاني القرآن الكريم ووجد أن ما نقوله له موجود في القرآن وأنه يرى أنه حق، وقال: إنني أتابع الأذان وتعجبني ألفاظه، وقال: إننا نأسف لقصر زيارتكم وكنا نود لو تأخرتم عندنا أكثر، فاعتذرنا بارتباطنا وأننا إذا

http://kotob.has.it

جئنا مرة أخرى إلى أندونيسيا سنحاول زيارته ووعدناه ببعث كتب إسلامية إليه مترجمة وغير مترجمة.

وهنا يجب أن نقولها صريحة: إن المؤسسات الإسلامية ـ على الرغم مما تبذله من جهود في سبيل الدعوة إلى الله ـ مقصرة في التخطيط والتنظيم والتنفيذ لهذه الدعوة وأن بعث دعاة حكماء مدربين ملمين بالأديان المقارنة مزودين بالحجج المقنعة مثقفين ثقافة عصرية مع الفقه في الدين يلتقون بأمثال هذا الزعيم مع حمل الكتب المترجمة إلى اللغة المحلية لأي بلد لجدير بفتح الباب أمامهم للدخول في دين الله تعالى. وإذا لم يدخلوا في أول الأمر فيمكن عقد صلات معهم تكون سبباً للدخول فيه مستقبلاً، وأن على الدعاة إلى الله أن يكونوا أعزة بدينهم يدعون إليه العظماء في قومهم كالسوقة كما كان يفعل الرسول ﷺ، وما الذي يمنع الداعية المسلم من دعوة رؤساء الأديان بل وزعماء الحكومات ما داموا ضالين عن منهج الله لعل الله يشرح صدورهم لهذا الدين.

وقد بعثنا لهذا الزعيم ترجمة معاني المصحف الكريم وتفسيره باللغة الأندونيسية وسنوالي مراسلته لعل الله تعالى يهديه.

ثم ودعناه قائلين: السلام على من اتبع الهدى (لم تترجم له هذه) وكان وداعه لنا حاراً نسأل الله له الهداية والتوفيق.

هذا، وقد أخبرني الأخ عبد الله بن سعيد باهرمز الطالب الأندونيسي الذي كان يرافقنا ويترجم لنا، وهو الآن قد تخرج في كلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية ويقوم بالدعوة في أندونيسيا متعاقداً مع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، أخبرني أن هذا الرجل قد توفي والكتب الإسلامية بجانبه كان يقرأ فيها وأن أتباعه كانوا يخشون أن يعلن إسلامه بسبب مداومته على قراءتها، فلعل الله قد أدخل الإسلام في قلبه[1]!.

---

(١) انظر الصورة رقم [١] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

(٣)

وذهبنا للتجول في حديقة تسمى[١]: (FITZ ROY GARDENS) حديقة: «فيتسروي» وهي بجوار الفندق الذي نزلنا فيه: «شرتون» وقريبة من مبنى البرلمان، وبدأنا بزيارة معرض للزهور في حظيرة مسقوفة بخشب وزجاج أعدت للحفاظ على درجة حرارة معينة تناسب الزهور وتبقي عليها صالحة لفترة من الزمن، وبها نوافذ تفتح ليتخللها الهواء، وإذا كانت في أيام الصيف استعملت بها مكيفات مناسبة، وهذا المعرض الذي أعد في هذه الحديقة أعد تكريماً للكابتن كوك البريطاني الذي اكتشف المنطقة مغرماً بالزهور، وقد نُقل منزله من بريطانيا بكامله وبني في هذه الحديقة مع سرره وكراسيه ومواعينه بعد موته تخليداً لذكراه، وقد دخلنا فيه، وعندما دخلنا في هذه الحظيرة وجدنا المهندس الزراعي المشرف على هذا المعرض وسألناه بعض الأسئلة من ضمنها مظاهر غرام كابتن كوك بالزهور، فقال: إنه كان يجمعها من البلدان المختلفة إلى إنجلترا، ولأجل الاحتفاء به وضعت هذه الأنواع من الزهور في هذا المعرض، وهذا الرجل (أي المهندس الزراعي) هو جيمس تاتشر وهو معني بالزهور وأخصائي فيها، وقال: إن هذه الزهور الموجودة هي من فلسطين ولبنان، يعني بذورها أخذت من هذين البلدين، وبعضها من جبال اليونان، وتنظم في كل سنة خمسة معارض في مالبورن، يبقى المعرض من الزهور لمدة شهرين أو ثلاثة، ثم يبدأ بمعرض آخر من الزهور من بلدان أخرى وهذا المعرض للأزهار التي لها ألوان ساطعة، وهناك معارض للألوان الداكنة وتؤخذ أزهارها من أمريكا الجنوبية، ومعرض آخر تكون أزهاره من أمريكا وأوروبا، ومعرض للأزهار التي

---

(١) في مدينة مالبورن في أستراليا، في ١٨/١٠/١٤٠٤ هـ.
وكان رفيقي فضيلة الشيخ عمر محمد فلاتة أمين عام الجامعة الإسلامية سابقاً.

http://kotob.has.it

تؤخذ من مناطق ساخنة ولها جو يناسبها.

وسألت جيمس: أتحب البقاء بين هذه الأزهار؟ **فقال**: لو لم أكن أحبها وأحب البقاء بينها ما صبرت على نصف مليون زائر في السنة، وهي هوايتي التي لا أستغني عنها.

قلت له: أتشعر بأنها جميلة متناسقة؟ **قال**: هذا السؤال غريب، هي أمامك ألا تراها كذلك؟.

قلت: من أكسبها هذا الجمال وهذا التناسق؟ فسكت الرجل يفكر قليلاً ثم التفت إليّ مبتسماً **وقال**: الآن فهمت سبب سؤالك الأول، ثم **قال**: إنني أشعر بأن هناك إلّهاً أعطى كل شيء خلقه، **قلت**: أتظن هذا الإلّه واحداً أم متعدداً؟ ـ وكنت أرمز بذلك إلى التثليث الكنسي ـ **فقال**: لا بد أن يكون إلّهاً واحداً، قلت: ولكن الكنيسة تدعي أن الإلّه مركب من ثلاثة، **فقال**: أنا لا أؤمن بذلك، لأنه غير معقول، **قلت له**: أتعرف ما ديننا نحن؟ **قال**: من أين أنتم؟ **قلت**: من السعودية، **قال**: دينكم الإسلام، وأنا أتفق مع المسلمين في أن الإلّه واحد، **قلت**: أقرأت عن الإسلام شيئاً؟ **قال**: قرأت قليلاً جداً، **قلت**: أين قرأت؟ **قال**: زرت مصر وسريلكنا وشاهدت المسلمين في المساجد ولكن إلى الآن لم أعرف ما هو الإسلام، وأنا أعرف أخلاقاً دينية يؤمن بها اليونان وهي أوضح عندي من الغموض الذي جاءت به المسيحية الرسمية.

قلت له: أتحب أن تقرأ عن الإسلام شيئاً **فقال في لهفة**: نعم، أنا في غاية الشوق إلى ذلك، ثم شرحنا له باختصار أركان الإسلام، **وقلت له**: إنه لا سبيل إلى النجاة من النار والدخول في الجنة إلا هذا الدين ونحن قد بينا لك شيئاً منه وستأتيك بعض الكتب المترجمة إن شاء الله تبين لك مبادىء الدين الإسلامي، واتفقت مع الدكتور عبد الخالق القاضي أن يحضر له بعض الكتب منها ترجمة معاني القرآن الكريم.

وقلت لجيمس في آخر الحديث: ما الذي اكتسبته من مجاورتك الزهور وبقائك معها؟ **قال**: أشعر بحب الناس كلهم وعاطفتي طيبة لكل إنسان.

http://kotob.has.it

(٤)

المرصد الفلكي في ولنجتن[1]

ثم صعدنا إلى قمة جبل ـ يظهر أنه أعلى جبال ولنجتن المجاورة لها ـ وفيه إدارة المرصد الفلكي، وهو يشتمل على أقسام عدة، عرفنا منها: قسم الجغرافيا ـ قسم الزلزال، وهو قسم يهتم بمراقبة الزلازل السطحية والعميقة ـ وقسم الطقس وتغيراته، وقسم الكواكب والنجوم وغيرها.

وفي قسم مراقبة الزلازل رأينا الأجهزة وهي تسجل باستمرار حركات الأرض وزلازلها البعيدة وهي على هيئة خطوط طويلة التعرج هكذا: ﹏﹏﹏ وقريبة، وهي على هيئة خطوط قصيرة هكذا: ﹏

وهناك قسم لمعرفة دقة الوقت بالساعات والدقائق والثواني بحيث يعرف أصغر جزء من الثانية. وكان معنا في أغلب هذه الأقسام الدكتور سميث الذي كلف مرافقتنا والشرح لنا عندما استأذنا في أن نعرف بعض الأمور وأعطونا رزمة من أوراق تسجيل الزلازل، وجاء الدكتور سميث بسجل الزائرين فسجلنا أسماءنا وعناويننا فيه ويسمى هذا المرصد بمرصد «كاتر»، أنشىء سنة ١٩٠٧م، والدكتور سميث مهندس تخصصه يتعلق بعلوم الزلازل وأخبار حركات الأرض المتواصلة.

ثم ذهبنا إلى مكتب مدير المرصد، الدكتور داود، ونائبه الدكتور بدنج، وقد تخصص هذا الأخير في علم الأفلاك في بريطانيا وعمره ٤١ سنة وقد كلفه

---

(١) مدينة ولنجتن في نيوزيلندا، في ١٤٠٤/١٠/٢١ هـ.

http://kotob.has.it

المدير أن يشرح لنا، ولا شك أن الشرح كان صعباً بالنسبة لنا لأمرين الأمر الأول: أنه تخصص دقيق، والثاني: أنـه عن طريق التـرجمة، ولكن حب الاستطلاع كان طاغياً علينا وكان أحب إلينا منه تنبيه هؤلاء العلماء الكبار في شؤون الدنيا على جهلهم في حقيقة الحياة الطيبة: حياة الدين والعمل الصالح.

جلس معنا نائب المدير في مكتبه، فقلنا للأخ خالد: سله أيمكن أن نسأله بعض الأسئلة، فقال: نعم.

فقال له الشيخ: إن ديننا قد حدد أهم وظائف النجوم في ثلاثة: الأول علامات يهتدى بها، والثاني زينة للسماء، والثالث: رجوماً للشياطين.

فأجاب على الفور: نحن عندنا آلات من أراد أن يعرف شيئاً عن هذه النجوم يأتي وينظر إليها ويعلم بعض وظائفها، أما لماذا خلقت فهذا لا ندريه، واستطرد قائلاً: إن كتب العرب القديمة هي التي أفادتنا وما عمل في سمرقند من التفصيل في الكواكب لم يسبق أن عمل في مكان آخر، وقال: أنه قد سافر إلى مصر كثيراً، وكان يحاول النطق ببعض الكلمات العربية.

ثم سألته قائلاً: هل ترى في هذا الكون دقة؟ **فأجاب**: هذا أمر بدهي لا يحتاج إلى جهد في معرفته.

قلت له: من أين جاءت هذه الدقة وهذا الإحكام، **فأطرق ملياً، ثم قال**: علماؤنا يقولون لنا: لا تفكروا في هذا الأمر لأنه مما وراء المادة وهو شيء شخصي لا علاقة له بعلومنا.

قلت له: وهل يليق هذا بعقل عالم عرف دقة هذا الكون وأحكامه؟ **فقال**: إذا فكر الإنسان في ذلك لنفسه يشعر أنه لا بد من وجود شيء وراء هذه المادة المحكمة. **قلت**: وما هذا الشيء؟ هل يمكن أن يكون من جنس هذا الكون؟.

قال: لا أدري.

قلت: إن الكون هذا بدقته وإحكامه حادث والحادث لا بد أن يكون محتاجاً إلى من أحدثه ولو كان الذي أحدثه حادثاً لاحتاج أيضاً إلى محدث فلا

http://kotob.has.it

بد أن يكون المحدث أزلياً أبدياً يفنى الكون ولا يفنى هو، وهذا عندنا في الإسلام يدرسه عامة الناس في القرآن: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

قال: أنا أحس بذلك، أي بوجود خالق واحد لهذا الكون.

قلت له: وإذا كان الأمر كذلك فهل لخلق الله الإنسان في الأرض حكمة؟ - أي هل أراد الله منه أن يقوم بشيء -، **قال**: لقد سمعنا أن في الأديان أخلاقاً طيبة تجعل الناس يتآخون ولا يعتدي أحد على أحد.

قلت له: إذا تأملت في أجزاء جسمك، كعينيك وأذنيك ويديك ورجليك وقلبك ورئتيك، ودماغك وغيرها، بل في قلمك ونعلك، أتجد لها معنى وجدت من أجله؟ **قال**: نعم بلا شك وذكر بعض تلك المعاني.

قلت: وإذا كان كل جزء من جسم الإنسان وجد لمعنى، فهل يمكن أن يوجد الإنسان بكامله بدون معنى؟.

قال: إنه يبتكر ويعيش فإذا مات انقطع كل شيء عنه.

قلت: وهل يكفي هذا المعنى للإنسان أن يعيش ويبتكر فإذا مات انقطع كل شيء عنه؟.

قال: لا أدري، هذا أمر ليس للعلم فيه مجال.

قلت: وإذا لم يصل علم البشر إلى ذلك فهلّا يجب رد ذلك إلى الصانع الخالق؟ أليس كل صانع هو أدرى بمعنى صنعته؟.

قال: يمكن، وأنا أسأل نفسي دائماً عن سبب وجود الإنسان وما وصل إليه العلم في هذا العصر، نرى شيئاً غير صحيح فيه وهو وجود السلاح المدمر، لكن هناك شيء صحيح كالكهرباء والأخلاق وأنا لست متخصصاً في الدراسة الدينية ومع ذلك أقول لا بد أن يكون في كتب الدين حقائق.

http://kotob.has.it

قلت له: إن الحكمة من خلق الإنسان عندنا نحن المسلمين بدهية، وهي عبادة الله تعالى التي معناها أن لا يتحرك الإنسان ولا يسكن إلا حيث يرضى الله، ولذلك فإن كل تصرفاته إذا أرضت الخالق تكون صحيحة.

ثم قلنا له: لقد بلغناك دعوة الإسلام في الجملة وأنت رجل عالم مثقف ونخبرك أن كل الكتب السماوية قد حرفت باعتراف أهلها ولم يبق إلا القرآن محفوظاً سيبقى كذلك، ولذلك لا يوجد دين حق إلا الإسلام ولا طريق إلى النجاة من النار ودخول الجنة إلا طريق الإسلام، فهل عندك استعداد للقراءة في كتب الدين الإسلامي لعلك تجد فيها ما يقنعك بالإسلام؟ **فقال**: نعم، ولكن سمعت أن القرآن لا يمكن أن يترجم عندما كنت في مصر، **قلنا له**: نعم لا يترجم نفس القرآن ولكن تترجم معانيه بحيث تقام الحجة على قارئها.

ثم اتفقنا معه أن نراسله ببعض الكتب ليقرأ عن الإسلام لأنه لم يسبق له أن قرأ عنه وكان سمع عنه، وقرأ ما يتعلق بالعلوم التي تخصص فيها لبعض علماء المسلمين، وقد سلمه الأخ الشيخ خالد ترجمة معاني القرآن الكريم وبعض الكتب المترجمة.

ولقد اتضح لي من المناقشة مع هذا الرجل في هذا الموضوع ما يأتي:

الأمر الأول: أن الناس وبخاصة المثقفين منهم وعلماء الكون عندهم استعداد لسماع ما تضمنه الإسلام في القرآن والسنّة عن الآيات الكونية ودلالتها على وجود الخالق سبحانه ووجوب عبادته وحده لا شريك له.

الأمر الثاني: أن التأثير في أمثال هؤلاء القوم يكون عن طريق ما تضمنه القرآن الكريم من التنبيه إلى الآيات الكونية التي بثها الله في آفاق السماوات والأرض وهي التي تخضع عقول هؤلاء القوم للإقرار بها كما أخضعت العرب في الجاهلية بلاغة القرآن وفصاحته، وللإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنّة النبوية مجالاته وتأثيره في هذا الصدد.

الأمر الثالث: أن الذي يمكّنه الله تعالى من بعض المعارف في الإعجاز

http://kotob.has.it

العلمي لا بد أن يكون متمكناً أيضاً من لغة القوم الذين يتفاهم معهم، لأن ذلك أجدى وأقرب إلى وصول المعاني المرادة إلى عقولهم ونفوسهم، فإذا لم يتيسر ذلك فلا بد أن يوجد المترجم المتمكن من اللغة ومن فهم المصطلحات المبثوثة في ثنايا المناقشة والحوار.

الأمر الرابع: تقصير المسلمين الشديد في تبليغ دعوتهم إلى الناس بالأساليب المناسبة.

الأمر الخامس: أن هؤلاء العلماء الكبار في تخصصاتهم المغرورين بعلومهم سرعان ما ينكشف لهم جهلهم الفاضح في أغلى شيء في الحياة، وهي العقيدة وما يترتب عليها في هذه الحياة من سلوك.

ثم ودعنا نائب المدير المذكور بعاطفة جياشة وقد ظهرت عليه علامات الرغبة في المزيد من الأسئلة والمناقشة في هذه الأمور، بل لقد كان يقول للمترجم: قل له يزيد من هذه الأسئلة والأمثلة.

وهذا ما أكد لي ضرورة إظهار الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنّة المطهرة على أساس من التدقيق والتمحيص اللذين يوصلان إلى المقصود دون إفراط في إثبات قضايا ونظريات غير ثابتة قطعاً. وللشيخ عبد المجيد الزنداني جهود موفقة في بعض أبواب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنّة المطهرة ظهرت بعض ثمارها، وقد اطلعت على شيء من ذلك بسبب مشاركتي له في بعض الجلسات المتعلقة بذلك مندوباً من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة.

ولقد سمعت كثيراً من طلبة العلم ينتقدون هذا الأسلوب ويقولون: يكفي في الدعوة إلى الله الكتاب والسنّة، ولعمر الله إنها لكلمة حق، ولكنها تحتاج إلى بيان، إن الإعجاز العلمي الذي نريده هنا إنما هو الإعجاز العلمي في القرآن والسنّة، وكتاب الله تعالى معجِز في كل عصر ولذلك كان حجة الله على عباده، فإذا كان أعجز العرب بفصاحته وبيانه وأسلوبه، فإنه معجز لمدعي العلم في علمهم في كل مجال، ولذلك أجهد ابن القيم رحمه الله تعالى نفسه فأظهر كثيراً من

http://kotob.has.it

ذلك الإعجاز في كتابه القيم: «**مفتاح دار السعادة**»، وإني أنصح طلبة العلم الذين عندهم عجز في هذا الباب مثلي أن يحاولوا التعرف على هذا الباب ليكون لهم سلاحاً في دعوة الناس في هذا العصر، فإذا لم يقدروا على ذلك فليدعوا السيف في يد صاحبه الذي أخذه بحقه، ولا يكونوا عاجزين ومناوئين لما يجهلون.

http://kotob.has.it

(٥)

نحن وقائد السيارة(١)

عندما بدأنا السير إلى مدينة كولومبو، طلبت من الإخوة: الشيخ مولوي إبراهيم، والشيخ محمد مخدوم، أن يترجما بيني وبين قائد السيارة الذي اتفقنا معه على إيصالنا إلى المدرسة وإعادتنا إلى كولومبو، إذا رغب أن نشرح له بعض مبادىء الإسلام، فأخبروه فقال: أنه يحب ذلك.

وسألناه: هل درس عن الإسلام شيئاً؟ **فقال**: أنه يأسف لأنه لم يسمع عنه إلا قليلاً، فسألناه عن ثقافته، **فقال**: أن عنده بكالريوس، وكان مدرساً في المدارس الحكومية، ثم إنه استقال، وهو يعمل الآن سائقاً لسيارة أجرة.

فبدأنا نشرح له مبادىء الإسلام: الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالرسول ﷺ، والإيمان بالوحي، وذكرنا له شمول الإسلام لحياة الإنسان ومحاسن المنهج الإلهي.

وسأل هو عدة أسئلة وأجيب عنها وطال النقاش بيننا وبينه حيث استغرق الطريق كله الذي يزيد عن خمسين ميلاً، وكانت النتيجة أنه استسلم واعترف بأن المعاني التي ذكرناها له عن الإسلام كلها صحيحة، وأنه اطلع على أمور كان جاهلاً بها، ومن الأمور التي تعجب منها: نفينا له أن محمداً هو المعبود عند المسلمين، فقد كان يعتقد أن المسلمين عندما يدخلون المساجد إنما يعبدون

---

(١) من إحدى ضواحي مدينة كولومبو وفيها الكلية الإسلامية للسيدات المسلمات، وكان ذلك في يوم السبت ١٤٠٤/١/١٤ هـ، سريلنكا.

http://kotob.has.it

محمداً ﷺ، فلما فهم معنى لا إله إلا الله محمد رسول ﷺ، علم أن محمداً ﷺ إنما هو مبلّغ عن الله وليس هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما يزعم النصارى في عيسى عليه السلام. **وقال**: إن الأجرة التي سيأخذها منا في ذهابه وإيابه معنا لا تساوي شيئاً بجانب هذه المعلومات التي يسمعها لأول مرة في حياته عن الإسلام، ووعد بقراءة ترجمة معاني القرآن الكريم، وأي كتب أخرى يستفيد منها عن الإسلام، وأنه يريد معرفة الحق، وكان أول النقاش يدافع عن تعليمات بوذا بشدة ويحاول أن يصرفنا عن النقاش في هذه الأشياء، وكان يعتقد أن النار والهواء والتراب تعاونت مجتمعة على إيجاد هذا الكون، وعندما بيّنا له زيف هذا الاعتقاد، **قال**: إن بوذا أمرهم بعدم الخوض في هذه الأمور، وأن الذي يخوض فيها سيصيبه الجنون، ولكن بحمد الله ذهبت هذه الاعتقادات بعد المناقشة.

وقد ودعنا عندما وصلنا إلى الفندق بحرارة، واتفق مع الشيخ مولوي إبراهيم والشيخ محمد مخدوم أن يقدما له الكتب المفيدة عن الإسلام باللغة الإنجليزية. واتضح أنه أخو مدير الشرطة في كولومبو، وهذا الموقف يدل أن الناس لم يبلغوا الإسلام على حقيقته.

* * *

http://kotob.has.it

(٦)

في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة: مقيل (كندا ـ مونتريال)

في صباح هذا اليوم[1]، جاءنا الأخ رضوان في الساعة التاسعة وقال: لقد ضربنا لكم موعداً للالتقاء برئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة مقيل الأستاذ «لتيل».

ذهبنا إلى جامعة مقيل، قسم الدراسات الإسلامية فزرنا الأستاذ لتيل رئيس القسم، وهو ـ كما قال الأخ رضوان ـ مهتم بالدراسات الإسلامية، والجامعة بجانب الفندق الذي أقمنا فيه فاستقبلنا الأستاذ لتيل ببشاشة وبدأ يتحدث معنا باللغة العربية ويسمع منا أيضاً بدون ترجمة إلا نادراً، كأن يحتاج هو أو نحتاج نحن إلى الترجمة، وإن كان حديثه ثقيلاً باللغة العربية.

وأول ما بدأ يتحدث إلينا أخبرنا أنه قد اشترك في المملكة العربية السعودية في بعض الندوات.

وطلبنا منه أن يعطينا بعض المعلومات عن نشأة هذا القسم في الجامعة، فقال: أنشىء القسم سنة ١٩٠١ م، وكان السبب في إنشائه أن أستاذاً كندياً، يدعى «سميث» يسكن في الهند، وكان يعلم في إحدى جامعات الهند، ولما رجع إلى مونتريال أسس كلية العلوم الدينية، وأنشأ قسماً لدراسة الدين سنة ١٩٥٢ م، وكان يفكر في تأسيس معهد يتعاون فيه الأساتذة المسلمون وغير المسلمين والطلاب المسلمون وغير المسلمين، لأن الأساتذة غير المسلمين لم يكونوا يفهمون الدين الإسلامي حقاً، وقد تم ذلك الأمر، فحصل تعاون بين

---

(١) الاثنين ٢٠/١٠/١٤٠٥ هـ.

http://kotob.has.it

المستشرقين والمسلمين، وأكثر من نصف الطلاب هم من المسلمين، ولدينا الآن أستاذ مسلم أفغاني، وكان عندنا أستاذ من الكويت وهو أبو حاكمة وترك القسم، (وقد عرفنا فيما بعد أنه تركه بسبب مضايقة حصلت له) وكذلك كان عندنا أستاذ مسلم اسمه فضل الرحمن، وشارك في التدريس الدكتور إسماعيل الفاروقي، والأستاذ أزيرو.

وسألناه عن توافر المراجع الإسلامية في مكتبة القسم باللغة العربية وغيرها، **فقال**: إنه يوجد تسعون ألف كتاب ولكن نحتاج إلى المزيد.

وسألناه: هل يوجد بينكم وبين بعض الجامعات الإسلامية والعربية تعاون؟ **فقال**: كان بيننا وبين جامعة الكويت تعاون ويوجد شيء من التعاون بيننا وبين المملكة العربية السعودية، فقد اتفقنا أن تمنحنا السعودية أربعين ألف دولار سنوياً منحاً لخمسة طلاب مسلمين ولكن المملكة قطعتها بعد سنتين ولا أدري ما السبب؟ (ويبدو أن السبب هو صرف المبلغ المذكور على طلاب غير مسلمين).

وسألته عن رأيه في دين الإسلام؟ فقال: أنه مسيحي وله دين يعتقده، وأنه يدرس التاريخ وتخصصه في ابن تيمية ويحترم اعتقاداته، وأنه يحبّذ وجود أساتذة مسلمين في هذا المعهد لعدم قدرته على فهم دين الإسلام كما يفهمه أهله.

وسألته: هل خفّت حملة المستشرقين على دين الإسلام؟ **فقال**: إن أوائل المستشرقين كانوا في الأصل دعاة للدين المسيحي، وعندهم رغبة في فهم اليهودية، وكانت دراستهم تنطلق من وجهة نظر فهمهم للدين المسيحي، فلما وجدوا ما يخالف اعتقادهم هاجموا الإسلام، ولكن الوضع تغير الآن والمبشرون المسيحيون ليس لهم رغبة أن يدخلوا أحداً في الدين المسيحي (هكذا قال!) ولكنهم يريدون تثبيت فهم شامل للدين وهذا حالنا هنا، ولكن من الصعب لغير المسلم فهم الدين الإسلامي فهماً صحيحاً، فلا بد من أساتذة مسلمين.

وهناك مشكلة سياسية، فقد كان الإسلام قبل ألف سنة قوياً في عهد العثمانيين والمغول (وقد أطلق على العثمانيين الأرمن) والناس في الغرب خافوا

http://kotob.has.it

ولا زالوا يخافون من الإسلام إلى الآن، خصوصاً بعد وجود قوة الشيعة واختطاف الطائرات.

هذه مسوغات ذكرها الأستاذ لتيل لهجوم المستشرقين على الإسلام؟!.

قلت له: إن المنهج قد يكون غير التطبيق، فقد يوجد منهج ولا يطبقه بعض أهله، فالذنب ذنب من لا يطبق المنهج وليس ذنب المنهج نفسه، فالشيعة ليسوا حجة على الإسلام وكذلك غيرهم ممن يخالف الإسلام، وأغلب حكام المسلمين الآن ضد الإسلام وإن ادعوا أنهم مسلمون، **فقال:** نعم، ولكن كل واحد يعتقد ما يريد حسب عقله! **قلت له:** هل الدين عندكم تابع للعقل؟ **قال:** لا، ولكن الصوفية يأتون بأشياء غريبة وهم مسلمون لم يخرجوا من الإسلام.

قلت: ليسوا كلهم مسلمين، بل فيهم غلاة كفّرهم علماء الإسلام كالقائلين بوحدة الوجود.

ثم قلت له: هل تعتقد أن التوراة والإنجيل قد حُرِّفا؟ **قال:** لا أدري، **قلت:** هل قال أحد من المسيحيين أنهما قد حرّفا؟ **قال:** إن الأمر يحتاج إلى دراسة، والله عندي واحد. قلت: تعتقد فعلاً أنه واحد؟ **قال:** نعم، **قلت:** ما دليلك أنه واحد ودينكم يقرر حسب كتبكم الموجودة الآن أنه ثلاثة؟ **قال:** ثلاثة في واحد، **قلت:** هل يصدق ذلك عقلك؟ قال: أعتقده.

لقد كان الدكتور «لتيل» يحيد ويراوغ في أجوبته وظهرت الكآبة على وجهه وعدم الرضا عن هذه المناقشة.

وقال له الشيخ[1]: إن دراستك لابن تيمية الذي بنى عمله على الكتاب والسنّة قد يزيدك فهماً للإسلام.

وزعم الدكتور أن خمسة وسبعين في المائة في القسم من المسلمين والباقين من غيرهم[2].

* * *

---

(١) عمر محمد فلاتة.

(٢) انظر الصورة رقم [٢] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

(٧)
قابَل وقُوبِل

كان قد التقى بنا شاب صيني يتحدث اللغة العربية بوضوح في حفل افتتاح المعسكر في الصباح، وطلب منا مقابلة إذاعية وهو مسؤول عن الإذاعة في القسم العربي في إذاعة تايوان: ـ «إذاعة صوت الصين الحرة ـ القسم العربي ـ المشرف لي تشوان تيان غسان»(١) وقد وعدناه أن نلتقي بعد صلاة العصر، وجاءنا في مكتب أخينا الفاضل الملحق التعليمي الأستاذ عبد الله البخيت، وكانت أسئلته حول الأمور الآتية:

١ ـ أهمية المعسكر الدولي لشباب المسلمين الصينيين والغاية التي يصبون إليها.
٢ ـ المجالات التي يمكن أن تعزز العلاقات بين المملكة العربية السعودية والصين، وبخاصة في المجالات الثقافية، والسبيل إلى تحقيق ذلك.
٣ ـ ماذا تعرف عن الصين.
٤ ـ ما سبيل تقوية الإيمان.

وكانت أجوبتنا تدور حول مهمتنا التي انتدبنا من أجلها وهي الدعوة إلى الله والتعرف على أحوال المسلمين والفوائد التي تعود على المسلمين وغيرهم من اللقاءات والاتصالات.

وعندما عرفنا أن «غسان» ليس مسلماً، وهو قد تعلم في إحدى الجامعات

---

(١) وقد أعطانا عنوانه لنرسل له بعض الكتب المناسبة: ص. ب ٣٨ ـ ٢٤، تايبية، تايوان، جمهورية الصين، في ١٤٠٦/١٠/٣٠ هـ.

http://kotob.has.it

العربية في الأردن، قسم اللغة العربية، التفت إليه بعد المقابلة التي تخصه، **فقلت له**: وأنا عندي مقابلة معك إن كنت تسمح، **فقال**: هل أنت صحفي أو مذيع أو غير ذلك من الوظائف الإعلامية، **فقلت له**: عندي هواية لجمع المعلومات وتسجيلها في رحلاتي التي اطلقت عليها عنوان: «**في المشارق والمغارب**».

فقال: لا بأس.

فقلت له: هل أنت مسلم؟ **فقال**: لا، **قلت**: وما دينك؟ **قال**: ليس لي دين، وكان الإسلام عندي أقرب من الأديان الأخرى، **قلت**: ما دمت قد درست اللغة العربية وعندك مقدرة على فهم أساليبها وتراكيبها فإن في استطاعتك أن تفهم الإسلام بنفسك وتسأل عما يشكل عليك، والإسلام يرغم العقول ببراهينه على التسليم بصدقه وأنه دين لا مرية فيه، **قال**: ولكن عندي شبهات. **قلت**: وما هي، فأخذ يعددها، وكان منها ما يتعلق بالإله، ومنها ما يتعلق بالوحي، ومنها ما يتعلق بالرسول ﷺ، ومنها ما يتعلق ببعض الفروع والمحرمات وطال النقاش والسؤال والجواب أكثر من ساعة ونصف الساعة، وكانت مقابلتنا له أطول وأكثر جدية، ولم ننته من هذا النقاش إلا وهو قد استسلم استسلاماً كاملاً بأن كل شبهاته قد أزالتها الأدلة المقنعة، وكانت في أغلبها عقلية مدعومة بالدليل النقلي، **ثم قلت له**: وإذا كانت الشبهات كلها قد دحضت وأصبح هذا الدين عندك دين حق فلماذا لا تتوكل على الله وتدخل في الإسلام؟ **فقال**: سأعود إلى زوجتي وأحاول إقناعها بالإسلام وأجيب على شبهاتها، وإذا وجدت عندها شبهات لم أستطع الرد عليها فسأتصل بكم بالمراسلة البريدية لتجيبوا عنها ولعلنا نسلم أنا وهي وأولادنا...

فأخبرته أن كل فرد مسؤول عن نفسه أولاً وأن تأخر زوجته عن الإسلام لا يجيز له أن يتأخر هو وقد أقيمت عليه الحجة لأنه إذا مات على كفره بعد إقامة الحجة عليه فمصيره إلى النار.

ومن النقاش الذي دار بيننا وبينه اتضح أن أهم ما يجب العناية به هو نشر الكتب الإسلامية المتعلقة بالإيمان وبراهينه الكونية والعقلية وكل أصول الإيمان

http://kotob.has.it

وفروعه كالإيمان بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر ونحوها مع مقارنة ذلك بالأديان الأخرى، فإن كثيراً من الناس إذا اتضحت لهم هذه المعاني تكون الحجة قد أقيمت عليهم و كثير منهم سيدخلون في الإسلام أو يفكرون في دراسته.

ومن الأمور التي قال غسان إنها تقف عقبة في سبيل دخوله في الإسلام بعد اقتناعه به كونه لا يستطيع أن يقلع عن بعض الأشياء التي حرمها الإسلام كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وقد اقتنع بعد المناقشة بأن كل شيء يضر الإنسان في جسمه أو عقله يجب أن يقلع عنه، وشرحنا له بأن الخالق عليم حكيم ولا يحرم على خلقه إلا ما فيه عليهم ضرر سواء كان معلوماً حساً أم لا.

ولهذا فقد قابل غسان وقوبل، والحمد لله رب العالمين[١].

* * *

(١) انظر الصورة رقم [٣] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

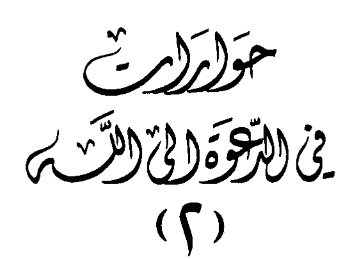

حوارات

مع أوروبيين غير مسلمين

د. عبد الله أحمد قادري الأهدل

http://kotob.has.it

(١)

والتقينا بالدكتور جون تيلر[١]

وقد ذكر لنا الدكتور تيلر لما يظهرونه من المحاولة لإيجاد تعاون بين المسلمين والمسيحيين، وسألته أثناء الحديث بعض الأسئلة فكان يتهرب من الجواب المباشر عن كثير منها، بل كان يدع الجواب المطلوب ويتحدث عن غيره، كما سيظهر ذلك في مكانه.

قال الدكتور تيلر: إنه يوجد في أوروبا الشرقية ـ الجزء الروسي من أوروبا ـ ما بين ١٦ ـ ١٧ مليون من المسلمين، وفي أوروبا الغربية، وبخاصة ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا، يقدر عدد المسلمين بثمانية ملايين[٢].

وهذا يقتضي وجود علاقة بين المسلمين والنصارى ودعا مجموعة من المسلمين والنصارى في بريطانيا إلى إصدار نشرة عن قضايا المسلمين، وهي فصلية تصدر ثلاث أو أربع مرات في السنة، وتنشر فيها أبحاث في موضوعات مختلفة عن الجاليات الإسلامية في بلدان مختلفة من العالم، وهذه محاولات مشتركة بين المسلمين والنصارى لمعرفة ما يمكن من الحلول للمشاكل التي تحصل بينهم، بحيث تكون تلك الحلول عملية.

وسألت الدكتور تيلر عن تخصصه فقال: أنه درس اللغـات اللاتينيـة

---

(١) جنيف ٤/١١/١٤٠٧ هـ.

(٢) لا أريد أن أناقش الدكتور تيلر في عدد المسلمين في أوروبا بقسميها الشرقي والغربي، وإن كان العدد أكثر مما يقول.

http://kotob.has.it

واليونانية، وأثناء دراسته لاحظ أن ما كتبه أرسطو قد ضاعت معالمه إلا ما كتب باللغة العربية في قرطبة وبغداد، كما لحظ أنه قبل ألف سنة كانت المناقشات بين اليهود والنصارى والمسلمين جيدة على أحسن ما يكون، ودهش عندما ظهر له وجود حواجز وتعصبات بين النصارى والمسلمين منذ أن قامت الحرب الصليبية وأسف عندما وجد أن أوروبا أساءت الظن بالإسلام وأصدرت أحكاماً مسبقة على سوء الظن[1].

ولهذا قرر دراسة الإسلام وما يتعلق بالثقافات القديمة الأخرى وكيف انتشر الإسلام في بلدان مختلفة، **وقال**: إن تلك كانت رغبة علمية بسبب ما رآه من الأحكام المسبقة من أوروبا على الإسلام.

وقال: أنه على الرغم من أنه نصراني فهو يعتقد أن ما جاء في القرآن والسنّة والتجارب الروحية عند المسلمين هي ثروة إنسانية[2] يجب معرفتها والاهتمام بها وإعطاؤها حقها، ومن الناحية العملية فإن الأديان متجاورة فلا بد من الاهتمام بها. وقد رعى العالم الإسلامي النصارى الذين كانوا في بلاده ويجب علينا أن نرعى المسلمين عندنا الآن.

وقد درس الدكتور تيلر الإسلام على بروفسور آربري وهو إنجليزي مستشرق ودرس الإسلام كذلك في جامعة مقيل في كندا وفي البنجاب بباكستان، ودرس كذلك في الجامعة في برمنجهام.

ودرّس عدة تلاميذ من المسلمين والنصارى في الدراسات الإسلامية، وكان

---

(١) العداوة بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب والوثنيين عداوة مستقرة ثابتة نابعة من مواقف أهل تلك الأديان من الإسلام من وقت بعث رسول الله ﷺ ولم تتغير تلك المواقف إلى الآن، وإن حاول الدكتور وأمثاله أن يموهوا على جهال المسلمين بما يظهرون من تسامح.

(٢) يجب التنبيه أنه جمع القرآن والسنّة والتجارب الروحية ـ وهو يقصد الطرق الصوفية ـ ووصفها بأنها ثروة إنسانية، وهو إطلاق ماكر ليخرج به القرآن من أن يكون وحياً، والسنّة من باب أولى.

http://kotob.has.it

يهتم إضافة إلى الدراسات العلمية بالنواحي الروحية والاجتماعية.

وقال: أنه كان يأتي بمحاضرين مسلمين ويأخذ الطلبة إلى المكتبات لمعرفة ما يتعلق بالإسلام. وفي أثناء تدريسه كتب كتيباً صغيراً بعنوان «التفكر حول الإسلام» وراجع هذا الكتاب الأستاذ ظفر أحمد أنصاري (والد الدكتور ظفر إسحاق) وأراد بهذا الكتاب أن يفيد النصارى الإنجليز ليعرفوا حقيقة الإسلام، وكذلك أراد أن يفيد به المسلمين الموجودين في بريطانيا، ليعرفوا إسلامهم ويعرّفوا به غيرهم، لأن المسلمين الذين نشأوا في الغرب لا يقدرون على إظهار إسلامهم بالطريق المناسب، والمسلم قد يؤمن بدينه ولكنه لا يفقه كيف يخاطب الآخرين، فالكتاب يبين الطريقة المناسبة لمخاطبة أهل الغرب بالإسلام[١].

ويرى الدكتور تيلر أنه يجب الاهتمام بتعريف الناس بالثروة الروحية والعلمية والجمال الموجودة في نصوص الإسلام والدين النصراني[٢].

وبعد تدريس عشر سنوات والعمل في المجمع الكنسي واللقاء مع كثير من المسلمين في العالم استطاع وضع برامج ومشاريع مشتركة، وهي موجودة ومشتركة يقوم بها المجمع الكنسي، ويشعر الدكتور تيلر أنه نجح في ذلك.

وقال: إن الأوروبيين أصبحوا يجهلون الغيب وقد عم هذا المعنى كثيراً من العالم. وضرب مثلاً لذلك، فقال: أنه إذا تحدث عن الغيب مع جده أوجدته يفهمونه ويتفاعلون معه بخلاف ما لو تحدث بذلك مع أبنائه.

وقال عن طريقة دراسته للإسلام: أنه درس العربية كاليونانية، بحيث يستطيع الرجوع إلى النصوص عند الحاجة ودرس على بعض الأساتذة من المسلمين في جامعة كامبرج، وكذلك درس في باكستان على بعض الأساتذة ونصفهم مسلمون.

---

(١) يجب أن يدرس هذا الكتاب ليعرف ما يرمي إليه فيه الدكتور تيلر حقاً.

(٢) يؤكد زعماء النصارى وكثير من المستشرقين على النواحي الروحية، وهم يقصدون التصوف وإبعاد الإسلام عن الحكم، وبعضهم يصرح بذلك كما سيأتي في الحوار مع أحد المستشرقين في جامعة ليدن بهولندا.

http://kotob.has.it

وذكر أن مراجعه هي كتب بعض المسلمين كالغزالي والصوفية.

وسألته: عن رأيه في موافقة الإسلام للعقل والفطرة.

فقال: أنه يعتقد أن الوحي مقبول عقلاً، ولكنه نصراني يقدر ذلك ويرى أنه يوجد في النصرانية ما هو مقبول في نفس المستوى؟! ودلل على ذلك بأن كل تعاليم الرسل تعتبر من مشكاة واحدة.

وقد صدق فيما قال بالنسبة للكتب التي نزلت على أولئك الرسل قبل تحريفها فهي من الله ولكن أنى لها ذلك الآن وقد حرفت؟!

وسألته: هل يوجد الآن على ظهر الأرض كتاب دين لا شك فيه؟.

فقال: أنه يفهم أن كلام الله ليس بالألفاظ فقط، وإنما يشمل حتى الشخص، واستشهد على ذلك بأن عيسى كلمة الله، **ثم قال**: إن القرآن يتميز عن الكتب الأخرى أنه لا يختلف (يبدو أنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ ٱللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً﴾) والقرآن له سند بخلاف الكتب الأخرى، ومتن القرآن لا شك فيه أنه من عند الله، ولكن كيف تفقه هذه الكلمات بعمق، والحقائق العميقة موجودة في كل الكتب والقرآن أكثر مما هو كتاب تاريخي[١].

والكلمات التي جاءت من عند الله تشير إلى الحقيقة، ولكن مقدرة الإنسان على استيعاب الحقيقة محدودة ولا يستطيع الإنسان أن يقول: هذا هو الحق، مسكته قبضته ولكن بالمحاولة يمكن أن يحصل عليه.

---

(١) أجبره الحق هنا أن يعترف للقرآن بميزات: منها عدم الاختلاف في آياته، ومنها أنه مروي بسند، وأن لفظه من الله، ومنها أنه ليس تاريخياً فقط بل فيه هدى لحياة البشر، ولكنه حاول إقحام غير القرآن معه في الحقائق العميقة، وأراد إثبات أن فهم نصوص القرآن العميق ليس هو ما يفهمه كثير من المسلمين حسب الظاهر، وهو بهذا يريد فتح باب تحريفه عن مواضعه فيما يخالف فيه المسيحية وإن لم يصرح بذلك.

http://kotob.has.it

(يشكك الرجل في كون الحق مع المسلمين):

قلت له: الواقع يشير أن الحياة البشرية تسير نحو الكمال في العلوم المادية والتشريع، أفلا يدل ذلك أن القرآن هو آخر الكتب الإلٓهية وخاتمها، وأنه عالمي يناسب هذه الحياة؟.

فأجاب: أنه لا يوجد برهان على ذلك من الدين، وإنما الاقتراب إلى الحق يحصل بالتدريج، وحاولت مناقشته في هذا فأصر على رأيه.

وسألته عن الأساليب الناجحة في الدعوة في بلاد الغرب.

فأجاب بقوله: أهم ما يلفت النظر في الإسلام هو نظام التكافل الاجتماعي، والشيء القوي في الإسلام الالتزام بالصلاة لأن ذلك يشبع الحاجة الإنسانية. والمهم في الصلاة ليس مجرد حركات معينة[1] في أوقات معينة، ولكن الأهم القدرة على الاستماع إلى ما يريده الله والتوجه الخالص إليه، وهذا هو سبب كون الصلاة هي الدعاء، وهي مناجاة بين العبد وربه.

والإسلام يجمع بين النواحي الاجتماعية والروحية وهذا عنصر أساسي.

ولا سلام بدون عدالة فلا بد من نشر العدالة في الإسلام، وبعضهم يفهم أن الإسلام وطني قومي وهو فهم ضيق[2] وبعضهم يفهم أنه دين اقتصاد وحرب.

وسألته عن الوسائل التي يمكن أن ينشر بها الإسلام بين أبنائه في الغرب.

فقال: وسائل الإعلام يجب أن تستغل بالطريقة الصحيحة، ولا بد من الاستفادة من الأخطاء التي حصلت من النصارى كما حصل في أمريكا.

---

(١) أراد بعد ثنائه على الالتزام بالصلاة في الإسلام أن يفرغها من معناها ويجعلها شبيهة بالصلاة الكنسية!.

(٢) يبدو أنه يقصد العنصرية، لأن كلامه لو حمل على ظاهره لفهم منه أنه يعترف بأن الإسلام دين العالم كله.

http://kotob.has.it

ولا بد من القدوة الحسنة في المسلمين في التكافل الاجتماعي والأسري، وأن يكون هناك تعاون بين المسلمين والأديان الأخرى لإنقاذ الناس من النكبات.

ويمكن استعمال المسلمين لوسائل الإعلام بشرط أن لا يسلكوا مسلك اليهود في التكتلات والعنصرية، فلا بد من توسيع المسلمين صدورهم للناس وأن يعطوا فكرة أن الإسلام منقذ وعندئذٍ يمكن نشر الإسلام. (انتهى كلام الدكتور تيلر).

وأهم ما يرمي إليه في كلامه: عدم التفريق بين الأديان وعدم القطع بأن فهم المسلمين للإسلام هو الحق...

وقد أعطانا بعض الكتب المتعلقة بأفكاره عن الإسلام والأديان الأخرى لنصور منها ما نريد ونعيدها له.

وأخذها الأخ يحيى باسلامة، وإلى الآن لم يصلني منها شيء[1].

* * *

(١) انظر الصورة رقم [٤] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

(٢)

مع رئيس قسم الشؤون الخارجية لجريدة جورنال دي جنيف[١] العالمية: أنطوان موريس[٢]

قلت له: هل هناك مصادر وثيقة تطلعون عليها عن أحوال المسلمين؟.

فقال: نحن نفرق بين المسلمين المستوطنين عندنا، والمسلمين في الخارج، وفي الجريدة قسم رفيع تبرز فيه أحوال المسلمين في الدول الإسلامية، والجريدة في بلد عالمي - في جنيف - ولها أولوية في الاتصالات والبحوث العالمية منذ مائة وخمسين سنة تتبعت أحوال العالم والأمم المتحدة وأحوال أوروبا، ومن ضمن ذلك حاولت تفهّم أحوال المسلمين كحضارة ليس كسياسة، والسؤال واسع جداً. والصحفي بالنسبة للمصادر يحاول أن يشرب من كل منهل من الأحسن إلى الأردأ ثم يقول رأيه ويزن جميع المصادر وضرب مثالاً لذلك، **فقال**: السويسريون يوجد منهم رجال أعمال ويعرفون عن التطورات الثقافية والاجتماعية في بعض بلدان المسلمين، وهؤلاء يمكن أن يكونوا مصدراً جيداً لقوة تحليلاتهم. وعندنا مجموعة من الناس هم ذوو مستوى ثقافي عالٍ ويهتمون بالشرق الأوسط وبخاصة دول الخليج، وهؤلاء يعتبرون مصدراً أيضاً. وإذا التقينا ببعض المسلمين من البلدان الإسلامية فإننا مستعدون أن نسمع منهم

---

(١) الأربعاء ١٤٠٧/١١/٥ هـ.

(٢) لأجهزة الإعلام دور كبير في تشويه الإسلام، والجريدة جزء مهم من هذه الأجهزة، وقصدت من الاجتماع بأمثال هذا الرجل محاولة التوجيه إلى وجوب النزاهة والاعتدال في الحكم على الإسلام، وأن المصادر يجب أن تكون صحيحة ويكفي أن يسمع منا أمثاله ذلك، وفي نفس الوقت إطلاعه على شيء من معاني الإسلام.

http://kotob.has.it

ويتحدثون بحرية عن بلادهم وهؤلاء يعتبرون من مصادرنا. ولـدينا ممثلون يدورون حول العالم بجولات صحفية وتنشر موضوعاتهم في الصحيفة، هذه مصادرنا.

وأما في داخل سويسرا فإن الوضع فيها بالنسبة للمسلمين لا يهددنا كما يهدد الدول الكبرى(١) والمسلمون هنا يعيشون في مستوى مادي مقبول ولا يوجد مهاجرون مسلمون كثيرون، بسبب الحد من الهجرة، فليست صورة المسلمين مشوهة عندنا.

وسألته: هل تفرقون بين منهج الإسلام الذي جاء به القرآن والسنّة، وبين تصرفات بعض المسلمين السيئة أو تخلطون بينهما تجعلون تلك التصرفات من الإسلام؟.

فقال: للقدرة على الإجابة عن هذا السؤال لا بد من الرجوع إلى ثقافتنا الدينية، وقضية الديانات معروفة عندنا في أوروبا، لأننا عشنا فيها قروناً طويلة عيشة عنيفة واشتدت الحروب الدينية في هذا البلد ونشأ به دين جديد، لهذا لا ننظر إلى الأمور العالمية بطريقة عاطفية، وإنما ننظر إليها بميزان العقل، ولا يعني هذا أنه ليس للميزان الديني أهمية في تاريخ البشرية، ولكن الناس عملوا خيراً عن طريق الدين بعض الأوقات وفي بعض الأوقات عملوا شراً كثيراً.

والذين عندهم فكر نيِّر يعرفون القيم العظيمة الموجودة في الإسـلام ويشعرون بتقارب بين الإسلام والمسيحية في بعض القيم: في التوحيد(٢) وتطور البشرية في الأخلاق والتعاون مع الغير.

والمحسوس به هنا صعود العالم في التقدم الحضاري وهو تقدم لا ديني، ومع هذا تقدم كثير من الدول الإسلامية ونحن نشعر بقيمة الإيمان، وإذا تكلمنا

(١) يبدو أنه يقصد التفجيرات والاغتيالات والاختطاف.
(٢) أيُّ توحيد في التثليث؟ ولكن بعض النصارى يرون وحدانية الله.

http://kotob.has.it

نقول: رجال الفكر يرَون أن الإيمان لا بد منه وإن لم يعترف بهذا كثير من الناس.

وإذا حللنا العلاقات العالمية فلا بد من النظر إلى جوانب أخرى: مثل الحكومات ورغباتها، وننظر للتاريخ القديم والجديد، وحاجة بعض الشعوب للتحرر من ناحية السياسة والأحوال الاقتصادية وتطويرها، كل هذه الأمور ننظر إليها ولا نقع في الغلط.

فإذا حصل عنف لا نقول: إن سببه الإسلام، بل يحصل الخطأ من نفس الرجال، حتى نكون واقعيين. والحالة التي تقوم الآن في الخليج بين إيران والعراق ليس سببها الإسلام، والذي يفكر هذا التفكير لا عقل له.

ثم سألني هو هذا السؤال[1]: **فقال**: إذا أردنا كتابة بحث كبير في هذا الموضوع، وهو كيف يعيش المسلمون، فهل يمكن أن يسمح لنا بزيارة البلاد الإسلامية لمعرفة ذلك؟ **فقلت له**: يمكن إن شاء الله، **فقال**: نريد أن نتحدث بطريقة مفيدة، فهل يسمح للمسيحي أن يذهب إلى هناك؟ **قلت**: نعم يمكن ولا يمنع إلا من دخول الحرمين فقط.

ثم سألته: هل يمكن للمسلمين نشر أفكارهم الإسلامية في هذه الصحف؟.

فقال: المسلمون هنا فيما أعلم قلة. وفي مثل هذا البلد الذي يعطي الحق للجميع في حرية التعبير، المجموعة القليلة لها أن تنشط في الصحف ولكن الحق للأغلبية، فممثل المؤسسة الثقافية لا يمكن أن يكون له مقال في الصحيفة الأولى يومياً عن الإسلام ومبادئه، وإنما يمكن بين حين وآخر. ولا توجد قاعدة تمنع، لا دينية ولا ديموقراطية، وإنما يعود ذلك إلى الفائدة التجارية، وبيع الصحيفة يعتمد على الكثرة الغالبة.

---

(١) وسبب سؤاله أني ذكرت له أن كثيراً من المسلمين في الشعوب الإسلامية يطبقون الإسلام في شؤون الأسرة والمجتمع، ولو رأى أهل أوروبا كثيراً من التصرفات الطيبة المبنية على الإسلام لتغيرت فكرتهم عنه.

http://kotob.has.it

وبعد انتهاء المقابلة مع أنطوان أظهر سروره بهذه اللقاء، وقال: أنه سعيد جداً بهذه المقابلة.

ويبدو لي من اعتذاره عن إمكان نشر المسلمين دعوتهم في الجريدة باستمرار ووضوح أن هنالك سببين: **الأول**: الناحية التجارية، كما صرح بذلك فالهدف الأساسي للجريدة تحقيق الكسب المادي ولا يمكن ذلك إذا راعت حاجات الأقليات ونشر أفكارهم، فإن تلك الأفكار ستكون ضد أفكار الأغلبية، والأغلبية أقل أحوالها أن تقاطع مثل تلك الوسيلة الإعلامية والغالب أنها تحاربها. **أما السبب الثاني** - وهو لم يفصح به - فهو الضغط السياسي والاجتماعي في البلد، وكذلك الضغط الديني، وهذه الضغوط يصعب معها أن يعطى المسلمون حرية إعلامية تنافس أهداف المؤسسات الغالبة في البلد[1].

* * *

(١) انظر الصورة رقم [٥] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

(٣)

لقاء مع: أندريه لندر (ANDRI LINDER)

بعد أن التقيت بالأخ المسلم السويسري «حاتم» الذي سبق الحديث عنه[١]، طلبت منه أن يختار لي بعض من يعرف من أصدقائه غير المسلمين لأجري معه مقابلة، والهدف من الاتصال بغير المسلمين أمران رئيسـان:

الأمر الأول: دعوته إلى الإسلام بالطريق المناسبة، وأفضل الطرق فيما بدا لي الحوار الهادىء الذي لا تشعر الشخص فيه من أول وهلة أنك تدعوه إلى الإسلام مباشرة، وإنما تسأله عن دينه، وهل هو متمسك به أو لا، وإذا لم يتمسك به فلماذا؟ ثم تسأله أعنده علم عن دين الإسلام؟ وتحاوره في ذلك حتى تلفت نظره إلى صحة دين الإسلام... وهكذا.

أما الأمر الثاني: فهو أخذ معلومات عن ديانته وموافقتها للفطرة وعدمها، ومعرفته بدين الإسلام وماذا يعرف عنه وعن أي طريق، ومعرفة ما يفكر فيه الأوروبي نحو الأديان، وهل قامت عليه الحجة بإبلاغه الإسلام، كل ذلك لأمهد لبحثي الذي أنوي كتابته بعنوان: **«البلاغ المبين»**، الذي أسأل الله أن يوفقني فيه لإبراز هذا الجانب إبرازاً تقوم به الحجة أولاً على المسلمين في أن البلاغ المبين فرض عليهم لا تبرأ ذمتهم حتى توجد طائفة تقوم به كما أراد الله قياماً كافياً، وستكون لقاءات إن شاء الله مع دعاة الإسلام ومؤسساتهم لأجري معهم حواراً حول مفهوم البلاغ المبين أو معناه وهل قاموا به أو لم يقوموا؟ وما حكم من لم يبلغ الإسلام البلاغ المبين؟.

---

(١) انظر ص ٣٣ من كتاب «حوارات مع مسلمين أوروبيين».

http://kotob.has.it

فاتصل الأخ حاتم بهذا الرجل وهو مدرس اللغات في مدرسة ثانوية في مدينة جنيف فوافق أن ألتقي به بعد أن سأل عن سبب رغبتي في الاجتماع به وأخبر بذلك.

وجاءني في الفندق الذي نزلت فيه: إنتر ناشيونال هوتيل[1] في الساعة الخامسة والنصف مساء من هذا اليوم، وكان المترجم بيني وبينه أيضاً الأخ يحيى باسلامة، ودار الحديث فيما نريد جميعاً: الرجل عنده أسئلة وأنا عندي أسئلة.

وعندما عرف أنني لا أجيد إلا اللغة العربية وقد عرف مؤهلي ووظيفتي عندما تعارفنا، قال لي: أنا أتعجب من كونك في هذه المرتبة من الثقافة والعلم، وليس عندك لغة أخرى غير لغتك، فهل يعود هذا إلى خوفكم من الغرب فلم تتعلموا لغته، وتحبون أن تنغلقوا على أنفسكم؟.

فأجبته: إن وجود مثقف في لغته وثقافة بلده أو غيرها عن طريق التعلم وقراءة الكتب المترجمة مع عدم إجادته للغة أخرى ليس بغريب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت لي ظروف عندما كنت في سن التعليم لم أتمكن معها من تعلم لغة أخرى، ومع ذلك فإني أرغب أن أتعلم الآن شيئاً من اللغة الإنجليزية، وعندي محاولة ولكنها ضعيفة بسبب كثرة المشاغل.

ثم أخبرته أن المسلمين لا ينغلقون على أنفسهم كما يقول ولا يغلقون أبواب المعرفة التي من أهم مفاتيحها اللغة لأنهم أهل رسالة عالمية، يجب عليهم إبلاغها للعالم، وعندما كان للمسلمين شأن وكانوا متمسكين بدينهم فتحوا العالم واستطاعوا أن يستوعبوا كل العلوم التي وجدوها في البلدان المفتوحة في عصرهم، وترجموا كتب العلم التي وجدوها في البلاد المفتوحة وغيرها، ونقلوا نظريات العلماء والفلاسفة والمفكرين قبلهم وحولوها من النظريات المجردة إلى التطبيق العملي، وكانت نواة للحضارة الغربية المادية التي تشاهد اليوم، وأحلته أن يقرأ بعض كتب المستشرقين في هذا الباب.

---

(١) ويقع في وسط مدينة جنيف قرب محطة القطار.

http://kotob.has.it

ثم سألنـي عن الحماس الذي يسمع عنه الغربيون من قبل المسلمين الذين يريدون العودة إلى أصول الإسلام، وسبب ذلك؟.

فأجبته: إن المسلمين يجب عليهم الرجوع إلى أصول الإسلام كما جاءت في القرآن والسنّة، وهذا هو الأمر الطبيعي، فلا إسلام بدون ذلك، ولو رجع المسلمون فعلاً إلى أصول دينهم وطبقوها كما أراد الله لما رأيتم في العالم إلا السعادة والسلام والخير.

وليس كما يظن أهل الغرب من أن العودة إلى الإسلام ستكون سبباً في الاعتداء وسفك الدماء والقضاء على الحضارة المادية النافعة، ويجب عليكم أن تعرفوا هذه الأصول التي يريد المسلمون الصادقون أن يطبقوها قبل أن تحكموا عليها، والتصرفات التي تصدر من بعض المسلمين الآن من اختطاف الطائرات أو تفجير القنابل أو غيرها بين المدنيين الذين لا يحاربون المسلمين ليست من الإسلام.

ثم قلت له: هل تريد أن تعرف شيئاً عن الإسلام؟!.

فقال: نعم، **ثم قال**: أنا كنت مؤمناً عندما كنت صغيراً ولما بلغت ست عشرة سنة بدأت أشك في الإيمان وازداد شكي عندما بلغت عشرين سنة، وأنا من أسرة متدينة، وأدعو الله أن يوفقني ولكنه لم يسمع دعائي، وأنا لم أقل إنه غير موجود، ولكن أقول: ربما تركنا وذهب بعيداً عنا يريد منا أن ندبر أنفسنا.

فقلت له: لعله قد أجاب دعاءك وذلك بمجيئي إليك من المدينة المنوّرة، وطلبت أن ألتقي بشخص غير مسلم فكان أول لقائي بك أنت، وأحب أن تسمع مني ثلاثة أسئلة مختصرة، ثم تسمع الجواب عن كل سؤال منها مع شيء من التفصيل، فهل تحب أن تسمع ذلك؟ **فقال**: نعم.

فقلت له: إن الإجابة الصحيحة والتطبيق السليم لهذه الإجابة على هذه الأسئلة يتحقق بهما الخير والسعادة للبشرية وفيها الإيمان الذي تريده أنت.

السؤال الأول: من أين جاءت المخلوقات، ومنها الإنسان؟.

http://kotob.has.it

السؤال الثاني: لماذا جاء هذا الإنسان إلى الأرض؟.

السؤال الثالث: ما مصير هذا الإنسان بعد الموت؟.

ثم بدأت بالإجابة عن السؤال الأول بما خلاصته ما يأتي: أن كل مصنوع لا بد له من صانع، وهذا الكون بما فيه من مخلوقات عظيمة متقنة لا بد له من خالق، وهذا الخالق لا بد أن يكون عالماً قادراً حكيماً، تدل على ذلك آثاره في هذا الكون.

وطال النقاش كثيراً في هذا الأمر، وانتهى بالتسليم بصحة ذلك.

ثم إن الرجل قال لي: إذا كنت توافق أن تذهب معي إلى المنزل لتناول طعام العشاء حتى نكمل الحديث هناك، وإذا وافقت فسأتصل بزوجتي لأخبرها بذلك.

فقلت له: لا مانع عندي من ذلك، وسبب تلبيتي لطلبه أنه غلب على ظني أنه يريد أن تشترك أسرته في هذا النقاش الذي أظهر ارتياحاً له، فاتصل بزوجته ووافقت على ذلك وطلبت منه التأخر قليلاً حتى تعد العشاء.

وواصلنا الحديث مع الرجل إلى الساعة الثامنة إلا ربعاً تقريباً، ثم انطلقنا معه إلى منزله، وهو يقع في مكان هادىء قرب أحد الجبال المحيطة بمدينة جنيف وواصلنا الحديث في السيارة.

وعندما وصلنا إلى منزله استقبلتنا أسرته زوجته وأولاده وقربوا الطعام وأكلنا من بعض السلطات والفواكه، وحاولنا إكمال الحديث معه ولكن لم نتمكن لأن أولاده كانوا يتحدثون في حال تحدثنا، فأشرت للأخ يحيى باسلامة بأن الجو غير مناسب لإكمال الحديث، فاطلب منه أن يعيدنا حتى نكمل الحديث معه في السيارة، وكنا على موعد لتناول طعام العشاء مع بعض الإخوة ففعل.

وفي الطريق حاولت أن أذكر له الجواب عن السؤال الثاني، وهو أن كل شيء في هذا الكون وجد لحكمة ومن ذلك الإنسان فإنه وجد لحكمة، وهي عبادة الله، وكان هو قبل أن أذكر العبادة **قد قال**: الحكمة هي تسبيح الله؟ **فقلت**

http://kotob.has.it

له: نعم إذا فهمنا من هذا التسبيح الشمول وذكرت له العبادة وعرفتها له، وذكرت له أن هذه الحكمة لا يعلمها حق العلم إلا الله الذي خلق هذا الإنسان من أجل تلك الحكمة، ولا أن يفسرها إلا هو تعالى، ولو أن الله ترك الخلق يفسرون هم تلك الحكمة لوقع بينهم خلاف شديد، لما يعتريهم من جهل وهوى وظلم. . .

وضربت له عدة أمثلة، وحاولت أن أواصل الإجابة عن السؤال الثالث، ولكن الرجل وصل بنا إلى المكان الذي نريد، **فقلت له**: هل تستطيع أن تنزل معنا لنكمل الحديث؟ **فأجاب**: إنه من الصعب عليه الآن أن يتأخر عن أسرته فقلت له: إذاً يكمل الحديث معك الأخ يحيى باسلامة، **فقال**: نعم، وكذلك الأخ حاتم، وأظهر أنه مسرور جداً بهذا اللقاء والزيارة وتمنى أن ألقاه مرة أخرى، **وقال**: أحب أن أسألك سؤالاً قبل أن أغادر، **قلت له**: تفضل، **فقال**: ذكرت لي أن تخصصك في القانون الإسلامي - يعني الفقه - ولكن أشعر من مناقشتك أنك متخصص في الإلٓهيات، فما سبب ذلك؟.

فقلت له: إن المسلم يجب عليه أن يكون إيمانه مبنياً على الحجة والبرهان حتى يكون إيماناً يقيناً وليس تقليدياً، ولهذا تجد المتخصص المسلم في أي مجال من المجالات على علم بإيمانه، **فقال**: نعم، لأن تصرفات الإنسان كلها مبنية على ما يعتقد.

تعليق: إن هذا اللقاء مع هذا الرجل يؤخذ منه عدة أمور:

الأمر الأول: عدم صعوبة الوصول إلى غير المسلم، بل يمكن أن يصل الداعية إلى غير المسلم إما عن طريق المسلمين أو بأي طريق أخرى.

الأمر الثاني: أن دعوة أهل الغرب إلى الإسلام تحتاج إلى رجال عندهم علم واسع عن أصول الإسلام وفروعه وعندهم إلمام في ثقافة العصر والأديان المقارنة.

الأمر الثالث: أن الداعي إلى الإسلام بين هؤلاء لا بد أن يكون قادراً على الاستماع إلى كلامهم وأفكارهم بصبر وأناة، وأن يكون قادراً على الإجابة عن

http://kotob.has.it

أسئلتهم، سواء كانت تتعلق بأصول الدين أو فروعه وسواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وأن يكون عنده إلمام بالشبهات التي يوردونها على الإسلام والرد عليها. فإن أهل الغرب ليسوا عاطفيين يسمع الواحد منهم الكلمة فيطير موافقاً أو رافضاً، وإنما يسمع الكلمة فيطرق ويفكر ثم يتحدث، وهذا النوع في حاجة إلى من يصغي ويفكر مثله ويحسب حسابه في كل كلمة يقولها، ولا يرمي الكلام جزافاً.

الأمر الرابع: أن المسلمين الموجودين في الغرب لو كانوا قدوة حسنة، وقادرين على الاتصال بالغربيين بأساليب مناسبة مجتهدين في تبليغ دين الله لنفع الله بهم كثيراً من الناس بالدخول في الإسلام، واقتلاع جذور ما غرسه أعداء الإسلام في نفوسهم من تشويه للإسلام.

هذا ويبلغ عمر الرجل ـ فيما أظن ـ ٥٥ سنة.

* * *

http://kotob.has.it

(٤، ٥)

جمعية الاهتمام بالشؤون الإنسانية

حدد لنا أحد موظفي المؤسسة الثقافية الإسلامية ـ التي تديرها رابطة العالم الإسلامي ـ موعداً مع سويسري آخر غير مسلم واسمه قلوتز سنقر (GLUTS SINGER) وهو رئيس جمعية تسمى: جمعية الاهتمام بالشؤون الإنسانية، وقد نشر كتاباً، نشره في الأسبوع الماضي، عنوانه: «**السياسة الإنسانية**» وهو عضو في البرلمان السويسري، وحضر اللقاء مدير عام المؤسسة الثقافية الإسلامية في جنيف اللواء المتقاعد كمال سراج الدين، وكان اللقاء في فندق إنتر كونتننتال، واستمر النقاش مدة طويلة، وكان يرافق الرجل رجل آخر من أنصار فكرته التي يدعو إليها.

وقد تحدث عن أهداف جماعته ووسائلها وأبدى حماسه الشديد لها وقد أعطاني ثلاث أوراق ترجمها لي باختصار الأخ يحيى باسلامة، وأنا أثبت هنا ذلك للاطلاع على محاولات بعض المفكرين في الغرب الوصول إلى حلول للمشكلات التي تهدد كيانهم، على الرغم من الاتهامات التي توجه ضد بعضهم.

الورقة الأولى عنوانها: إعلان حركة الجماعة المهتمة بالقيم الإنسانية[1].

* اقتناعاً منا بأن الائتلاف بين الناس يمر بالمحافظة على القيم الإنسانية العالمية، التي أوعزت بإعلان حقوق الإنسان، ونظراً إلى أن هذه القيم

---

(١) هذه الوثيقة هي التي يوقع عليها العضو الراغب في الانضمام إلى الجماعة.

http://kotob.has.it

يشترك في الأخذ بها كل الديانات والفلسفات، وهي: الكرامة الإنسانية والحرية والعدالة والتضامن.

* واقتناعاً بمسؤوليتي كابن أو ابنة لوطني، وكمواطن أو مواطنة في العالم، وبما أن لفظ الحرية أصبح معناه عند الإنسان في الغالب طلب الحقوق دون التفكير في الواجبات والمسؤوليات، بحيث أصبح الإنسان باسم الحرية التجارية والصناعية لا يفكر إلا في الحصول على الربح، فأصبح عبداً للإنتاج والاستهلاك، غافلاً عن أساسه الفطري.

* ونظراً لازدياد التلوث في الماء والهواء والأرض، والتهديد بعدم الهدوء، وهو تلوث عام ضاعفته التقنية الحديثة التي ملأت أدواتها الأسواق العالمية.

* وإيماناً بأن الحرية الحقة إنما تكون بالعمل اليومي للانتصار على الهوى والسيطرة لمعاني الروحية، وبأن الحرية الخارجية ـ المادية ـ لا يمكن بقاؤها إلا بالحرية الداخلية التي يجب أن يفوز بها كل شخص بدون توقف عن المجاهدة النفسية، ولما كانت الكرامة الإنسانية تتطلب التقدير للحياة بكل أشكالها بالمحافظة على الفضيلة والحشمة لكل شخص.

لكل ذلك، فإنني أتعهد بأن أعمل على الأخذ بهذه المعاني الإنسانية بالاتصاف بها، لأكون قدوة حسنة لغيري، وأن أجاهد بكل حرية من أجل إصلاح وتثبيت هذه المعاني في كل مكان تكون هذه القيم مهدرة فيه بكل ما أملك من وسائل، ولكن بالطريقة الديموقراطية لا بالعنف، وأتعهد أن أناصر كل المحاولات التي تبذلها حركة الجماعة المهتمة بالقيم الإنسانية.

وقد وضعت هذا الإعلان الجماعة في مدينة منترو في تاريخ ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٨٦ م.

الأعضاء المؤسسون

الورقة الثانية: فيها مشروع قانون إضافي للدستور السويسري الاتحادي، وهذا نصها:

http://kotob.has.it

«يمنع في الأراضي السويسرية على أجهزة الإعلام عرض الصور ذات العنف وإثارة الشهوات، من أجل الاستغلال التجاري الذي يدوس معاني الكرامة الإنسانية وما تفوت به المساواة بين الرجل والمرأة (من حيث استغلالها في الربح التجاري ونحوه من إضاعة كرامتها).

وعلى السلطات المختصة أن تطبق هذا النظام بكل الوسائل المتاحة لردع من يخالف هذه الفقرة».

الورقة الثالثة: مشروع المبادرة الفيدرالية للتربية والتعليم العام والخاص، من أجل القيم الإنسانية الموافقة لما في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهذا نص الفقرة المطلوب إدخالها في الدستور:

«إن تعليم القيم الأساسية المتناسقة مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والتي تأخذ بها كل الديانات والأفكار الفلسفية مما يهتم به التعليم العام والخاص اهتماماً كبيراً في كل المحافظات السويسرية، وكل مستويات المعاهد، ويجب أن يعنى بها في أمور التعليم وعلى إدارات المدارس مسؤولية تطبيق هذه المعاني وإيصالها إلى كل فصل دراسي وعلى السلطات المختصة أن تطبق هذه الفقرة الجديدة».

شرح لنا الرجل هذه المعاني، **وقال**: إن جمعيتنا لما قامت تحدثت الصحف عنها وعما ستفعله، ولكن تلك الصحف ليست هي المرجع لجمعيتنا وإنما المرجع هو كتابنا، الذي يعتبر دستور الجمعية وأساس في هذا الباب، فنحن مسؤولون عما ذكر في هذا الكتاب وليس عما ذكر في الصحف.

والمبادىء الأساسية مسجلة في صفحة واحدة، وهي الورقة الأولى التي تقدمت ترجمتها ـ وهذا الكتاب شرح لها[1].

وكان الرجل نائباً لمحافظة من محافظات سويسرا وتحدث في التلفزيون

---

(١) وقد سلمنا الأوراق والكتاب.

http://kotob.has.it

وأبدى استياءه للسياسة التي تتبعها أجهزة الإعلام في انتهاك كرامة الإنسان، وتسخير المرأة لأغراض دنيئة كالربح التجاري، ولقيت فكرته ترحيباً وأتباعاً مؤيدين واجتمع أكثر من مائة شخص وأعلنوا هذه المبادىء وتكونت الجمعية على هذا الإعلان بالرغم من الخلاف الديني والفكري والفلسفي بين الأعضاء، إلا أنهم يشتركون في الاقتناع بوجوب الارتفاع بالقدر الإنساني وعدم الاستخفاف بالكرامـة الإنسانية.

وسئـل: ألا تخشون أن يُظَن أنكم حركة ماسونية؟.

فقال: أنا أوضحت في هذا الكتاب أنني نصراني، ولكن أشترك مع كل من يوافقني على تحقيق هذا الهدف.

وإدارة الجمعية مكونة من سبعة أعضاء.

وأول الموضوعات التي سيحاولون الاهتمام بها هو: محاولة منع استغلال الصور الإباحية الخليعة، ثم منع الصور المرعبة التي تجعل الأطفال يحبون الإرهاب والقسوة.

وكذلك سنحاول إدخال المادة المذكورة في الدستور وتطبيقها في التربية والتعليم.

وقال زميله، ويسمى «ألبرت»: إننا هنا سواء كنا مسلمين أو نصارى، بيضاً أو ملونين يجب أن نحقق هذا الهدف لأننا كلنا متفقون عليه.

وأي فكرة يراد أن تعرض على البرلمان لا بد أن يحصل مقترحها على توقيع موافقين عليها لا يقل عددهم عن مائة ألف شخص، ولذلك يحاولون نشر الفكرة ليحصلوا على هذه التوقيعات المطلوبة.

كان قلوتز يتحدث بتفاعل شديد وإظهار حماس لفكرته فتركته حتى انتهى من كلامه.

وعقبت عليه بما يأتي:

http://kotob.has.it

إن هذا الهدف الذي تسعون لتحقيقه هو من أهم الأمور التي لا يجوز الاختلاف فيها إذا ما فسرت تفسيراً سليماً يوضح فعلاً أن المراد حفظ كرامة الإنسان في الأرض، ولكن كرامة الإنسان تبدأ بما هو أهم مما ذكرتم من استغلال المرأة للربح المادي ونشر الأفلام المرعبة.

إن كرامة الإنسان تبدأ من وجوب تربيته على الإيمان الصحيح، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، الإيمان الذي يفرق بينه وبين سائر الحيوانات في الأرض، وإذا وجد هذا الإيمان في الإنسان، فإن كل المشكلات ستحل بدون صعوبة، وسيجد كل إنسان عنده هذا الإيمان أنه كريم عند الله وعند خلقه وعند نفسه.

وسيعرف معنى الحرية وضابطها، ومتى يكون حراً ومتى يكون مستعبَداً، وعندنا في الإسلام ما يجتث جذور كل مبدأ يهدد كرامة الإنسان، وهو أن يكون الإنسان عبد الله وحده، وعندئذٍ لا يستعبده مال ولا منصب ولا جاه ولا امرأة ولا خمرة ولا فرنك ولا دولار، وهو كذلك يشعر أنه عبد الله وحده والناس كلهم مثله عبيد الله فلا يرى لنفسه حقاً في استعبادهم بأي وسيلة من وسائل الاستعباد.

ولو أنكم قرأتم القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ وسيرة الصحابة الذين كانوا النموذج الأول لتطبيق الإسلام لعلمتم أن الحل الكامل لكل المشكلات التي تعانيها البشرية هي عند الإسلام وليس عند أي فكر أو قانون أرضي.

والسبب في ذلك أن هذا الدين هو من عند الله، والله عزّ وجلّ يعلم ما يصلح البشرية وما يفسدها، لا يوصف بالجهل ولا الغفلة ولا الهوى ولا الحسد ولا الظلم ولا الفقر، وهذه هي آفة البشر عندما يريدون أن يشرعوا للبشر، فإن هذه العيوب والنقائص موجودة في كل الناس والله وحده هو المنزّه عنها.

وهذا الدين هو خاتم الأديان والمهيمن عليها يجب على كل البشر أن يهتدوا بهداه، وكل الكتب السماوية السابقة قد حرفت ولا يوجد كتاب واحد له سند يصل به إلى الرسول الذي بعثه الله به إلا هذا القرآن الذي روته الأمة

http://kotob.has.it

الإسلامية عن الأمة التي قبلها من زمن الرسول ﷺ إلى هذه الساعة، وهو منهج حياة للبشرية لا خير إلا فيه الدعوة إليه، ولا شر إلا فيه التحذير منه، فلماذا لا يحاول المفكرون في الغرب دراسته والرجوع إليه بإنصاف ليعلموا ما فيه ويعلموا أنه هو المنقذ للبشرية من كل النكبات التي نعانيها؟.

وذكرت له أن في الإسلام ضرورات خمساً يجب المحافظة عليها، وكل تصرفات البشرية يجب أن تنصب لحماية تلك الضرورات لأنه لا يمكن أن توجد حياة سعيدة في الدنيا والآخرة إلا بها، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال.

فقال صاحبه (JEAN - PIERRE LABARTHE): هذه الأمور التي ذكرتها هي موجودة عندنا، وعندنا نفس الفكرة.

ثم قال ـ وقد شعر بأني أبين لهم محاسن الدين الإسلامي الذي هو المنقذ دون غيره من الأديان والنظم ـ: ولكن عندنا مشكلات يجب أن توجد لها حلاً، وهي الإرهاب والعودة إلى الأصول.

فقلت له: العودة إلى أصول دين الإسلام عندنا هي الأساس الذي يجب أن يسعى لتحقيقه كل المسلمين بل حتى غير المسلمين، لو علموا ما في العودة إلى أصول الإسلام من الخير للبشرية جمعاء لطالبوا بذلك.

وبعد أن استمع الرجلان لما ذكرت قالا: إن الطريق الذين تسيرون فيه هو الطريق الصحيح، ولكن نحن في أوروبا لا نستطيع أنْ ننشر هذا الكلام في مشروعنا للحساسية الموجودة عندنا.

فقلت لهم: همنا أن تدرسوا الإسلام بأسلوب سليم وتأخذوا معانيه من أهله من العلماء في مصر وباكستان والسعودية، ولا تأخذوا عن كثير من كتّابكم الذين قد لا يفهمون المعنى الصحيح أو يتحاملون على الإسلام.

فأظهرا موافقتهما على ذلك.

http://kotob.has.it

وقد سجلت في شريط بعض تلك المقابلة، ولهذا فإن نقل ما سجل قد يكون أكمل في بعض الجوانب مما كتب.

مما قلته لهما: إن الإسلام شامل لحياة الإنسان كلها، ابتداء من الفرد والأسرة وانتهاء بالدولة.

فإذا دخل الفرد على أسرته وجد أن هناك نظاماً يحكم حياة الأسرة: العلاقة بين الزوج والزوجة، والعلاقة بين الابن وأبيه، والعلاقة بين الخادم، وهو في الأساس ليس من الأسرة، وبين أهل البيت، كل ذلك مفصل في الإسلام تفصيلاً واضحاً لا لبس فيه.

والمسلمون إيمانهم مبني على اليقين وليس على الشك، بمعنى أنه يوجد من الأدلة العقلية والكونية التي تتمثل في مخلوقات الله تعالى ما يدل دلالة كاملة لا لبس فيها على الإيمان الذي يعتقدونه.

ولهذا جميع تصرفات المسلمين يجب أن تبنى في الأساس على هذا الإيمان، ولهذا مناهج التعليم عندنا أول ما تبدأ بتعليم الطفل المسلم تعليمه هذه العقيدة وأركانها التي لا يصح الإسلام إلا بها.

والمسلم لا يستقر له قرار إلا بمعرفة الحكمة التي وجد من أجلها في هذه الأرض، لماذا وجد؟ لهذا يسأل ما الحكمة في خلق عيني هل خلقتْ لحكمة أو عبثاً لا معنى لها، فهل يقول أحد من الخلق أن أي جزء من أجزاء الإنسان خلق بدون حكمة، فإذا كان كل جزء في الإنسان خلق لحكمة، فهل الإنسان كله خلق لغير حكمة؟.

فإذا عرف المسلم أن كل جزء من أجزاء جسمه خلق لحكمة وهو كله خلق لحكمة، فإنه عند ذلك ينطلق في كل تصرفاته من أجل تحقيق تلك الحكمة.

فعيني لا أنظر بها إلى محرم، وإنما أنظر بها إلى ما خلق الله لها من المباحات، وكذلك يدي، وكذلك رجلي، وكذلك عقلي، وكذلك كل أعضاء

http://kotob.has.it

جسمي لا أستعملها إلا فيما أباحه الله سبحانه وتعالى، ولذلك تحصل السعادة الكاملة عندما يلتزم الإنسان بهذه الأمور.

وأضرب لذلك مثالين: أحدهما يتعلق بما ذكروه من أنهم في حاجة ماسة إلى المحافظة على الأخلاق وعدم إهدار الكرامة الإنسانية.

عندنا في المملكة العربية السعودية نعتقد بأن المرأة جوهر ثمين ولا يجوز المساس بها مطلقاً إلا في الحدود التي أباحها الله سبحانه وتعالى، ولهذا بنينا على هذا المعنى أن المرأة في كل أنحاء المملكة العربية السعودية تدرس ثماني ساعات كل يوم في مدرسة مستقلة بالمرأة من المديرة والمدرسة والكاتبة إلى الخادمة، كلهن نساء محتشمات عندهن مناهج الطلاب، ولا يوجد أي نوع من الاختلاط بالرجال حفاظاً على كرامة المرأة وقد وصلت المرأة إلى الدكتوراه: في الطب والهندسة وغيرها من العلوم التي يدرسها الرجل تدرسها المرأة، ومع ذلك فهي من الصباح إلى المساء في عالم آخر بسبب الحفاظ على كرامتها.

وعندنا بالنسبة للمحافظة على الكرامة الإنسانية والحفاظ على الإنسان من حيث هو إنسان، سواء من الناحية المادية أو الروحية، عندنا مناهج، قبل أن يبدأ الإنسان في الزواج والإنجاب، يبين له المنهج كيف يختار الرجل زوجته وكيف تختار الزوجة زوجها من أجل الحفاظ على كرامة الإنسان بحيث إنها تصبح أسرة صالحة، ثم مجتمعاً صالحاً، ثم دولة صالحة.

فإذا كان الرجل يريد أن يتزوج أمامه أربع نساء: واحدة جميلة جداً، وواحدة عندها مال كثير، وواحدة عندها حسب رفيع، وواحدة ليس عندها هذه الثلاث ولكن عندها الدين والخلق، الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: فاختر ذات الدين، تربت يداك، فأمر أن تترك ذات الجمال وذات المال وذات الحسب إذا لم تكن دينة وأمر بالحرص على الرابعة وهي ذات الدين، كل ذلك من باب الحرص أن يكون الإنسان الذي يوجد من الرجل والأنثى إنساناً شريفاً عنده أخلاق فاضلة تتحقق بها كرامة الإنسان.

ومع تحديد الإسلام للعلاقة الزوجية والأسرية كذلك حدد الإسلام

http://kotob.has.it

العلاقات الاجتماعية: الجار مع الجار، والرفيق في السفر مع رفيقه، وكذلك العلاقات السياسية: الحكم والشورى، والعلاقات الاقتصادية: الحلال والحرام، يعني ليس عندنا شيء نتصرف فيه إلا ونحن نعرف هل هذا حلال عند الله أو حرام.

وعلى الرغم أنه لا توجد حكومة في هذا العصر تطبق كل أحكام الإسلام كما كانت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، إلا أن النموذج الموجود الذي حاول أن يطبق كثيراً من أحكام الإسلام، كالمملكة العربية السعودية... لو رأى غير المسلمين في ظل هذا النموذج كيف تتعامل الأسرة والجيران والمجتمع لوجدوا حسن التعامل القليل يدل على ما يثمره الإسلام في نفوس أهله، إلى حد أن الجار قد يغيب عن أهله شهرين أو ثلاثة أو أكثر ويقوم جاره بواجبه مع البعد عن كل ما يضره في أهله وماله وعرضه، ثم ذكرت له الأهداف التي يجب أن توجه لها أعمال المسلمين وهي الضرورات الخمس التي ذكرت أولاً.

بقيت مسألة ذكروها من قبل، وهي تقييد الحرية.

الحرية عندنا لها إطار معين، بحيث إنه لا يجوز الخروج عن هذا الإطار، وضربت مثالاً لذلك بالشورى التي يجب أن تحقق بها المصلحة العامة ولا يجوز الخروج على ما يحقق تلك المصلحة، ولا يجوز أن يُستعبَد الإنسان لشهواته ويقال ذلك حرية، بل الحرية الحقة عندنا هي أن يمتثل أمر الله ولو أكره نفسه عليها وأن يترك معصية الله ولو تاقت نفسه إليها.

وقلت: إن الفكرة التي ينادون بها فكرة ممتازة جداً وهي المحافظة على كرامة الإنسان، وقد ذكروا أنه سيحصل اختلافٌ في الوسيلة التي تحققها.

وأرى من باب الإحاطة بالموضوع أن لا يأخذوا ما يتعلق بالإسلام من الكتب الموجودة في أوروبا مثلاً لأمرين:

الأمر الأول: أن الذين يكتبون عن الإسلام من غير علماء الإسلام لا يفقهون الإسلام كما يفقهه أهله المتخصصون فيه.

http://kotob.has.it

الأمر الثاني: أن بعض الذين يكتبون عن الإسلام قد يكون عندهم هوى، لأن الأفكار والثقافات تختلف.

فعليهم أن تكون مراجعهم موثقة من قبل علماء الإسلام.

وهنالك شيء يسلم به الناس، وهو أن البشر متفقون في الأمور الكونية، كالطب والهندسة والكيمياء والحساب وكل ما يدخل تحت التجربة، أما ما يتعلق بسلوك الإنسان فالناس مختلفون فيه، ولا يستطيع عقل أي شخص أو أي جماعة أن تدعي بأنها محيطة بكل ما يصلح الإنسان، لماذا؟ لأن الإنسان معرّض للجهل، ولهوى نفسه وللغفلة والنسيان وهو فقير يحتاج إلى أن يغني نفسه بما يضع من قوانين ظالمة، ولا يمكن أن يخلو من هذه النقائص إلا الله، وإذا كان الأمر هكذا فلا يمكن أن يقيم هذه البشرية على الصراط المستقيم إلا الوحي الإلّهي الذي ثبت يقيناً أنه من عند الله، وهل يوجد في الأرض الآن وحي غيره قامت عليه الحجة اليقينية فعلاً أنه من عندالله بدون شك؟.

أرجو أن يسمحوا لي أن أقول لهم شيئاً، لو كنت هنا عندهم مقيماً، كانت هذه النتيجة لا أصل إليها ألا بعد مدة طويلة جداً، ولكن لقصر وقتي وحبي لهم وللبشرية كلها أحب أن أقول: هذه النتيجة، ما هي النتيجة؟ هي أن جميع الكتب التي نزلت قبل القرآن الكريم أهلها يعترفون بأن بينها خلافاً وليست متفقة، وأن كثيراً منها يخالف العقل، ولذلك ثار أهل أوروبا على رجال الكنيسة لأنهم كانوا يفسرون لهم أن ما عندهم هو من الله، وهو يخالف العقل والعلم، ولو كانوا خضعوا لرجال الكنيسة لكانت شوارعهم الآن ليست مضاءة، ونحن نسمع أن الكنيسة اعتقلت وذبحت وأحرقت العقلاء والمفكرين في القرون الوسطى، وهذا ليس من عندي، وإنما من عند علمائهم ذكره غوستاف لوبون في «**حضارة العرب**» وزغريد هونكه المستشرقة الألمانية في كتابها «**شمس العرب تسطع على الغرب**».

أما عندنا نحن المسلمين فالقرآن الكريم يدعو من أوله إلى آخره إلى التفكر والتعقل وإلى استغلال كل ما يمكن من طاقات الكون، ولو ذهب الإنسان

http://kotob.has.it

ليطلع على المصحف في كل العالم لوجد أن المصحف في جنيف هو المصحف في مكة، هو المصحف في جاكرتا، هو المصحف في طوكيو، هو المصحف في موسكو، وفي كل العالم، وهو نفسه يحمل من المعاني ما يدل أنه يستحيل على البشر أن يقول مثله.

وأنا فقط أدعو إلى دراسته، لأن الشيء الذي يلتمسونه أعتقد أنه موجود فيه وأكثر مما يسعد البشرية كلها.

وهنا نقطة مهمة جداً، وهي أن الإلحاد الذي يوجد الآن في الشرق وفي غيره لا يوجد أي دين فيه من القوة والأدلة والحجج التي تحطم الإلحاد تحطيماً مثل ما يوجد في القرآن، لأن القرآن الكريم استعمل الكون والعقل والخُلُق ضد كل إلحاد أو تحلل.

وأنا فقط أريد منهم أن يدرسوا ما أشرت إليه.

قال بيبرت: إن الإسلام نحن نعتبره طريقة من الطرق التي توحد بين الناس، والإلّه الذي أنا أحبه هو الإلّه الذي تحبونه أنتم، ولكن نحن لا نسميه إلّهاً لأنا تربينا بطريقة غير طريقتكم.

ثم أجبتهم عن سؤال لهم وهو: أنه ظهرت الآن مشكلات تحتاج إلى حل، وهي تتمثل في الإرهاب والدعوة إلى العودة إلى الأصول.

قلت: أولاً: أنا صريح وليس عندي دبلوماسية ألفّ وأدور بها، والذي أريد أن أقوله: أن المسلمين لو استطاعوا فعلاً أن يعودوا إلى أصول دينهم التي أنزلها الله سبحانه وتعالى وطبقها رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم لوجدوا أن العالم الإسلامي نموذج صادق للسعادة والأمان في كل أنحاء الدنيا، ولما وجد هذا الصراع وهذا الإرهاب الذي يطبق العالم كله.

والسبب الأصيل الذي نعتقده لهذه المشكلات الموجودة في الشرق الأوسط وغيره بين المسلمين هو أن طائفة منهم تريد الرجوع إلى هذا الدين الذي قلت إن فيه السعادة والأمان والخير، وطائفة أخرى ضدها، ولذلك فالحكام

http://kotob.has.it

الذين يحكمون بغير الإسلام في بعض الشعوب الإسلامية لا يمكن لشعوبهم أن تستقر حتى يعود إليها الحكم بالإسلام مرة أخرى.

ومن الأمور المهمة التي يجب أن يعرفوها منا أن دول الغرب لها دخل كبير في المشكلات التي يعاني منها المسلمون في الشرق الأوسط وفي غيره، لأنها عندما استعمرت هذه البلدان أجبرت أبناءنا على مناهج الغرب، وعندما تجبر الشعوب على شيء يخالف عقيدتها تصاب بالمسخ، لذلك حصل مسخ لعقول كثير من شبابنا بسبب المناهج الغربية التي تخالف دينهم وأخلاقهم وقد وضح هذا المعنى أيضاً غوستاف لوبون في كتابه «**حضارة العرب**» فقال: إن دول الغرب جنت جناية كبيرة على المسلمين وعلى البلدان التي استعمرتها، والسبب أنها أرغمتها على المناهج التي تخالف عقيدتها وأخلاقها فأصبحوا ممسوخين لا غربيين ولا شرقيين.

والصراع الآن يدور بين هذه العقول الممسوخة وبين الشعوب التي تريد العودة إلى الإسلام كما نزل من عند الله.

فقال قلوتز: أنا واثق أن ما ذكرت مهم وأساس، ولكن نحن في هذه البلاد لا نستطيع أن نتحدث بهذه الطريقة، ولكن نخطو هذه الخطوات الخفيفة حتى نقنع الناس بما نريد لا عن طريق الدين[١].

* * *

(١) انظر الصورة رقم [٦] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

(٦)

المحامية الألمانية: (BARBARA GEIGER)[1]

أردت في مقابلاتي المسلمين من أهل البلد وغير المسلمين منهم أن يتنوع الذين أقابلهم: رجالاً ونساء، وذوي مؤهلات مختلفة واختصاصات ووظائف.

والمحامية بربرة ليست مسلمة.

ولدت سنة **١٩٥٥** في **٢١/٥** وهي ألمانية أصلاً بافارية.

واختصاصها المحاماة، نالت المؤهل ـ ليسانس ـ سنة **١٩٨١**.

وكانت على وظيفة باحث في الجامعة في القانون من سنة ١٩٨١ـ ١٩٨٤.

وقد عملت في أشهر مكتب محاماة في ميونخ، ثم استقلت بمكتب محاماة خاص بها.

سألتها: متى سمعتْ شيئاً عن الإسلام في حياتها؟ **فقالت** ـ وكان المترجم الأخ أحمد محمود خليفة ـ: سمعت عنه في المدرسة في الصف الخامس الابتدائي في دروس الديانات العالمية، وسمعت أن المسيح مذكور عند المسلمين في القرآن وأن المسلمين يحترمونه بخلاف الديانات الأخرى.

قلت: ومتى سمعت عن الإسلام بوعي؟.

قالت: عندما قامت ثورة إيران سنة **١٩٧٩**[2] وكانت لها جارة تركية حصل

---

(١) وكانت المقابلة هذه في ١٠/١١/١٤٠٧ هـ.

(٢) انظر الزمن الطويل بين سماعها عن الإسلام وهي طفلة في المدرسة وسماعها عنه في حال رشدها، يعني أنها لمدة **٢٩** سنة من عمرها ما كانت تدري شيئاً عن الإسلام.

http://kotob.has.it

بينهما نقاش عن الإسلام، بالإضافة إلى مجموعة من الطلبة الإيرانيين الذين كانوا يعقدون حلقات عن إيران ويتحدثون عن الإسلام وحضرت هي بعض هذه الحلقات.

قلت: ما الرأي المتكون عندها عن الإسلام؟.

قالت: هي امرأة واهتمامها ينصب على مكانة المرأة في الإسلام وسمعت سماعاً دون أن تقرأ أن الحقوق في الإسلام كلها للرجل ولا حق للمرأة![1].

ولما تعرفت على المركز الإسلامي في ميونخ بدأت تقرأ عن مكانة المرأة في الإسلام من منشورات المركز وتغيرت الصورة عندها نوعاً ما، لأنها لم تتم قراءة الكتب التي أهديت لها من المركز.

قلت: هل عندها اطلاع على الأديان المقارنة؟.

قالت: أنها قرأت عن المسيحية واليهودية أثناء الدراسة وأخذت من المركز كتباً عن الإسلام قبل أسبوع فقط ولم تقرأها إلى الآن، وإنما أخذت منها الموضوعات المتعلقة بالمرأة والزواج، وتعتقد أن الأديان من منبع واحد، والأصل أن تطلب الأديان من الناس أن يسيروا على منهج حياة واحد.

قلت: هل يوجد في الغرب ما تتطلبه الروح مع ما وجد من اهتمام بالجسد؟.

قالت: أنها ترى من حياتها في الدراسة وصداقة الناس أن المال لا يسعد الإنسان، وأن الغربيين يشعرون بالخواء الروحي والفراغ والوحدة والوحشة وخاصة في المدن الكبيرة، أما القرى فالأمر أخف وتوجد بين الجيران في الأرياف علاقات.

وقد أدى انعدام العلاقات بين الناس في المدن إلى انتحار بعض الناس، وقالت: إن بعض أصدقائها انتحروا وآخرهم فتاة صديقة لها انتحرت في العام الماضي وهي تملك المال والجمال.

---

(١) سمعت ما ينفرها عن الإسلام، لأن الحقوق في الإسلام كلها للرجل وليس لها هي حقوق!!.

http://kotob.has.it

وقالت: أنها قبل نصف سنة زارت سيرلنكا وشاهدت الناس فيها على رغم فقرهم يشعرون بالطمأنينة أكثر، وأثناء حديثها مع أهل سيرلنكـا أحست أنهم يغبطون أهل الغرب ويتمنون أن يكونوا في بلاد الغرب، قالت: ولكنها تشعر هي أنهم إذا هاجروا إلى الغرب سيكسبون المال ولكنهم سيفقدون السعادة التي عندهم الآن.

وقالت: إن الذي أزعجها في الشرق الصورة السيئة التي عندهم عن النساء في الغرب، وكأنهن كلهن متهتكات وأن بعض الأشخاص في سيرلنكـا سألها بعض الأسئلة أحست فيها بالاتهام والإهانة للمرأة الغربية.

قلت: هل تعلمين أن الأناجيل مختلفة وليست متفقة؟.

قالت: هذا صحيح، إنه يـوجد خـلاف في الترجمـات بين الكنائس المختلفة، وعلى سبيل المثال الاختلاف: هل كان عيسى عليه السلام الابن الوحيد لمريم العذراء أو سبقه ولحقه إخوة له آخرون، فترجمات الأناجيل تختلف في ذلك وأساتذة علم اللاهوت يختلفون كذلك.

وقالت: إن أستاذة في اللاهوت أصرت أن مريم لا يجوز أن يطلق عليها لقب العذراء لأن علم وظائف الأعضاء الحديث ينفي أن تكون مريم عذراء وهي قد أنجبت، وقد فصلت هذه الأستاذة من الجامعة وسحب منها ترخيص التدريس وهي في ألمانيا.

قلت: هل الاختلافات بين الأناجيل كثيرة أو قليلة؟.

قالت: لعل سبب الخلاف الأخطاء في الترجمة، لأن الأصل غير موجود والأخطاء قليلة وقد تمت كتابة الأناجيل من قبل حواريي المسيح ما بين ٣٠ ـ ١٥٠ سنة بعد الميلاد وهذه الصحف غير موجودة ولا أحد يعرف مكانها وإنما تم تداول الصحف الجديدة.

والكتاب الذي يعتقده النصارى القديم والجديد، ولم يبق من القديم إلا الوصايا العشر، وصحف إبراهيم لم يبق منها شيء.

http://kotob.has.it

قلت: هل سمعت أن الإسلام هو الدين الأخير العالمي الذي يجب على كل الناس اتباعه؟.

قالت: سمعت أن كلاًّ من أهل الأديان يحترم الآخر، ولم تتصور أن الإنسان لا يمكن أن يكون نصرانياً ومسلماً في وقت واحد، ولم تسمع إلا أن هذا القرآن ذكر أن عيسى عليه السلام نبي فقط.

قلت: هل سمعت أن هناك جنة وناراً؟.

قالت: سمعت أن الله يحاسب الخلق فيثيب الصالح بالجنة ويعاقب العاصي بجهنم، والعاصي هو الذي لا يؤمن بالله وإنما يؤمن بالشيطان.

قلت: هل الأقرب إلى العقل الإيمان بإله واحد أو بآلهة متعددة؟.

قالت: اليونان القدامى كان الأيسر عندهم تصور أن لكل مهمة إلهاً فاطمأنوا إلى قضيةالتعدد، وأما العهد القديم والجديد فهما يتحدثان عن الإله الواحد مع بعض الاختلافات، موسى في العهد القديم أمر بالقصاص: السن بالسن وفي العهد الجديد أمر بالتسامح.

قلت لها: ولكن التثليث عند النصارى هو الذي يعتقدونه.

قالت: المراد إله واحد في أشكال ثلاثة.

قلت: ألا ترين أن الإيمان بإله بهذه الصفة فيه صعوبة؟ وذكرت لها أنه يوجد هذا الكون المخلوق، ويوجد خالق له والخالق لا بد أن يكون واحداً وهو الإله، وهذا الإله عليم حكيم خبير بدليل الإتقان...

قالت: هذا هو الذي أشعر بأنه الحق، والرسول(ﷺ) عهده قريب.

وقلت لها: إن القرآن الكريم اعترف بجميع الأنبياء والرسل من آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم إلى عيسى عليهم السلام.

فقالت: أنا لم أكن أعرف إلا أن القرآن اعترف بعيسى فقط.

قلت لها: هل يوجد تشريع لحياة البشر في الإنجيل؟.

http://kotob.has.it

قالت: هذا مستحيل، لأن الوصايا العشر المذكورة في الإنجيل قواعد عامة عن الظلم أو السرقة ونحوهما، ولا يمكن أن تستوعب تنظيم حياة البشر، والدولة انفصلت عن الكنيسة، والقانون له هيئة مستقلة عن كل شيء ولا صلة بين الإنجيل والقانون، والباقي من أشكال المسيحية في موضوع الزواج بشكل ضعيف للغاية، فلا بد أن يتم الزواج المدني أولاً أمام السلطات الحكومية، وبعد ذلك وليس قبله يتم الزواج في الكنيسة.

وقالت: أنها سعيدة باستقلال الدولة عن الدين على الرغم أنها كاثوليكية الأصل، وقالت: يجب على الإنسان أن يفكر في الأجانب وخاصة المسلمين ولو كان الإنجيل هو القانون الموجود، فيصعب أن يعيش المسلمون في هذا المجتمع.

وقالت: إن الدين ضروري لحياة الإنسان، لأن المؤمن له هدف يعيش له، وإلا صارت الحياة لا طعم لها[١].

وقالت: إن والدتها مات زوجها الأول والثاني وفقدت أحد أولادها ومرت عليها أيام عصيبة في حياتها: مشكلات مالية وغيرها، فإذا كان هذا هو كل الحياة فلا حياة سعيدة والانتحار أولى منها ولكن الدين يعطي الإنسان أن وراء هذه الحياة حياة أخرى فيصبر ويؤمن لمستقبل حياته.

ثم شرحت لها كيف بين الله علاقات الناس بعضهم ببعض ونظم حياتهم.

وسألتها: هل تحب أن تتعلم الإسلام؟.

فقالت: المشكلة في عدم تعرف الألمان على الإسلام بسبب أن الأتراك حضروا للعمل وجمع المال ولم يكن عندهم عوائل ولهذا لم يعرف الألمان العلاقات العائلية بين المسلمين من قبل، أما الآن فبدأ المسلمون يظهرون وجودهم وبدأت الأسئلة تزداد من قبل الألمان، لأنهم رأوا واقعاً جديداً يحبون أن

---

(١) تأمل كيف تقول: إن الدين ضروري لحياة الإنسان وإن الحياة لا طعم لها بدونه، وفي نفس الوقت تقول: أنها سعيدة باستقلال الدولة والقانون عن الدين! وقد يكون لها حق بالنسبة للدين الكنسي الذي لا يملك منهجاً يسير حياة الناس. أما الإسلام فشأنه آخر.

http://kotob.has.it

يعرفوه حتى فكر البرلمان أن يسمح للمسلمين بـالمشاركـة في الانتخابـات المحلية، لأنهم صار لهم كيان في المجتمع.

وقالت: أنها تحب الاطلاع وهي تقرأ الآن عن الإسلام وتريد أن تقرأ عن الإسلام ـ كمدخل ـ ما يكتبه الألمان عن الإسلام حتى تأخذ فكرة عنه بلغة اجتماعية تفهمها، وبعد ذلك ستقرأ عن الإسلام مما يكتبه المسلمون.

قلت لها: ما أهم موضوع يقلق أوروبا الآن؟.

قالت: القنبلة النووية وما يتعلق بها من مخاطر، فشرحت لها كيف يحافظ الإسلام على السلام العالمي لو مكّن في الأرض، وأنه لا يجيز استعمال السلاح إلا ضد المقاتل فقط.

قالت: ولكن الخميني الآن يريد نشر الإسلام بالقوة.

قلت لها: الخميني لا ينشر الإسلام والقتال الموجود بين العراق وإيران ليس من أجـل الإسلام. وإنمـا هو أحقـاد بين الحكام وأهـواء، ومنهـج الإسـلام غير تصرفات من ينتسب إليه تصرفاً سيئاً.

ثم دخلت معي في نقاش حول المرأة وكانت متبعة لهواهـا في هذه المناقشة، فهي ترى أن لها الحرية الكاملة في نفسها تعاشر من تشاء في أي وقت أو مكان بعلاقات لا صلة لها بالزواج، وقالت أنها تعيش مع صديق لها وتحبه وليس للدين دخل في ذلك.

وقالت: إن لها الحق أن تكشف ما تشاء من جسدها وليس للدين أن يتدخل في حريتها وإذا كشفت جسدها فليس للرجل الحق أن يعتدي عليها بدون إذن منها، فإذا فعل بدون إذن فهو قليل الأدب، وهو المسؤول عن تصرفه.

فقلت لها: أنت عندما تكشفين عن مفاتنك تتسببين في إثارة الرجل وتدعينه بلسان حالك إلى التطلع إلى العلاقة غير السليمة، وإذا كنت تصونين مالك فتودعينه في البنك ولا تتركينه في منزلك خشية السطو عليه فإن جسمك أولى بالصيانة.

http://kotob.has.it

ثم أين اعترافك بالدين الذي ذكرت أنه ضروري وأين الإلّه الذي تعترفين به وهو الخالق المالك؟.

قالت: أنا لا يملكني أحد، أنا حرة ولست عبدة لأحد. وطال النقاش في هذا الموضوع كثيراً وهي مصرة على رأيها!.

فليتأمل كيف يفكر أهل الغرب المثقفون ثقافة عالية عندهم وكيف يتناقضون في أقوالهم وأفعالهم.

محامية قانونية بلغت من العمر أكثر من ثلاثين سنة تعترف بالدين وترى أنه ضروري وتعترف بالخالق الإلّه ثم تقول إن هذا الخالق ليس هو مالكها ولا هي مملوكة له وإنما تملك نفسها وليس للدين الحق أن يتدخل في حياتها وإنما هي حرة حرية كاملة تفعل ما تشاء وتربط من العلاقات ما تريد!.

إن دعوة أهل الغرب مع هذا التفكير ليست سهلة وإنما هي في غاية الصعوبة، ولذلك فلا بد من دراسة أفكارهم ونفسياتهم والتخطيط لدعوتهم على ضوء ذلك، وقد حاولت أن أشرح لها الحكمة في خلق الله البشر ولكن دون جدوى.

وقد بدأ الحديث معها من الساعة الرابعة إلا ربعاً بعد الظهر وانتهى في الساعة السابعة والنصف.

http://kotob.has.it

(٧)

صيد ![1]

وبعد أن تحركنا[2] قليلاً قافلين وجدنا شاباً ألمانيا واقفاً بجانب الطريق يطلب الوقوف والمطر نازل بغزارة فوقفنا وكانت سيارته واقفة على جانب الطريق، فقال: إن سيارتي معطلة فأرجو أن تأخذوني معكم إلى ميونخ لآخذ من يسعفني بسحبها، فركب معنا وبدأت أنظر إليه وأطلب من الأخ يعقوب أن يترجم بيني وبينه فقد ذهب في هذا اليوم وقت طويل لم أقابل فيه أحداً، ولكن الأخ يعقوب كان خائفاً لأنه لا يجيد الترجمة فقلت: نسأل أسئلة سهلة. قلت له: هل سمعت شيئاً عن دين يسمى الإسلام؟ فقال: لا، قلت: مطلقاً؟ قال: مطلقاً، قلت: هل سمعت عن رجل يدعى محمداً، وهو نبي؟ قال: أبداً، قلت له: هل سمعت بكتاب يسمى القرآن؟ قال: لا.

فتعجبت من ذلك، لأن الذين اتصلت بهم قبله كانوا يقولون أنهم سمعوا عن الإسلام في المدارس مطلق سماع.

فسألته: هل درست؟ فقال: لا، فعرفت السبب.

فسألني، قال: ما معنى الإسلام؟ **قلت له**: دين أنزله الله، **فقال**: الأديان كثيرة ولا يدري الإنسان أي دين يتبع، فقلت له: اقرأ واسأل وقارن فستجد ديناً من الأديان يوافق الفطرة وستجد غيره يخالفها، ووعدناه أن يتصل به الأخ يعقوب

---

(١) ١١/١١/١٤٠٧ هـ.

(٢) من أعلى جبل في منطقة قارمش كان مغطى بالثلوج.

http://kotob.has.it

ليشرح له الإسلام، وهو موظف في دكان يبيع الراديو، وعمره ـ كما قال ـ عشرون سنة إلا ثلاثة أسابيع، وعمر والده اثنان وأربعون عاماً وعمر أمه **٣٥** سنة.

وهذا اسمه وقد كتبه في مذكرتي التي أكتب فيها بيده[١] (WOLFGANG GRUBER).

* * *

(١) انظر الصورة رقم [٧] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

(٨)

لقاء مع ألماني غير مسلم هو الدكتور[١] (Dr. P. R.).

مؤهله دكتوراه في الحقوق.

التقينا به في الساعة السادسة مساءً.

رحب بنا وقدم لنا الضيافة: الشاي والقهوة وبدأ حديثه بقوله[٢]: أنا مسيحي بروتستانتي، وزميلي هذا مسيحي كاثوليكي وطبعاً الإسلام يحاول التأثير على المسيحية والمسيحية تحاول التأثير على الإسلام. وعلى المدى البعيد الجبهة ليست هي هذه، بل هي في موقع آخر، وأعتقد أن الجبهة ليست مقابلة مسيحيين لمسلمين وإنما جبهتنا المشتركة مع الملحدين، الذي عنده القوة الإيمانية بالله تعالى، هذا الإيمان على المدى البعيد يجعله يتصرف تصرفاً يختلف عن تصرف الشخص الذي يقول: لا توجد حياة بعد الممات ولا توجد إلا الحياة الدنيا.

ولا أريد من هذا إخفاء الفوارق الموجودة بين المسلمين والمسيحيين، لأنا لو أردنا ذلك نكون غير نزيهين تجاه أنفسنا.

ولكن بهذه المجابهة الكبيرة ـ أي الوقوف ضد العدو المشترك ـ سنكون كلنا على جانب واحد.

---

(١) في ١٢/١٠/١٤٠٧ هـ.

(٢) كان المترجم الدكتور طالب السلطان وهو عراقي، وحضر المقابلة الأخ أحمد محمود خليفة، رئيس المركز الإسلامي في ميونخ.

http://kotob.has.it

فقلت له: هذا الكلام صحيح في جملته، ونحن فعلاً نشترك في أن أمامنا عدواً عقائدياً واحداً، وهو الإلحـاد، والمفكرون المسلمون في البلدان الإسلامية إذا قدروا على إدخال ما يرَونه في مناهج التعليم مما يقف ضد الإلحاد ويجتث أصوله ويحطمه بحجج دامغة، وهي في الإسلام ليست خافية، فإن الإلحاد لا يستطيع أن يزور الشباب الذين يتربون على تلك المناهج، وقد ذهب بعض الطلبة المسلمين من بعض الشعوب الإسلامية إلى موسكو للدراسة، وكانوا قد تحصنوا في دراستهم بما لا يقف موقف الدفاع فقط ضد الإلحاد، وإنما يهاجمه في عقر داره، وكان المشرف عليهم الذي يعلمهم اللغة الروسية يحاول أن يؤثر عليهم في تدريسه بأن يقنعهم بالإلحاد، ولكن الحجج التي تزودوا بها دمغته حتى وقف عاجزاً أن يقول لهم: من المعلم أنا أم أنتم؟ فقالوا له: المعلم هو صاحب الحق فترك جدالهم خاسئاً.

ونحن بحمد الله لا نخاف من الفكر الإلحادي، ولهذا قد يفرض على بعض البلدان الإسلامية بالقوة وقد يبقى الحاكم ملحداً مدة طويلة ثم يذهب غير مأسوف عليه، وتحطم كل أفكاره الإلحادية بعده في خلال سنة واحدة أو أقل.

قال الدكتور: هذا هو أحد الجوانب، وهو الماركسية، ولكن عندنا مشكلة أخرى، وهي ارتفاع نسبة الإجرام في هذه المدن الأوروبية، تتفاوت نسبة هذا الإجرام ولكن الاتجاه العام هو في ارتفاع نسبة الإجرام المبني على القسوة، وعموماً: عدم الاهتمام بالآخرين.

العهر المنظم، وكذلك المخدرات المنظمة التي تقف وراءها المنظمات.

وفي هذا الأسبوع نشر في إحدى المجلات المعروفة المهمة مقالة طويلة حول أمستردام، وهذه المجلة اهتمامها يساري، ولهذا حظيت باهتمام أكثر في هذا الاتجاه.

وأنصح بأن تطلعوا على هذا المقال في هذا العدد.

أنا متأكد أن مثل هذه الأمور تنمو وتترعرع في ظرف يُفقَد فيه الإيمان بالله والعقيدة.

http://kotob.has.it

وهناك كتاب جيد لأحد المطارنة المسيحيين هنا وهو من أكبر المنظرين لدى البابا، وصف الكتاب هذه الروابط، وسأبعث هذا الكتاب إلى الدكتور خليفة وأرجو أن يعطيك الكتاب.

وأرى ضرورة العمل المشترك بيننا في هذا الاتجاه وأنا مقتنع بنجاح فكرتنا وأن النصر سيكون حليفنا، ولكن لا يجوز أن نقعد مكتوفي الأيدي ونقول: إن الله سيدبر كل شيء بدون عمل منا.

إذا سمحت لي بسؤال أود أن أوجهه إليك، وقد سبق أن تحدثنا عنه، وجرائدنا مملوءة به، وذلك أنه يقال: إن مناقشات طويلة عريضة في العالم الإسلامي حول التعصب والتمسك بالإسلام.. الحقيقة أنا من المتعصبين!.

قلت: بسم الله، الحقيقة الأمور هذه متشعبة ولكن نحاول أن نختصرها.

قال: شكراً ـ باللغة العربية.

قلت: أولاً بالنسبة للجريمة وانتشارها، الذي تكلمت به صحيح، وهو أن الإيمان هو الأساس في منع هذه الجريمة، وبالنسبة للمسلمين الجريمة عندهم لمكافحتها سببان رئيسان:

الأول: غرس الإيمان في النفس بالحجج التي لا يكون عند المؤمن فيها شك، بحيث إنني إذا قلت مثلاً: الإيمان بالله أثبته في نفسه بحجج قوية حتى لا يبقى عنده شك فيه، والإيمان بالله وصفاته في الإسلام موافق للفطرة والعقل، ويستعمل في تثبيت الإيمان بالحجج: القرآن والكون، لأن الذي يؤمن بشيء وفي نفسه منه شك لا يطيعه، وأستطيع أن أضرب مثلين باختصار، لسرعة الاستجابة عند المؤمن وعدم الاستجابة عند الشاكّ:

الخمر: كانت حلالاً في أول الإسلام، لم يحرمها أول ما جاء، وعندما حرمها الإسلام، صيانة للعقل حتى القليل الذي لا يسكر حرم في الإسلام من أجل صيانة العقل، كان الصحابة قبل التحريم يشربون الخمر، فلما نزل تحريمها أمر الرسول ﷺ أن ينادي الناس ويخبرهم بذلك، فنادى المنادي قائلاً:

http://kotob.has.it

ألا إن الخمر قد حرمت، وبدون شرطة ولا سجون ولا معتقلات الذي في يده الكأس تركها، والذي في فمه شيء من الخمر مجها، والذي قد شرب تقيأها من بطنه، هذه السرعة في الاستجابة كانت بسبب قوة الإيمان المغروس في القلب، **هذا هو المثال الأول**.

المثال الثاني: أمريكا في أول هذا القرن عندما رأت ضرر الخمر على الشعب الأمريكي أصدرت قراراً بتحريمها واستعملت كل وسائل الدولة لمنعها وحصلت بسبب ذلك خسائر فادحة ولكن الشعب الأمريكي رفض القانون بل ازداد في شرب الخمر، فاستسلمت أمريكا وألغت القانون والسبب في هذا العصيان والتمرد هو عدم وجود الاقتناع الإيماني في النفس، يضاف إلى هذا السبب، الذي هو الإيمان، أن المسلمين يربون أبناءهم أن تكون كل تصرفاتهم تدور حول هذا الإيمان، فالمؤمن الحق في أغلب أحواله لا يحتاج إلى السلطة البشرية تتابعه حتى يترك المحرمات.

أما الأمر الثاني مما يمنع الجريمة فهو أن الذي يربى على الإسلام والمعاني الإسلامية الاجتماعية وغيرها إذا خرج عن هذا الخط فإن في الشريعة الإسلامية في القرآن وفي السنة عقوبات بعضها محددة وبعضها غير محددة على حسب عظم الجريمة، ونحن نعرف أن العقوبات في الإسلام الفكر الأوروبي لا يقبلها، ولكن أعتقد أن الأوروبي الذي يدرس الإسلام من أصوله أولاً من القرآن والسنّة ويعرف معنى الإيمان ويطلع على أسلوب التربية الإسلامية ثم يدرس شروط تلك العقوبات وما يتعلق بها والثمار المترتبة عليها فإنه سيقبل ذلك.

وعندي كتاب صغير كتبته بعد أن قرأت أربعة كتب هي باللغة العربية ولكنها في الحقيقة ترجمة لكتب غربية تتحدث عن سبب الجريمة وتذكر النظريات التي ينقض بعضها بعضاً ولم تخرج بنتيجة، فتتبعت القرآن والسنّة وبينت في هذا الكتاب سبب الجريمة الأصيل، وليست الأسباب الأخرى إلا فروع له، والكتاب موجود في المركز وأرجو أن يترجم لك الأخ أحمد خليفة ذلك إذا تيسر.

http://kotob.has.it

فقال: نعم، نعم، أنا في الحقيقة يهمني هذا الكتاب وإن شاء الله أطلع عليه.

أما بالنسبة لسؤاله عن العودة إلى الأصول، فقل له: الدين الحق هو ما نزل في القرآن والسنّة، والقرآن عندنا ثابت لا شك فيه، روته الأمم الإسلامية بعضها عن بعض يحفظه الصغيرعن الكبير من عهد الرسول ﷺ إلى الآن، ونعتقد أنه لا سعادة للمسلمين، بل للبشرية كلها إلا به كما نص عليه القرآن، هذا ما نعتقده لنكون صرحاء، والمسلمون إنما أصيبوا بالمشكلات والبلايا العظام في هذا العصر بسبب بعدهم عن الإسلام ولو رأى غير المسلمين التطبيق العملي فعلاً للإسلام من جهة الحكومة والشعب لما رأَوا فيه إلا الأمن والسلام والسعادة، فعندما يقال: إن بعض المسلمين يريدون الرجوع إلى الأصول، المسلمون كبقية أهل الأديان الأخرى عندهم خلافات، فالأصول التي يريدها فقهاء الإسلام هي تطبيق الإسلام في كل شيء صالح في الحياة ـ وكل ما في الإسلام يحقق ذلك ـ سواء كان من العلوم الكونية التجريبية أو من الأفكار الطيبة التي لا تخالف القواعد الإسلامية، وليس هو الوحشية والتزمت الذين يرمى بهما الإسلام إما بسبب سوء التصرف من بعض المسلمين أو بسبب الحقد من بعض أعداء الإسلام، فنحن نعرف أن المستشرقين ينقسمون إلى قسمين، قسم يغلب عليهم العدل والإنصاف وهؤلاء أنصفوا الإسلام ـ وإن وقع منهم غلط بسبب سوء الفهم ـ في كتبهم، وأذكر منهم المستشرقة الألمانية زغريد هونكه في كتابها المسمى «**شمس الله تسطع على الغرب**»، وغوستاف لوبون الفرنسي في كتابه: «**حضارة العرب**».

ونحن الشيء الذي ندعو له غير المسلمين أن يحاولوا دراسة الإسلام من مصادره الأصلية ولا ينظروا إلى تصرفات المسلمين فقط، لأن المنهج يدرس من حيث هو منهج.

فقال: طبعاً الجرائد وبعض وسائل الإعلام يوجد فيها كثيرٌ مما لا يليق ـ يعني عن الإسلام.

http://kotob.has.it

قال: سؤال آخر، إذا كنت تسمح بالكلام عن العلاقة مع اليهود؟ **قلت**: مع اليهود؟ **قال**: نعم.

قلت: أنا بصفتي مسلماً أتحدث عن عقيدتي وموقفي ينطلق من هذه العقيدة.

أختصر له موقفاً تأريخياً: الرسول ﷺ عندما قدم إلى المدينة عمل وثيقة بين المسلمين والمشركين واليهود، لأن هذه الطوائف الثلاث هي التي كانت موجودة.

خلاصتها أن يكون كل من في المدينة آمنين على أنفسهم ولا يحصل تخريب داخلي ولا مؤامرة مع العدو الخارجي، ولكن اليهود أفسدوا داخلياً وتآمروا مع قريش الذين هم أعداء الرسول ﷺ، فالذين كانوا يستحقون أن يطردوا من البلد طردهم، يخرجون أحراراً أينما أرادوا، والذين كانوا يستحقون القتل لشدة فسادهم قتلهم، وعندما انتشر الإسلام في العالم، ذبح النصارى اليهود الذين كانوا بينهم في كل مكان لشدة فساد اليهود، ولم يحصلوا على الأمن إلا عند المسلمين، واليهود تأريخهم في كل العالم يدل على فسادهم، وقد احتلوا فلسطين وأخذوا أرض المسلمين والنصارى الموجودين فيها، وكل من يريد مساعدة الفلسطينيين طردوه وهم جسم غريب في الأمة الإسلامية، هذا اعتقادي واعتقاد كل من هو مثلي من طلبة العلم، والشعوب الإسلامية كلها على ذلك، وبعض الحكومات العربية قد اعترفت باليهود وبعضها تحاول أن تعقد سلماً مع اليهود، فإذا حصل هذا السلم ظاهرياً فأعتقد أن اليهود سيؤذون أهل المنطقة فيما بعد إذا استقروا وتقوّوا، وعندنا أحاديث عن الرسول ﷺ صحيحة تدل على أنه في آخر الزمان سيكون قتال بين المسلمين واليهود وأن المسلمين سينتصرون عليهم، وهذه عقيدتنا، وإن كان بعض حكام الشعوب الإسلامية قد أذلهم الله فابتعدوا عن هذه العقيدة.

قال: أنا في الحقيقة يسرني أني سمعت هذا، وموقفنا نحن الآن أعبر عنه تعبيراً فقهياً كما ذكرتم، وهو أننا في وضع شبيه بالوضع الذي جاء فيه

http://kotob.has.it

الرسول (ﷺ) إلى المدينة - يعني أنهم يريدون الأمن لكل الطوائف الموجودة في ألمانيا أنا أشكرك أنك بينت لي رأيك بهذه الصراحة لأني كذلك يسرني أن أعرف الرأي الصحيح لأننا غالباً ما نسمع الأخبار عن المسلمين من طرق متعددة: تأتينا من الخميني ولبنان ومن نيويورك تايمز، ويسرني أنك الآن تتكلم بهذه الصراحة، وتعلم بأن رئيس وزرائنا له علاقات طيبة وقوية مع البلاد العربية ونحن منطلقنا أنه يجب أن نتكلم مع جميع العرب ولا نتصل بأحد دون أحد، لكن لا نقبل شيئاً واحداً، وهو أنه إذا وجد عندنا في بلد مّا قتال ونزاع نقل من مناطق أخرى إلى بلدنا فإنا من هذه الناحية. . . إذا اطلعنا على شيء فسنحاول القضاء عليه، هذه الأشياء تفسد العلاقة بيننا وبين المسلمين، عندنا مناقشات كثيرة مع مجموعات لبنانية، وخاصة ما يجري الآن في قضية عباس علي حمادي وأخيه محمد علي حمادي[1]. ضع نفسك في موقفنا إننا سنتصرف تصرفاً ليس فيه مساومة، ويهمنا جداً أن نقول لشرطتنا إن المسلمين وقادتهم يؤيدوننا في تصرفنا، لأننا لو لم نتصرف بهذا الشكل فإن شعبنا سيرتبك، ونحن كذلك حصلت تهديدات علينا من مجموعات لبنانية، قالوا: إن الأشياء التي حصلت في باريس سنجعلها تحصل عندكم، وهذا سيجرنا إلى موقف حاسم، وأرى أنه لا داعي للتوكيد على هذا الأمر، ولكن الشيء الذي هو أتعس أن التصرفات هذه تعطي صورة سيئة عن المسلمين ككل. ويوجد عمل مشترك إيجابي جداً مع المجموعات الإسلامية الموجودة هنا، ولا أقول التصرف السيء سيقضي على ثمار هذا العمل المشترك لكنه سيعرض هذه الثمار للخطر، أنا أرجوكم أن نجد من جانبكم الدعم الكافي. **قلت**: أنا دخلت إلى ألمانيا بجواز مختوم بختم سفارة ألمانيا في بلادي وأعتقد أن هذا الختم على جوازي بيني وبين ألمانيا أن لا أعمل فيها إلا الخير هذه مقدمة، وأعتقد ويعتقد المسلمون - فقهياً - أنه ما دام بين المسلمين وغيرهم عهد وليس بينهما حرب أنه لا يجوز للمسلم أن يعتدي

(١) وهما أخوان عمر الأول ٢٩ سنة اتهم باشتراكه في خطف بعض الألمانيين في بيروت، والثاني اتهم بخطف طائرة أمريكية إلى بيروت سنة ١٩٨٥ وبدأت محاكمة الأول في ألمانيا في ١٤٠٨/٥/٦ هـ الموافق ١٩٨٧/١٢/٢٦ م.

http://kotob.has.it

على غيره لا في ماله ولا في نفسه ولا في عرضه، وكل تصرفات الفساد التي تخالف هذا لا يقرها الإسلام، ونحن نقول للذين يعملون هذه الأعمال: إذا كنتم صادقين فعليكم بعدوكم في بلادكم، فهذا المعنى الذي أذكره هو ما يعتقده عامة المسلمين، ولا يرضون بسواه.

وأعتقد أن الحرية التي توجد في بلادكم على ما فيها من مفاسد أخلاقية وغيرها لا يجوز أن تستغل للإفساد.

قال: شكراً (هكذا باللغة العربية) في الحقيقة هنا كذلك جبهتنا واحدة، فنحن واقفون في جبهة واحدة، لأنه لا شك يوجد عندنا أيضاً إرهابيون مسيحيون كذلك، ويوجد ارتباك وسببه بدرجة كبيرة اللغة.

ويوجد كتاب كتبه شخص في عام ١٩٣٠ يصف فيه ما سيحصل في عام ١٩٨٤، يعني يصف الحياة بعد خمسين سنة من تأليفه، يصف أن الحياة ستكون في سنة ١٩٨٤ في إرهاب مذهل، وأن الطبقة المسيطرة تبقى بيدها زمام الأمور وتحاول دائماً تقلب الكلمات، مثلاً: وزارة الدعاية والإعلام يسمونها وزارة الحقائق، وإذا صدر مرسوم باضطهاد الناس واستعبادهم يقلبون العبودية فيقولون حرية، وإذا صدر مرسوم يقتضي الغباء والبلادة يصفونه بأنه لإحلال القوة، وهذا ينطلق من جوهر يسمى: فن ازدواج الكلام (يقصد تحريفه) وفي جميع المجالات، وهذا الأمر يلعب دوراً حتى في بلدان الشرق الأوسط فمثلاً بيع المخدرات الذي يجعل متعاطيها عبداً يقولون عنه أنه حرية، وضع القنابل في مقاهي بها نساء وأطفال يقولون هذه شجاعة، والانحطاط والفساد والانزلاق إلى الهاوية، هذا يقولون حرية. وهذا مجال يجب أن نعمل فيه سوياً لاتقاء شره، لا أريد أن أبتعد عن مناقشاتنا حول اليهود ولكن المعركة الرئيسية والهدف الكبير هو القدس الكبيرة هو العالم كله وهذا لازم يكون منطلقنا كلنا.

والآن المنطلق الرئيسي ما يكون هذا مسلم وهذا يهودي وهذا مسيحي لأننا في هذه الحالة ٩٠٪ من إمكاناتنا ستذهب هباءً وسنختلف على أشياء ثانوية جداً، وأنا أشبه ذلك بسفينة تكاد تغرق ونحن نتعارك على أي قطعة موسيقية

http://kotob.has.it

تعزف، هذا يقول: أعزف القطعة الفلانية والآخر يقول أعزف القطعةالفلانية والسفينة تغرق.

وهذا المجال الرئيسي، فقد وصفت بحق هذا المنطلق الرئيسي للإسلام فإذا تركنا السياسات الجزئية فإن الأكثر من اليهود والنصارى سيقفون بجانبك(؟!) دخلنا في فلسفة معقدة وأشكرك على زيارتك، هذه زيارة صديق.

(ثم تحدث عن مدينة ميونخ وقال): إنها سميت بذلك لأنها بلد الرهبان وأن ذلك يدل على أن جذور النصرانية فيها عميقة جداً. وسياستنا هنا تنطلق بدرجة كبيرة جداً من احترام الأديان وبصورة خاصة الدين الإسلامي، ونحن معجبون بنظام المؤمنين - يعني المسلمين - ونرى أنهم يسبقوننا في كثير من المجالات.

ثم سألته عن الوقت الذي سمع فيه عن الإسلام من عمره.

قال: كان عمري سبع سنوات.

قلت: أمن مصادر تمدحه أم تذمه؟.

قال: سمعت أشياء إيجابية، وبعضها بين بين، وقسم قليل سلبي.

قلت: والآن؟.

قال: بالنسبة لي أرى ثلاثة أشياء سيئة جداً:

١ - طريقة الإرهاب بين العرب واليهود، ليست قضية القتال، ولكن أريد رمي القنابل على حدائق الأطفال وشبهها.

٢ - طريقة معاملة العرب والمسلمين بعضهم مع بعض في لبنان، مثل مخيمات صبرا وشاتيلا، بحيث يمنعون حتى المواد الغذائية.

٣ - نتائج طريقة الخميني، ولا أنسى أن هذه الثلاث موجودة عند المسيحيين، وهي فضائح.

وأقول أشياء إيجابية:

كان عندي تحفظات حول نشاط الدعوة الإسلامية في بلادنا خشية من

http://kotob.has.it

المنافسة بين مسيحيين ومسلمين (ثم شرح وأشار إلى الأخ أحمد خليفة وقال الدكتور أحمد خليفة يجعلنا مسلمين) ولكن لما تعرفت على الإخوان هنا ـ يعني المسلمين ـ صرت ألمس أهمية هذا العمل.

أنا يعجبني جداً التأدب والتضامن الموجود بين المسلمين، وكذلك يعجبني الاهتمام والتركيز على النشاطات الاجتماعية مثل المدرسة.

قلت له: عندي تنبيه، كل التصرفات التي ذكر أنها سيئة كلامه صحيح فيها ولكن هذه التصرفات خارجة عن المنهج الإسلامي.

قال: نحن ننظر إلى العمل السيىء الآن بغض النظر عن الهوية التي تكتب على الورقة والانطباع الرئيسي للعرب في بلادنا توجد كتب يقرأها الأطفال يجدون فيها ما يجعلهم يحترمون العرب.

ثم ذكر ما رآه من كرم العرب وأخلاقهم وأن كثيراً من الألمان يعرفون ذلك بسبب زياراتهم للبلدان العربية، ثم قال: الله أكبر!

قلت: ما المساعدات التي يمكن أن تقدمها ألمانيا للمسلمين في نشر دعوتهم بين أبنائهم والمحافظة عليهم؟.

قال: أنا إذا تكلمت من منطلق أني حقوقي أي متخصص في الحقوق، فالإسلام ينبغي الاعتراف به، بحيث تكون عندنا جمعية مسجلة ولكن عندنا بيروقراطية (يعني روتيناً) والمفروض أن تجتمع مع بعض وتختار لها رئيساً، يعني أن المسلمين يجب أن يجتمعوا على رئيس واحد ويعترف بهم رسمياً، ولكن الروتين يؤخر ذلك.

وانتهى الاجتماع في الساعة السابعة والدقيقة العشرين.

وقد كانت هناك نقاط تحتاج إلى مزيد من المناقشة ولكن وقت الرجل كان ضيقاً لأن عنده موعداً آخر، فما أحببت أن أثقل عليه، ولعل ما ذكرته أولاً عن اليهود وعن الإسلام يكفي.

* * *

http://kotob.has.it

(٩)

اللقاء مع المستشرق الألماني[١]: د. كارل بين سوانجر
(Dr. KARL BINSWANGER)

في المركز الإسلامي في ميونخ، ترجم الحوار الأخ أبو بلال.

وهو صحفي ومستشرق ـ يعني أنه درس العلوم الشرقية ـ ويحضّر أخبار التلفزيون الأول والثاني، وراديو لكسمبورج ومعظم المجلات الحرة. وهو متخصص في الدولة العثمانية وتاريخها ووضع الأتراك في ألمانيا بالذات، ويجيد اللغة التركية ويقرأ خمس جرائد تركية عن وضع الأتراك في ألمانيا.

ويوجد برنامج في القنال الثانية من ألمانيا موضوعه:

جيراننا في أوروبا، يتحدث عن العاملين في ألمانيا، من اليوغوسلاف والأتراك واليونانيين والأسبان والبرتغال والطليان، وهو يعمل عملاً حراً ثابتاً في هذا البرنامج، وكل أسبوعين يكون فيه برنامج عن الأتراك باللغة التركية.

ويحضّر برنامجاً شهرياً لمدة خمس دقائق بعنوان: ماذا تتحدث الصحافة التركية عن ألمانيا؟.

ولد كارل في سنة ١٩٤٧.

سرد هذه المعلومات، ثم قال: أتشرف بلقائك يا دكتور!.

قلت: وأنا يسرني هذا اللقاء معك.

---

(١) ١٤٠٧/١١/١٣ هـ.

http://kotob.has.it

(ثم تحدث عن صلته ببعض المسلمين في داخل ألمانياوخارجها وأطال في ذلك بما لا داعي لذكره، ويبدو أنه قصد أن يطمئنني بذلك حتى أثق فيه).

قلت له: ما دينك وما مدى تمسكك به؟.

فقال: هو كاثوليكي، وليس شاذاً جنسياً، ولكنه يعيش مع صديقته التي تدرس الاستشراق وتحضر الدكتوراه في الشؤون التركية، وبخاصة في جريدة سبيل الرشاد التركية[١].

قلت له: متى كان سماعك عن الإسلام؟.

قال: سمعت عن الإسلام في المدرسة في حدود السنة العاشرة من عمري في المرحلة الابتدائية، وأتذكر أنني قرأت كتاباً علمياً أظن أن اسمه: «ألف سنة من عمر البشرية»، ووجد في الكتاب صورة للنبي ﷺ في حال دخوله فاتحاً مكة المكرمة(؟!).

قلت: ومتى سمعت عن الإسلام بوعي؟.

قال: الأولى أن يصاغ سؤالك هكذا: لماذا درست الاستشراق؟ ويمكن أن يكون الجواب على هذا السؤال مؤدياً إلى الإجابة عن سؤالك.

قلت: لا بأس المهم أن أصل إلى الجواب.

قال: حصلت مصادفات ارتبط بعضها ببعض، وساق قصة تسجيله في الجامعة، واختياره لقسم الاستشراق على رغم محاولة أستاذه صده عنه، ذكر أن رجلاً يدعى كارل ماي كتب عن شعوب غير أوروبية، تكرهها الشعوب

---

(١) الذي دينه النصرانية الكاثوليكية، يسأل عن مدى تمسكه بها فيجيب بما ينفي عنه ما يمكن أن يعد عيباً، وهو الشذوذ الجنسي عمل قوم لوط وبخاصة هذه الأيام التي يقال إن هذا العمل من أسباب انتشار مرض الإيدز لكن اتصال الرجل بالمرأة بطريقة غير طريقة الزواج لا تنفي أن يكون الكاثوليكي متمسكاً بدينه، وهذا ما فهمته من إجابة المستشرق كارل وعمره ٤٠ سنة!.

http://kotob.has.it

الأوروبية، منهم العرب، والهنود الحمر، والهنود، والصينيون فقرأ كتبه، قال: وإلى الآن ليس عندي معلومات وافية عن الإسلام.

قلت له: ما المصادر التي استقيت منها معلوماتك عن الإسلام؟.

قال: درست مادة الدولة العثمانية والإسلام شريعة ودرست اللغة العربية ـ كلاسيكية ـ يقصد اللغة الفصحى، يسمونها قديمة، واللغة العربية الحديثة وتخصصت في مقارنة الأديان وهجوم بعضها على بعض، ورد بعضها على بعض، ودرست حقوق الدولة والمجتمع والفرد في الإسلام.

قلت له: أريد أن تبين لي مصادرك التي استقيت منها في دراستك للإسلام، أي باب من أبوابه، هل درست كتب المستشرقين فقط، أو أخذتها من علماء مسلمين، أو مترجمة عن كتبهم؟.

فقال: إني قرأت الكتب كمادة أدبية بحتة باللغات التالية: الألمانية، الإنجليزية، الفرنسية، والإيطالية، والغريب الذي اكتشفه أن أوروبا ـ يعني حضارتها المادية ـ امتداد حضاري للشرق، يعني للإسلام، والغريب أن الشرق لم ينهض حضارياً إلى الآن في العلوم التي تطبقها أوروبا.

وقال: أنه قرأ عن ابن بطوطة وابن حزم وابن خلدون والغزالي بأي لغة كانت تقع في يده.

قلت: إلى الآن لم يجب عن سؤالي، وهو: هل مصادره استشراقية فقط أو مترجمة عن علماء المسلمين؟.

قال: أخذ من الجهتين، وذكر ممن قرأ لهم أبا الأعلى المودودي، وقال: إن الكتب التي درسها ترجمت بأمانة وثقة ـ ثم قال: ـ ولا تسألني بأي لغة وكيف قرأتها.

رسائل حسن البنا، وقصته في الدعوة وتاريخه في عشر رسائل باللغة التركية.

قلت: من خلال قراءاته عن الإسلام، هل اتضح له أنه دين عالمي يجب

http://kotob.has.it

على المسلمين وغير المسلمين أن يتبعوا هذا الدين؟.

قال: كونه عالمياً نعم ولا جدال في ذلك.

قلت: المقصود بكونه عالمياً أن الكتب التي سبقته قد حرفت وأصبحت غير صالحة، وأصبح القرآن الكريم والدين الإسلامي دين البشرية فرض على كل واحد منهم أن يدخل في هذا الدين، هل فهم هذا من قراءته؟.

فغضب الرجل واحمر وجهه وتلون، والتفت إليّ قائلاً باللغة العربية: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

قلت: السؤال فقط هو هل عرف هذا المعنى من خلال قراءاته فاستمر في غضبه، **وقال:** لو كنت شخصياً أؤمن بأن القرآن كلام الله لكنت الآن مسلماً.

قلت: سؤالي هو هل عرف أن الإسلام جاء بهذا المعنى ولم أسأله عما يعتقد.

فقال: نعم أنا فهمت هذا جيداً أن الإسلام جاء بذلك.

قلت: الإسلام عقيدة وشريعـة ونظام، وتربية اجتماعية، واقتصاد وسياسة وأخلاق حسنة، ما الذي اطلع عليه من هذه المعلومات وما الذي أعجبه أكثر منها؟.

تنهد الرجل، والتفت إليّ التفاتة المغضب، مع ابتسامة صفراء، **وقال:** أرجو أن تفهمني بوضوح لا تحرجني بأسئلة كثيرة، وقال: أنه ولد كاثوليكياً ودرس في روضة الأطفال وهي كاثوليكية، وتربى كاثوليكياً وعاش كاثوليكياً، ودرس الابتدائية، وكان حراً في ديانته لم يدرس ديناً إجبارياً، لأن البلد علمانية، وكذلك المدرسة العليا الثانوية والجامعة، وكنت حراً في اختيار أي دين دون أن يفرض علي أحد رأياً أو ديناً. ودرس الاستشراق مادة علمية بحتة، وكأي مادة أخرى ولم يدرس الدين عقدياً ليقتنع به أو لا يقتنع.

وقال: يجب أن تفهم أنني تربيت على فصل الدين عن الدولة، ويجب أن تعلم أنه منذ وجد إعلان حقوق الإنسان بأن الديموقراطية لها أساسان مهمان:

http://kotob.has.it

الأول: أن السلطات كلها بيد الشعب، ليس لأحد أن يفرض على الشعب شيئاً، وإنما الشعب هو الذي يقرر ما يريد.

الأساس الثاني: أنه لا يحق لأي إنسان أن يقتل إنساناً آخر ولو كان قاضياً، وبناءً على هذا فأنا تعلمت فصل الدين عن الدولة ويوجد في الإنجيل الوصايا العشر، ولكن هذه الوصايا أخلاقية، إن شئت اتبعتها وإن شئت تركتها، لا أحد يستطيع أن يفرض عليّ هذه الأشياء لأنها شخصية ولي كامل الحرية في الأخذ بها أو عدمه، فكونك تكلمني بهذه الأشياء العقدية وغيرها، أنتم تعتبرون ذلك جزءاً من الدين، وعندكم السلطة العليا هو الله، الله هو الذي يضع القانون، وهو الذي يضع الدستور، فهذه أنا شخصياً لا أقبلها تربينا أننا لا نقبلها.

قلت: قل ـ أخاطب المترجم ـ له: أنا ما قصدت إجباره على قبول هذه الأمور، وإنما هو مجرد سؤال، يجيب عليه بنعم أو لا، أعجبني هذا أو لم يعجبني، وأنا أكتب ما يقول نفياً أو إيجاباً ونحن عندنا في الإسلام: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾.

قال: النقطة التي أنت تسأل عنها تفهمها، بمعنى يختلف عما أفهمه أنا، لأنك مسلم وأنا مسيحي، فالأخلاق الإسلامية تحتاج إلى تفسير... وهكذا.

ثم تدخل الدكتور عبد الفتاح شوقي (وكيل النقابة العامة للأطباء في مصر، وكان في زيارة لألمانيا) محاولاً أن يوضح له ما أريد باللغة الإنجليزية، ولكنه قال: إن ما يفهمه عن الإسلام يتعارض تماماً مع الديموقراطية، ثم قال ـ من باب المجاملة ـ: أنا كما قال فيلسوف هندي أنا أختلف معك في الرأي ولكن أضحي بعنقي في سبيل الدفاع عن رأيك، وعلى الرغم من أنه يوجد تناقض بين الإسلام ـ أو قال الشريعة ـ وما نرى لكن نحن نحترم رأي المسلمين.

قلت: هذا السؤال نتركه، يبدو أنه لا يريد الإجابة عنه.

سؤال آخر: لو أتيحت له فرصة ليعرف عن الإسلام، هل يحب أن يعرف فعلاً عن الإسلام، وعن أي طريق يريد أن يعرف، عن طريق كتاب مترجم، أو

http://kotob.has.it

محاضرة أو عن طريق رجل من علماء المسلمين؟.

قال: يصعب أن أجيب بوضوح عن هذا، ولكن رأيي الشخصي أن يدرس الإنسان الإسلام دراسة علمية بحتة برأي حر، ثم يتصل بالمسلمين ليس في أوروبا، بل في بلاد الشرق، حيث الغالبية العظمى مسلمون، وهو قرأ ترجمة معاني القرآن عن طريق القاديانية، وقرأ ترجمته عن آخرين، ومع ذلك تبقى الصفة الغالبة في بلاد الإسلام، تركيا حاولت الابتعاد عن الإسلام ولكن تبقى صفتها الإسلام، وقد درس ثماني سنوات ونصفاً ويجب أن يقرأ الإنسان كثيراً، ويفضل أن يدرس ذلك في موطن الشيء الذي يريد أن يتعلمه[1].

قلت له: أقسام الأديان في الجامعات الأوروبية، هل يوجد في هذه الجامعات مسلمون يدرسون الدين الإسلامي كما يفهمه المسلمون أو أن المقارنات كلها تحصل من قبل غير المسلمين؟.

قال: لا يعلم بالضبط عن كل الجامعات، ولكن كثيراً من الذين يقال إنهم تخصصوا في شؤون الإسلام، تخصصهم سطحي والذي يأخذ الإسلام يأخذه من وجهة نظر معينة، وصرح بأنه يؤيد البهائية والقاديانية!.

قلت له: هل يعلم أن الفرقة الأحمدية فرقة غير مسلمة عند المسلمين؟.

فقال: نعم.

سؤال: يقال إن في الغرب حرية، فهل تخول هذه الحرية المسلمين أن يمتلكوا وسائل إعلام، كالإذاعة والتلفاز والصحافة لينشروا دينهم لأبنائهم في أوروبا ويحافظوا عليهم؟.

قال: الأصل في القانون أن كل إنسان له الحق أن يبدي رأيه بالكلمة الحرة، في الإذاعة والصحافة وبالصورة كاللوحات والتلفزيون وهذا سؤال قانوني، لا يستطيع الإجابة عليه بوضوح، ويمكن أنك تريد أن تسأل: هل يمكن

(١) كان من أهم أهدافي في الأسئلة التي أوجهها إلى المستشرقين أن أشعرهم بأنه من الظلم التحدث عن الشيء من غير مصدره الأصيل.

http://kotob.has.it

للمسلمين أن تكون لهم إذاعة حرة منفصلة أو برنامج تلفزيوني، وهذا لا أدري عنه.

قال له المترجم: يمكن بضع ساعات في الراديو، وبضع ساعات في التلفزيون، وليست إذاعة منفصلة ولا برنامج تلفزيوني منفصل؟.

فقال: نعم، هذا يحتاج إلى تقرير المسؤولين في الراديو والتلفزيون، ولكن هذا صعب، لا يوجد هنا مثل تعليم اللغات، أن يعلم الألمان الإسلام وهذا غير ممكن. وهناك ثلاثة أمور أساسية في الراديو والتلفزيون، وهي الأخبار السريعة والتعليقات السياسية والمحاورات والآراء المختلفة والموسيقى والدعاية، والإسلام لا يدخل في هذه الأشياء وإنما يدخل تحت البرامج الحرة، فأي إنسان له الحق أن يتكلم في الراديو والتلفزيون بصورة ما.

قلت له: هذا مجرد استطلاع، والمسلمون ليس عندهم استعداد ولا قدرة على ذلك.

قال: سمح في ألمانيا ببرامج التلفزيون عن طريق الكابل، برامج خاصة، ويمكن لأي منظمة قوية أن تنظم لنفسها ساعات معينة تتفق مع هذه الشركات وتبث ما تريد، ولا يمنع المسلمين شيء من ذلك.

قلت له: ما سبب فصل الأوروبيين الدين عن الدولة[1]؟.

فابتسم أيضاً والتفت إليّ وأطرق ساكتاً، فقلت للمترجم: قل له: أرجو أن لا أكون أثقلت عليه بهذه الأسئلة أو أحرجته، فليجب كما يريد عن أي سؤال أو يعتذر عن الإجابة إذا أراد.

فقال: هذه المقابلة شيقة كثيراً وبحق! **ثم قال**: توجد أسباب كثيرة: اجتماعية وسياسية ودينية والكنيسة نفسها لعبت دوراً في هذا، وأسباب نفسية، وأسباب تاريخية، لكن لذلك علاقة بالمسيحية فهي دين لا يوجد فيها نواة

---

(١) كنت أحاول أن أفرق بين الأسئلة التي أشعر أنه لا يرتاح لها بأسئلة أخرى.

http://kotob.has.it

للشريعة، ولا يوجد في لبها الدولة، ويوجد في الإنجيل الحالي، وأرجو أن تترك كونه محرفاً، بوضوح فصل الدين عن الدولة، وكذلك قال المسيح: ملكوتي في السماء وليس في الأرض، وقال: أعط ما لقيصر لقيصـر وأعطِ ما لله لله، فالمسيحية بأصلها ليس فيها ما يقيم دولة.

وعلماء المسلمين ينتقدون المسيحية بقوة، ولا يجد المسيحيون إجابة عن انتقادهم واضحة، وهو ما حصل في العصور الوسطى كيف فعلت الكنيسة بالعلماء من اضطهاد؟.

والكنيسة في ذلك الوقت أصبح البابا فيها هو القيصر والقيصر هو البابا، وهذا كان استغلالاً سيئاً للدين المسيحي والدين المسيحي بريء من ذلك، والآن عدنا إلى المسيحية من جديد، وهو الدين الصحيح وليس كما كان في العصور الوسطى.

والإسلام يختلف عن المسيحية اختلافاً جوهرياً فالإسلام من بدايته دين ودولة، بخلاف المسيحية، الإسلام منذ نشأته دين ودولة، والمسيحية كانت ديناً لا دولة، فاستغلت لتكون ديناً ودولة وكانت تجربة فاشلة والآن عدنا إلى ما كنا عليه في الحقيقة.

أما الإسلام فهو دين ودولة، وعندما لم يستطع المسلمون أن يفرضوا أنفسهم ـ يعني لم يقدروا على تطبيق دينهم ـ وضعفوا تركوا الدولة، والآن عادت الصحوة والنهضة الإسلامية، فهي في الحقيقة تريد أن تعيد للإسلام دولته التي هي أصلاً قام من أجلها، ولذلك لو عملنا الرسم البياني تجد أن المسيحية بدأت عالية ثم نزلت والآن عادت كما هي أصلاً، أما الإسلام فبدأ عالياً، والآن نزل ويحاول أن يرتفع وسينزل[1].

---

(١) انظر كيف يعترف مسيحي مستشرق متعصب حاقد بطبيعة الإسلام ـ على رغم تهجمه عليه ـ بأنه دين ودولة والذين يدعون الإسلام من العلمانيين يجحدون تلك الطبيعة، أما قوله: وسينزل فهو من حقده الشديد، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ﴾.

http://kotob.has.it

والإسلام والمسيحية اتفقا في شيء واحد: أن الإسلام شيء متفق عليه دين ودولة، فالمسلمون يريدون أن يعيدوه ديناً ودولة، والنصارى عرفوا أن دينهم ليس دولة فأرادوا أن يتركوا الدولة.

قلت له: المسلمون يعرفون أن الكنيسة عندما ذبحت العلماء وقتلتهم وسجنتهم كانت تعتدي عليهم باسم الله وهي كاذبة (وهنا تـدخل الـدكتور عبد الفتاح شوقي ليخفف الأسلوب، فقال: نقول: وعملها غير صحيح بدلاً من كاذبة، فوافقت وترجم له ذلك).

فقال: أرجو أن لا ندخل في هذه الموضوعات ولنتكلم في موضوعات أخرى، (**قال الدكتور عبد الفتاح**: أنه يشعر بـأنك تهـاجم دينه، وقـال لي المترجم: هو له كلام عن الإسلام، فتكلم معه الدكتور عبد الفتاح وطال النقاش) **فقلت للدكتور عبد الفتاح**: قل له: لا مانع أن يقول ما عنده عن الإسلام، وإن كان لا يريد مني أن أقول ما عندي عن المسيحية، لأني واثق أن حقائق الإسلام ستدفع أي فرية عليه، بخلاف المسيحية المحرّفة، فإنها لا تستطيع أن تقف أمام الحقائق الـواردة عليهـا.

فترجم له الشطر الأول من الكلام، وقال كلاماً يدل أنه ليس عنده وقت للنقاش، **قلت**: قل له يتكلم بما يريد فأنا سأستفيد من كلامه عاجلاً أو آجلاً.

وكنت أريد من ذلك أن يفهم أننا لا نخاف مثلهم من ذكر ما يزعمون أنه عيوب في الإسلام، لأن تلك العيوب مفتراة، بخلافهم هم يخافون من العيوب الموجهة ضد المسيحية، لأنها موجودة فيها ولأشعره بأنا مستعدون أن نسمع ما عندهم أكثر من سماعهم ما عندنا، كما كنت أريد أن أسمع من مستشرقي هذا الزمان، وهل يوجد فرق بينهم وبين أساتذتهم السابقين لأنهم يزعمون أنهم محايدون في بحثهم!.

فقال: الأمور التي أنتقدها هي:

أولاً: الحرية الشّخصيـة للإنسان، المسلم حر أن يـذهب إلى الفاتيكـان ويطلق

http://kotob.has.it

النار على البابا، كما فعل التركي، والمسيحي ليس من حقه أن يذهب إلى مكة والمدينة.

ثانياً: شبه الجزيرة العربية لا توجد بها كنيسة إلا في الكويت، وقال له المترجم: وفي الإمارات، وهو يقصد بخلاف أوروبا فإن فيها مساجد للمسلمين.

ثالثاً: الإسلام لا يعترف إلا بالأديان التي سبقته ولا يعترف بأي فكر ديني يظهر بعد، كالقاديانية، والبهائية، وشهود يهوى، فهؤلاء ما لهم في الإسلام إلا السيف، وهذا يخالف حرية الإنسان وحقوقه.

رابعاً: حرية المعتقد حسب ما نفهم في القانون الأوروبي يجوز أن يكون الإنسان ملحداً، والإسلام لا يعترف بذلك.

خامساً: حرية المعتقد في الإسلام أن الإنسان إما أن يكون ذمياً أو مسلماً، وإذا كان ذمياً، وهو الكتابي، فعليه أن يدفع الجزية مقابل أن يعيش في الدولة الإسلامية، أما عندنا فليعتقد الإنسان ما يشاء بدون أن يدفع شيئاً.

سادساً: المشكلة الأساسية عند المسلمين حرمة القرآن عندهم، فالقرآن لا يمكن مناقشته، أماعندنا فتوجد أربعة أناجيل، ليست كلام الله وفيها تناقضات، ولذلك يدرسونها بحرية ويعرفون من أين جاءت التناقضات وهذه الدراسة أدت بنا أن يتاح لنا حرية العلم فأصبح العلم عندنا حراً لا قيود عليه، واكتشف العلماء أشعة الليزر (واعترضه المترجم فقال: إن المسلمين هم الذين اكتشفوا ذلك).

قال: وعلى هذا الأساس ما دام المسلمون يعتقدون أن القرآن كله من أوله إلى آخره مقطوع به أنه من عند الله بلا مناقشة فلا يمكن أن تتحرر عقولهم (وناقشه الدكتور عبد الفتاح وهو المترجم في هذه النقطة قبل أن تترجم لي، وكان الدكتور عبد الفتاح غاضباً، والرجل لا يريد أن يسمع رداً على كلامه).

ثم تحدث عن الصحوة الإسلامية، **وقال**: المراد بها إحياء الإسلام في

http://kotob.has.it

النفوس، وهذا في الحقيقة تعصب، وختم كلامه بقوله: أشكرك على هذه المقابلة وأشكر المترجم.

قلت له: وأنا أشكرك كذلك، وما ذكرته دعاوى والدعوى تحتاج إلى محاكمة، فهل عندك استعداد للنقاش في هذه الدعاوى، أما أنا فعندي استعداد أن أبقى معك في كل جزئية ساعات، فقال: أنا متعب وأحتاج إلى الراحة، فلعلي أجد الدكتور قادري مرة أخرى وأقابله مقابلة أطول وقد أستفيد منه.

فقلت له: أنا لا أجبرك على البقاء وأنت لا تستطيع ولكن عليك أن تبحث عن الحقيقة لتجد أن كل ما ذكرته عن الإسلام له جواب من طبيعة الإسلام، وما ذكرته عن المسيحية له جواب من طبيعة المسيحية، وأما القوانين البشرية فالقرآن منزه أن يقارن بها. ونحن نعتقد أن قمة الحرية في الأرض لا توجد إلا في الإسلام، وأما غير الإسلام فإنما هو استعباد يسمى حرية.

فقلب الرجل يديه وقام مودعاً.

والحقيقة أن هذه الأشياء التي ذكرها تحتاج إلى أن يعرفها المسلمون المفكرون ويدحضوها في مناهج جامعاتهم ومعاهدهم ضمن مواد الاستشراق التي تدرس في بعض المعاهد الإسلامية.

وقد تهرب الرجل من سماع الأجوبة على ما أورد من شبهات، لأنه كان هو بنفسه يعرف الجواب عن كل شبهة ـ فيما يغلب على ظني ـ ويعرف أنه سيسمع أجوبة دامغة، ولكنه فضل أن ينفث سموم صدره ويذهب قبل أن يسمع شيئاً.

وعلى الدعاة الذين يريدون أن يقوموا بالدعوة في الغرب أن يتسلحوا بما يستطيعون به إظهار محاسن الدين الإسلامي والرد على شبهات الأعداء ومعرفة مفاسد دينهم المحرفة والحريات الزائفة التي يدعونها وبيان عوارها[1].

* * *

---

(١) انظر الصورة رقم [٨] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

(١٠)

حوار مع امرأة ألمانية[1] غير مسلمة زوجة مسلم مصري وتسمى روزا ماري وزوجها يسمى: فتحي عبد الحميد الفرماوي، وكان هو المترجم.

سألتهـا عن دينها؟.

فقالت: أنها كاثوليكية.

قلت: هل هي على يقين من أن دينها حق أو يوجد عندها فيه شك؟.

قالت: الكنيسة شيء والعقيدة شيء، وهي غير راضية عن العقيدة، لأن الإنسان كلما كبر في سنه يجد أن تلك العقيدة غير مطابقة للواقع ولا يستسيغها العقل، ومن الأسباب التي جعلتها لا تقتنع بالعقيدة الكاثوليكية ما فيها من وجوب الاعتراف بالذنب وعدم زواج القساوسة، وقولهم حب لغيرك أكثر من نفسك وهذا غير مطابق للواقع.

والتثليث أيضاً لا يوافق العقل ولا الفطرة.

قلت لها: متى سمعت عن الإسلام؟.

قالت: أنها سمعت عنه في المدرسة وسنها ١٢ سنة، ولكن مجرد سماع دون تفصيل وإنما سمعت عنه بالتفصيل بعد زواجها بالأخ فتحي قبل تسع سنوات.

---

(١) برلين الغربية ١٦/١١/١٤٠٧ هـ.

http://kotob.has.it

قلت: هل تحس أن الإسلام يوافق العقل والفطرة، وأن البشر في حاجة إلى هذا الدين؟.

قالت: أنها لا زالت عندها أسئلة مفتوحة تحتاج إلى جواب مفصل وهي كثيرة.

قلت: فإذا أجيبت عن تلك الأسئلة فهل هي مستعدة أن تسلم.

قالت: لا ليست مستعدة.

قلت: ما أسئلتها؟.

قالت: تريد أن تقرأ التفاسير الصحيحة وتفهمها جيداً وليست التفاسير المختلفة. ولا تكفيها الأجوبة العارضة عن أسئلتها، بل لا بد أن تقرأ عنها في القرآن لأنه الأصل.

ومن الأشياء التي تنتقدها: أنه يوجد تفريق بين الرجال والسيدات وضربت بعض الأمثلة، بعضها رأتها في مصر عندما سافرت مع زوجها، وكل الأمثلة التي ذكرتها ليست ذات بال[1].

وقالت: إنها تحب أن يهتم المسلمون بتعليم أطفالهم الإسلام منذ الصغر في المدارس، وإن كانت هي غير مسلمة.

وحاولت أن أناقشها وأشرح لها بعض مبادىء الإسلام فلم أر عندها استعداداً.

فقلت: إنك قد فهمت عن الإسلام ما يكفي لإقامة الحجة عليك أمام الله وقد فهمت أركان الإسلام، وهذا هو المهم كما عرفت شيئاً من سيرة الرسول[2] الذي لا يسمع به يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن به إلا دخل النار وأنا أحب لك ما أحب لنفسي وهو أن تؤمني لتدخلي الجنة أما أسئلتك فجوابها سهل جداً.

* * *

(١) راجع الكتاب السادس من سلسلة: في المشارق والمغارب (١/٢٤٧).
(٢) كان ذلك باعترافها.

http://kotob.has.it

(١١)

مقابلة الأمريكي الألماني، غير المسلم: توماس كوبيك وهو يعيش في ألمانيا من سنة ١٩٧١، وأصله أمريكي[١].

ولد سنة ١٩٥٠.

يدرس التاريخ والإنجليزية والألمانية في المرحلتين: الابتدائية والإعدادية.

وكان السبب في التقائنا به، أنه جار للأخت المسلمة أمينة فيدر التي سبق الحديث عنها[٢] وهي تعلم أنه يبحث عن الإسلام ويحب الاطلاع عليه فأخبرته بوجودي وضربت بيننا موعداً عن طريق الأخ عبد المنعم وكان الاجتماع في دكانه وهو الذي ترجم بيننا في دكانه.

سألت توماس: متى سمعت عن الإسلام في حياتك؟.

قال: عندما كان سنه ١٥ سنة وكان في إيطاليا وسمع نشيداً أو أغنية من مغنٍ بلجيكي يسمى آدم، والأغنية تسمى «إن شاء الله» فسأل عن معنى: «إن شاء الله» ففسروا له ذلك بأنه عندما يريد الله، قال: وكانت الأغنية تتضمن معاني الحب والسلام ومعاني طيبة أخرى، وفهم أن هذه الأغنية تتعلق بالإسلام.

---

(١) برلين الغربية، الثلاثاء: ١٨/١١/١٤٠٧ هـ.

(٢) الكتاب السادس (مخطوط) (١/٢٥٩).

http://kotob.has.it

ولم يسمع بعد ذلك شيئاً عن الإسلام إلا ما في نشرات الأخبار المتعلقة بمشكلات المسلمين، كقضية لبنان وإيران وليبيا.

وكان قبل أربع سنوات في المكتبة العامة، فوجد كتاباً صدفة مترجماً لرجل يدعى إدريس شاه يعيش في إنجلترا، وهو مترجم من العربية إلى الألمانية، والكتاب يسمى: «**الصوفية**»، وقبل ذلك بعشر سنوات حصل على كتاب يسمى: «**من الديوان**» لجلال الدين الرومي الصوفي المعروف، وهو باللغة الألمانية وقرأه في ذلك الوقت على أساس أنه شعر وليس متعلقاً بالدين[١].

قلت له: هل كونت هذه الكتب والأغنية عنده فكرة عن الإسلام جعلته يبحث عنه؟.

قال: أنه عندما قرأ كتاب إدريس شاه رأى بعد ذلك كتاباً في مكتبة زوجته، وكتبها كثيرة، وقد رأى هذا الكتاب كثيراً من قبل ولم يتصفحه قبل هذه المرة، أما هذه المرة فإنه تصفحه فوجد في هذا الكتاب فصولاً تحتوي على معلومات عن عالم من العلماء أو حاكم من الحكام في حياته وتفكيره ولا يزيد الفصل عن عشر صفحات، ويسمى الكتاب: «**علماء الفكر الإسلامي**».

وبعد ذلك أجريت له عملية جراحية في ظهره وخرج من المستشفى وأراد أن يبحث عن علاج طبيعي للظهر كالتمرينات الرياضية، وبدأ مدرس الرياضة يحكي قصصاً صوفية عن مولانا ـ هكذا نطقها ـ ناصر الدين، ومعظم ما قرأ وسمع أو تكون عنده من أفكار عن الإسلام هو من الفكر الصوفي.

قلت له: هل وجد أن هذا الفكر الصوفي يستحق أن يتابعه الإنسان ويجعل الإسلام ديناً له من وجهة النظر الصوفية هذه؟.

قال: أنه رأى من الفلسفة الصوفية الفكر الحر والإرادة، بمعنى أن الإنسان

---

(١) انظر كيف تتوالى على الشخص الواحد مراجع الطرق الصوفية دون الكتب الإسلامية السليمة، والسبب أن الناشرين في الغرب يهتمون بنشر هذه الكتب أكثر من غيرها، هذا مع نشاط أهلها كذلك.

http://kotob.has.it

يمكنه أن يقول: أنه يسير خطأ، وأن العالم المحيط به موجود، ويسأله قائلاً: ماذا تفعل بالضبط؟ ومعنى هذا أنه يجب أن آكل وأجد المال الذي أشتري به الطعام(١).

قلت له: ما ديانته وهل هو مستمر على اعتقادها؟.

قال: أنه كاثوليكي، ولكنه لا يذهب إلى الكنيسة الآن ولا يمارس طقوسه الدينية، ولكنه يرى الحق في الإنجيل.

قلت: فلماذا لا يعمل بدينه وهو يراه حقاً؟.

قال: لأن الحياة الدينية يمكن أن تمارس دون ارتباط بالكنيسة، **قال:** ويمكن أن يكون الحق في غيره من الديانات، كالإسلام والبوذية ويعتقد أن كل رجل متدين عنده شيء من الحق.

وقال: أنه من شهر يناير ١٩٨٧ إلى هذا الوقت بدأ يقرأ الكثير عن يودي كرشنا مورتي، وهذا الرجل ليس له دين وهو يرى أن الإنسان لا يحتاج إلى دين معين كالإسلام واليهودية والبوذية والنصرانية، ولكنه يحتاج إلى إيمان وعقيدة، بمعنى أنه لا بد أن يؤمن بوجود إله.

وقال: يمكن القول: إن بعض الناس يحتاجون إلى دين، ولكن بالنسبة لي أرى أن الدين ضيق يقيد حركاتي ومعنى ذلك أني إذا رأيت شيئاً طيباً عند المسلم أو اليهودي أو البوذي آخذ به دون أن أتقيد بدين من الأديان وهذا فيه احترام لجميع الأديان، ولا أثبت لأهل دين أنهم أفضل من أهل دين آخر.

وسألته هل تحب أن تعرف شيئاً عن الإسلام؟.

فقال: أنه في غاية الاشتياق لمعرفة الإسلام.

فقلت: هل تؤمن فعلاً أنه يوجد إله؟.

قال: كلمة إله هي شيء لا نعرفه.

---

(١) في هذا الكلام شيء من الغموض ولعله يريد أن يقول: أنه مسؤول عن تصرفاته.

http://kotob.has.it

قلت: هل يوجد خالق لهذا الكون؟.

قال: هو يعيش في الخلق.

قلت: من الذي يعيش في الخلق؟ أنا أسأل هل يوجد لهذا الكون: السماوات والأرض والنجوم والكواكب والإنس والحيوان وكل ما هو موجود في هذا الكون هل له خالق أو ليس له خالق؟.

قال: نعم لا بد من خالق.

قلت: هل تستطيع أن تعرف لهذا الخالق بعض الصفات من نظرتك إلى مخلوقاته؟.

قال: نعم.

قلت: مثل ماذا؟.

قال: إنه عالم، ولكن علم الله لا أستطيع كتابته.

قلت: تعني أن الخالق لا بد أن يكون عالماً؟.

قال: نعم، لأن الصانع أعلم.

قلت: ثم ماذا؟.

قال: القدرة، نعني أن الحياة دائماً مستمرة.

قلت: أنا أريد من القادر أن الشخص الذي صنع هذا المذياع لا بد أن يكون عنده قدرة على مادة المذياع وعلى صنعه، ومعنى هذا أن هذا الكون لا بد أن يكون الذي خلقه عنده قدرة على إيجاد هذا الكون.

قال: الإنسان قادر على صنع هذا المذياع إذا وجد المادة ولكن الموجد لهذه المادة هو الله.

قلت: يعني أن الله أقدر من المخلوق.

قال: نعم.

http://kotob.has.it

قلت: هل تذكر صفة أخرى للخالق؟.

قال: البقاء.

قلت: وأخرى؟.

قال: حياة لا تنتهي.

قلت: هذا الخالق العالم الحي القادر الباقي، هل ترى أنه حكيم؟.

قال: نعم.

قلت: ما الذي تفهم من الحكمة؟.

قال: كوني أرى العالم مرتبطاً.

قلت: كون العالم متقناً؟.

قال: نعم.

قلت: هذا الخالق الذي خلق هذه المخلوقات، هل من الحكمة أن يتركها تتصرف في هذا الكون بدون منهج يوجهها؟.

قال: يوجد منهج الآن.

قلت: أنا أسأل سؤالاً عاماً: هل يجوز أن يخلق هذا الخالق الحكيم الكون وبخاصة الإنسان ويتركه بدون منهج يتصرف فيه على ضوئه؟.

قال: من غير منهج تحدث فوضى.

قلت: هذا صحيح، إذاً اتفقنا أنه لا بد للإنسان من منهج يأتيه من الخالق ينظم حياته.

قال: نعم، ولكن يمكننا أن نعيش من غير منهج.

قلت: قبل قليل قلت: إن العيش بدون منهج يحدث فيه فوضى؟.

قال: ليس عندنا قدرة على إيجاد منهج، ولا بد أن يكون عندنا منهج.

http://kotob.has.it

قلت: من يأتي الناس بهذا المنهج؟.

قال: عندما أرى بوضوح سأرى المنهج.

قلت: متى ترى، وأين هو المنهج ومن يضعه، هل تضعه روسيا الشيوعية أو أمريكا الرأسمالية؟.

قال: عندما أضع النار على جلدي تحرقني (يقصد أن الشيء النافع معروف ويجب أن نفعله والشيء الضار معروف ويجب أن نجتنبه، وكأنه من القائلين بالتحسين والتقبيح، مع أنه لا يعرفه).

قلت: هذا ليس بجواب: من يضع المنهج البشر أم الخالق؟. وهل في استطاعة البشر أن يضع منهجاً يسعد كل البشرية؟.

قال: عندما يرى الناس بوضوح ويسيرون تبعاً للأوامر الإلّهية فسيكونون كلهم في سعادة.

قلت: هل يعني هذا أنك تقر بأنه لا بد من منهج إلّهي للبشر؟.

قال: لا بد من قبول القوانين الإلّهية واتباعها.

قلت: الآن وصلنا إلى نتيجة طيبة، ثم أخذت فنجان قهوة كان أمامي وقلت له: ما الحكمة في وضع هذا، هل صنع لحكمة أم صنع عبثاً؟.

قال: وجد لغرض معين وليس عبثاً.

فأشرت له إلى عيني وأذني وأنفي وقلبي ورئتي وبعض أجزاء جسمي، وقلت: وهذه كذلك وجدت لغرض؟.

قال: نعم كلها وجدت لحكمة وغرض.

قلت: إذا كان كل شيء وجد لحكمة بما في ذلك أجزاء الإنسان، فهل الإنسان وجد لحكمة أو لا؟.

قال: نعم، وجد لحكمة.

http://kotob.has.it

قلت: من يعين هذه الحكمة، هل يستطيع أحد من الناس أو مجموعة من البشر أن يحددوا هذه الحكمة لكل الناس؟.

قال: لا يحدد هذه الحكمة رجل شيخ كبير عجوز ذو لحية بيضاء ـ يشير بذلك إلى رجال الكنيسة ـ.

قلت: ومن الذي يحدد الحكمة؟.

قال: موجود.

قلت: من؟.

قال: وهل يجب أن يكون له اسم؟.

قلت: لا بد أن نعرف من يحدد لنا الحكمة.

قال: نتحدث عنه.

قلت: من هو.

قال: الإنسان يتحدث عن شيء لا يعرفه وبعد ذلك يعطيه الاسم.

قلت: أنا أنتظر أن أعرف منك من الذي يحدد لي الحكمة من وجودي في هذه الأرض.

قال: الوجود.

قلت: وجود من؟.

قال: ما نحس به في قلوبنا وما نراه.

قلت: كل واحد يحس ما لا يحس به الآخر، وكل واحد يحدد لنفسه ما لا يحدد له الآخر، يمكن أن تسألني: لماذا وجدت؟ فأقول: وجدت لآكل وأشرب... وأموت، وتسأل واحداً آخر، فيقول وجدت لأسيطر على العالم، وأحكمهم حكماً استبدادياً ـ دكتاتور ـ وهم خلقوا كلهم ليطيعوني، وآخر يقول: أنه خلق للخمرة والرقص والنساء، ونحن نريد حكمة لسعادة البشر في العالم، من الذي يحددها؟.

http://kotob.has.it

قال: عندما يكون الإنسان أعمى لا يرى الأشياء بوضوح، ولكن عندما يكون فاهماً ليس محتاجاً إلى الرقص والمتع الشهوانية.

قلت: من يفهمه؟.

قال: يمكن أن يقول الإنسان: هذا يأتي من الله.

قلت: مِـن الله؟.

قال: نعم.

قلت: الآن وصلت (يعني بعد هذه الرحلة الطويلة معه، من سؤال إلى آخر وكنت متعمداً ذلك ليصل إلى هذه النتيجة هو بنفسه، وقد وصل والحمد لله، وسرد الكلام مع الأوروبي لا يكفي، لأنه يدعي أنه يعتمد في إيمانه بالأشياء على العقل وليس على العاطفة).

قلت: معنى هذا أن هذا المذياع لو وجده رجل بدوي لا يفهم شيئاً ولم يدر عن حكمة صنعه لا بد أن يسأل صانع هذا المذياع عن الحكمة من صنعه؟.

قال: نعم.

قلت: ولذلك تبعث الشركات مع آلاتها كتباً تدل النـاس على كيفية استعمالها، ولـولا ذلك لما عرف الناس استعمالها بسهولة، ومعنى هذا أنه ما دام الخالق الإلّه هو الذي يحدد لنا الحكمة من وجودنا على هذه الأرض فلا بد أن يبعث لنا من يرشدنا؟.

قال: نعم.

قلت: وهذا المرشد لا بد أن يكون رسولاً من الله ولا بد أن يكون معه كتاب يعلم به الناس؟.

قال: نعم.

قلت: هل يوجد الآن في التوراة والإنجيل التي بأيدي الناس ما أهله على

http://kotob.has.it

يقين أنه من عند الله وليس فيه تناقض، وأنه يلبي الفطرة ويصلح أن يكون منهج حياة للبشر يبين لهم كيف يسيرون؟.

قال: لا.

قلت: إذاً الله الخالق إذا لم يوجد للبشر كتاباً يوجههم معناه أنه ظلمهم - أستغفر الله - لأنه خلقهم لحكمة وهم لا يعرفونها وتركهم يتصرفون بدون رسول ولا كتاب يوجههم؟.

قال: هذا واضح.

قلت: هنالك قوم يقولون عن أنفسهم أنهم مسلمون ويقولون أن عندهم كتاباً هو آخر كتب الله نزولاً وأنه كتاب حق وأن فيه ما يشبع الفطرة من الإيمان ويوجه الإنسان إلى كيفية عبادة الله التي هي الحكمة من خلق الناس ويبين له كيف يعيش ويحيى في هذه الأرض، من علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الزوج بزوجته والزوجة بزوجها، والأب بابنه والابن بأبيه، وكذلك الأم، والجار والمجتمع بأكمله والدولة بالشعب والشعب بالدولة، يعني أن كل نظام الحياة الذي يحتاج إليه الناس موجود في هذا الكتاب، وعندنا الأدلة القاطعة أن هذا القرآن كلام الله.

وقد اعترف غير المسلمين من علماء الكون من أطباء وجيولوجيين وفلكيين بما رأوا في هذا القرآن من الأخبار التي لم يكن الناس يعرفونها عندما نزل، وإنما عرفت بعد أحقاب من الزمن وبعد اجتهاد وكد في العلوم الكونية، اعترفوا أن هذا القرآن كلام الله، وضربت له بعض الأمثلة، وكان في غاية من الإصغاء والاهتمام، ثم شرحت له بعض مبادىء الإسلام باختصار، ومنها أركان الإسلام، وقلت له: لقد أبلغتك دين الله الذي هو الدين الحق، وما عداه من الأديان باطل وأنه دين يجب على كل البشر الدخول فيه، وأن من اتبعه فهو من أهل الجنة ومن كفر به فهو من أهل النار، وإنني أدعوك أن تدخل في هذا الدين وتنقذ نفسك من البعد عن الله، فوعد أنه سيقرأ زيادة ويفكر بجد في هذا الأمر ويخبر زوجته بذلك.

http://kotob.has.it

وأنبه هنا أن أغلب الذين عندهم علم عن الإسلام في ألمانيا أخذوه من غير المسلمين: إما من المستشرقين أو رجال الكنيسة أو القاديانية أو الفرق المبتدعة وقليل مَن علم الإسلام من مصدر صحيح[1].

* * *

(١) انظر الصورة رقم [٩] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

(١٢)

مقابلة مع المرأة الهولندية غير المسلمة: نيللي (NILLY).

ولدت في ٤ فبراير سنة ١٩٥٤.

دينها - في الأصل - الكاثوليكية، وهي لا تؤمن بدين.

قالت: لقد قررت نسيان معنى الدين تماماً، لأن الأديان فيها اضطراب، بسبب الخلافات ودعوى كل فرقة أن الحق معها.

ولكن من الناحية العملية والتطبيق تكتشف هي وأمثالها أن هناك أشياء طيبة من الثقافات الإنسانية.

أمها كاثوليكية، وأبوها يسخر من الدين وهو مادي.

كانت تتلقى التعليم في المدارس وهي طفلة، وترى الحكايات التي تقال عن المسيح مسلية، وتخيلت مرة وهي تفكر في تلك الحكايات أنها رأت السيدة مريم من خلال السحاب، وبدأت تصلي، وكانت الطقوس الكاثوليكية تجذبها، وهي الآن تصلي لإله لا تعرفه، وتضع قواعد لنفسها تسير عليها.

وهي لا تعرف السبب الذي جعلها تؤمن بإله لا تعرفه[١].

تخصصها العلمي: الإنسانيات، وهي تحضر في الحياة اليومية للفقيرات والعائلات الفقيرة في مصر.

قلت لها: هل تؤمنين أن لهذا الكون خالقاً؟.

---

(١) هي تحاول أن تلحد ولكنها لم تستطع لضغط فطرتها، التي تحاول التخلص منها، عليها.

http://kotob.has.it

قالت: لا أدري!.

قلت: هل يمكن أن توجد المصنوعات من غير صانع؟.

رفضت أن تجيب عن هذا السؤال وقالت: هذا لسنا في حاجة إلى التفكير فيه مطلقاً، نحن نستعمل المصنوعات وننتفع بها بدون حاجة إلى التفكير في صانعها.

ثم قالت ـ وقد اشتد غضبها من هذا السؤال ـ: كلما كانت الأسئلة سهلة غير معقدة كان ذلك داعياً لعدم التفاهم معك، وكلما كانت قوية مركزة كان ذلك داعياً إلى التفاهم والاستمرار في المناقشة، لأن الأسئلة السهلة فيها إهانة لها ـ كما زعمت ـ وذلك يقتضي أحد ثلاثة أمور: إما أن تكذب في جوابها، وإما أن تهاجم، وإما أن تنسحب (وتغير وجهها وأحمرت عيناها، وكانت تتكلم بغضب، وأنا لا أزيد على التبسم ومحاولة إقناعها بأن الأسئلة عقلية ومهمة في حياة الإنسان).

وحاولت أن أوهمها أني تركت النقاش في هذا الأمر بإيراد أسئلة أخرى، **فقلت لها**: متى سمعت عن الإسلام في حياتك؟.

قالت: أول ما سمعت عن الإسلام بوعي عندما ذهبت إلى مصر منذ ثماني سنوات، وقبل ذلك سمعت شيئاً مفرقاً عن الإسلام ومحمّد (ﷺ) ومكة وكون المرأة مهضوم حقها في الإسلام، وكلما سمعت عن الإسلام يعتبر سلبيات.

فقلت لها: ما الإيجابيات وما السلبيات التي رأتها في الإسلام؟.

قالت: **من الإيجابيات أن الإسلام يقول**: إن الإنسان يولد على الفطرة، بخلاف المسيحية فإنها ترى أن الإنسان يولد نجساً بسبب الخطيئة، والإسلام يرى أن التقاء الرجل والمرأة شيء طبيعي لإشباع الغريزة والمحبة وإيجاد النسل، بخلاف المسيحية فإنها ترى في التقاء الرجل والمرأة قذارة ولا يمارس ذلك إلا من أجل النسل فقط، ومن الإيجابيات أن الرجل والمرأة لا يجوز لهما اللقاء إلا بالطريقة الشرعية.

http://kotob.has.it

ومن الإيجابيات الزكاة في الإسلام وما فيها من تكافل، ومن ذلك الحج فيه اجتماع عظيم يتعارف فيه الناس وتضيع الفروق بينهم.

ومن الإيجابيات الصلاة، ولكن كونها تؤدى في اليوم خمس مرات فيه صعوبة وقد يكون الإنسان مشغولاً جداً، فإما أن يصليها الإنسان كلها في وقت واحد أو تكون اختيارية وليست فرضاً.

ومن الإيجابيات آداب الطعام، وكذلك النظافة وكون الفرد عضواً في مجتمع، وعلاقات المسلمين الاجتماعية طيبة لأن بعضهم يحمل هموم بعض وكذلك المساواة بين الرجل والمرأة، مع اعتبار الفروق الطبيعية بينهما.

وكذلك أمر الإسلام المرأة بأن لا تغري الرجل وأمره لها بالتستر.

أما السلبيات ـ في رأيها ـ فهي:

كون الزواج عند المسلمين يتم بدون معرفة كاملة بين الرجل والمرأة فإن معرفة كل واحد منهما الآخر نفسياً وطبياً أمر لا بد منه، ويتم الزواج بين المسلمين بغير حب في الغالب، ومن السلبيات تعدد الزوجات. وكون الرجل يجوز له أن يضرب زوجته، والمرأة لا يجوز لها أن تضرب زوجها، والذي تراه أنه لا يجوز لكل منهما ضرب صاحبه.

ومن السلبيات اشتراط النطق بالشهادتين لمن يريد أن يدخل في الإسلام، لماذا لا يكتفى بالإيمان بدون نطق.

ومن السلبيات اعتبار الكلب قذراً.

ومن السلبيات عقوبة الزنا، وإن كان الزنا قبيحاً ولكن جريمة المرأة على نفسها وليس على المجتمع.

ومن السلبيات استعمال الإرهاب في حفظ الكيان الاجتماعي، كعقوبات السرقة وشرب الخمر والزنا، ومن ذلك منع المرأة من كشف شعر رأسها وقالت:

http://kotob.has.it

أنا لا أفهم الفرق بين شعر المرأة وشعر الرجل[١].

قلت لها: أيهما أقرب إلى العقل أن يكون الإِلّه واحداً أم ثلاثة؟.

قالت: لا تستطيع الجواب، لأنها لا تعرف معنى التثليث.

قلت: هل تعترفين بوجود خالق؟.

قالت: لا تعرف الجواب بالتحديد، **وانزعجت مرة أخرى وقالت**: هل هذا يحتاج إلى خيال واسع؟ هذا سؤال سخيف لا يستحق أن يطرح ولا أن يفكر في الجواب عنه ونحن سنموت ولا داعي للتفكير فيه ما دمنا سنموت، **وقالت**: وسبب سخافة السؤال أن الإِنسان صنع كل شيء، فإذا سألنا من صنع هذه الأرض يكون السؤال سخيفاً.

وأردت أن أبين لها أن عقلها سخيف ولكن بطريق غير مباشرة فقلت لها: هذه الأسئلة التي ألقيها إليك حيرت عقول الفلاسفة في قديم الزمان وحديثه، وهي إذا أجيب عنها سبب في السعادة، وإذا لم يجب عنها سبب في التعاسة والشقاء، فالتفتت إليّ التفاتة غضب وسكتت!.

ثم قالت: يمكن أن الذي خلق الكون هو الحب.

قلت: هل الحب أمر قائم بنفسه قادر على أن يخلق غيره عنده صفات تمكنه من ذلك كالعلم والحكمة وغيرهما؟.

قالت: الإِلّه ليس إنساناً حتى تكون فيه هذه الصفات[٢].

قلت: أنت لم تجيبي عن سؤالي، ومع ذلك أقول لك: إن الخالق لا بد

---

(١) لم أرَ داعياً لمناقشتها في هذه الأمور، وإنما كنت مهتماً بمناقشتها في أصل الإِيمان بالله، لأن الدخول معها في فرعيات غير مُجدٍ، وكانت هي حريصة جداً أن ندخل في مناقشة فرعيات، ولكني قلت لها عندي أجوبة عن كل سلبية ذكرتها ولكن أحب أن يكون النقاش فيما هو أهم في نظري!.

(٢) انظر كيف تهرب من الإِجابة عن السؤال؟!.

http://kotob.has.it

أن يتصف بهذه الصفات، ولكن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق وإن اتفقت في اللفظ الذي لا نستطيع أن نعبر بغيره.

قالت: إذا كان هو قادراً على كل شيء فلماذا لم يجعلني مؤمنة؟.

قلت: بعض الأمور التي يعلم أنك لا طاقة لك بفعلها تولى هو أمرها، وبعض الأمور التي يرى أنك قادرة على فعلها وكل أمرها إليك في أمور جسمك وصحتك بصرف النظر عن الإيمان، ولو أنه تولى كل شؤونك بدون أن يكون لك فيها اختيار وفعل لكان الحيوان خيراً منك.

قالت: مثل ماذا؟.

قلت: صيانة جسمك من الداخل، كنبض القلب الذي يضخ الدماء إلى خلايا جسمك وحركة رئتك التي تستنشقين بها الهواء من الخارج وتطردين بها ثاني أوكسيد الكربون، ومعدتك التي تهضم الطعام، والأوردة والشرايين التي عن طريقها يذهب الدم ويجيء وغير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر، يعلم الله أنك غير قادرة على فعل شيء منه فتولاه، ولكن نظافة جسمك من الخارج والتماس الرزق وتناول الطعام وأكله وهضمه عندك على كل ذلك قدرة فوكل أمره إليك، فإذا حصل تفريط فيه فأنت مسؤولة عنه.

وكذلك الإيمان: خلق الله لك عقلاً تفكرين به وتعلمين به الأمور وتَزِنين الصحيح وغير الصحيح وخلق فيك فطرة يمكنك بها أن تعرفي ما يقبل وما لا يقبل، وخلق من المخلوقات في هذا الكون ما يدلك على الخالق لو تأملت فيها، وكرمك بأن جعلك تختارين سبيلك بنفسك بعد أن زودك بأربعة أمور: العقل، والفطرة، والكون، والرسل الذين جاؤوا بالوحي لهداية البشر، ولو أكرهك على الإيمان إكراهاً لما كان لك فضل في الإيمان وعدمه فهل يجوز لك وقد جعل الله لك هذه الكرامة أن تحتجي على الله؟!.

فهدأت أعصابها وتهلل وجهها وقالت: هذا جواب طيب جداً، وقالت: إذاً الإسلام يعترف بكرامة الإنسان؟.

http://kotob.has.it

قلت: جداً، بل أستطيع أن أقول لك: إن الإنسان لا كرامة له إلا في الإسلام.

قالت: لماذا يوجد عند المسلمين أمور تدل على عدم اعتزازهم بالإسلام؟.

قلت: لا تخلطي بين المنهج وتصرفات المسلمين السيئة المخالفة له.

قالت: أعرف أن الإسلام شيء وتصرفات المسلمين شيء آخر، ولكني أردت الإثارة.

قلت لها: ما معنى الحرية عند أهل الغرب[1].

قالت: الحرية التي تسمح بها الجماعة هي الحرية، أما الحرية المطلقة فليست موجودة، ويفعل الإنسان ما يشاء في حدود ما لا يضر المجموع، ولكن الفرد إذا تصرف في نفسه تصرفاً لا يضر المجتمع كأن يقتل نفسه فله ذلك لأنه حر في نفسه.

قلت: هنا يكمن الخطر وتتعاظم المشكلة، إن الفرد يظن أن كثيراً من تصرفاته الفردية قد لا تضر المجتمع، مع أن الضرر موجود وقد يكون مباشراً وقد يكون غير مباشر، والإنسان هو ملك لله ليس له حق أن يتصرف في نفسه بدون إذن مالكه.

قالت: ـ مقاطعة لي ـ: أنا لست مملوكة لأحد أنا لست شوكولاتة (حلوى).

قلت: نعم لستِ مملوكة لمخلوق، ولكن أنت مملوكة لله فهل سألت نفسك لماذا خلقت في الأرض[2]؟.

---

(١) على معنى هذه الكلمة تترتب تصرفات وتوضع مناهج للحياة تثمر السعادة أو الشقاء!.

(٢) كنت أحاول أن أعود بها إلى النقاش في الأمور التي قررت مناقشتها فيها لأنها أساس، ولكن لشدة غضبها منها كنت أسألها أسئلة يظهر لها أنها ليست من ذلك الباب حتى أجد المناسبة فأعود بها إلى ما قررت.

http://kotob.has.it

قالت: للحب، والحب هو القوة التي يحفظ بها الإنسان نفسه والناس وينفع بها نفسه والناس وهو شعائر وطقوس، ولهذا ثار أهل الغرب من أجل إباحة هذه العلاقات والإسلام يمنعها.

قلت: الإسلام لا يمنع شيئاً يفيد البشر ولكنه ينظمه والحب في الإسلام له أبواب تتعلق بالخالق والمخلوق والفرد والأسرة والمجتمع، وإذا خرج عن تنظيمه صار شقاء وليس حباً، ألا ترين أن الذي خلق الإنسان يقدم له ما يسعده؟.

قالت: نعم، الناس يحبون السعادة أما الخلق والخالق فهذا ليس عندنا فيه تفكير وليس عندنا إلا الحياة والموت، وبدأت تغضب ويشتد غضبها، **وقالت**: الذي يفكر فيما بعد الموت يتعس نفسه بخلاف من عاش بدون تفكير.

قلت لها: هل أسعدت الحرية والحب بمعنيهما عندكم الإنسان؟.

وهل إباحة كل شيء للإنسان، ولو فرض أنه لا يضر به غيره أسعد الإنسان في الغرب؟.

قالت: لا يوجد حب كافٍ وإلا لما وجدت هذه المآسي.

قلت: لو قلت: لم يوجد دين صحيح وإلا لما وجدت هذه المآسي كان كلامك صواباً.

فغضبت وهددت بالانسحاب إن لم أدع هذه الأسئلة.

وواصلنا النقاش فترة طويلة بدون أن أكتب منه شيئاً، لأن كثيراً من كلامها أصبح هذراً وثرثرة، ولكنها في آخر الأمر أظهرت الهدوء وزال ما بها من غضب **وسألتني**: لماذا أنت لا تغضب؟.

فقلت لها: إشفاقاً عليك، لأن عندي مفتاح قفل حياتك الذي هو الإيمان، وواجبي أن أحاول بكل ما أستطيع أن أوصل إليك ما عندي، والله قد أمرنا بالصبر ولا دعوة بدون صبر، ثم إن الذي عندي حق لا ينال منه الهجوم شيئاً، والذي يغضب هو الذي يشعر بأن موقفه ضعيف وأنا موقفي ليس كذلك، **فما**

http://kotob.has.it

زادت أن قالت: كل واحد يفكر من وجهة نظره وختمنا اللقاء.

وآمل أن يؤثر هذا المشوار الطويل بما اشتمل عليه من معانٍ في هذه المرأة التي لا أشك أن الحجة قد قامت عليها في هذا اللقاء، بل إن معلوماتها عن الإسلام قد تكون كافية لإقامة الحجة عليها قبل هذا اللقاء.

ولقد شعرت بالإرهاق بعد هذا النقاش الطويل المثير، ولكن ما أن انتهى اللقاء مع نيلّلي هذه حتى جاءت الأختان المسلمتان: جميلة الهولندية، ومريم!.

فبدأنا معهما المقابلة بعد نيلّلي مباشرة[1].

* * *

(١) انظر ص ١٤٦ من الكتاب الأول.

http://kotob.has.it

(١٣)

لقاء مع المستشرق الهولندي الدكتور فان كوننكز فيلد[١]:

مدرّس تاريخ الإسلام في كلية علوم الدين جامعة ليدن.

كنت طلبت من الأخ عبد الغني بن عباس الفطاطري أن يضرب لي موعداً مع أحد المستشرقين في جامعة ليدن لآخذ منه بعض المعلومات عن الإسلام والمسلمين في هولندا بحسب وجهة نظرهم، وأسمع بعض ما عندهم حول الإسلام وأحاول جهدي التعليق على بعض ما أراه يحتاج إلى تعليق.

فضرب لي موعداً مع المستشرق المذكور.

وذهبنا أنا والأخ محمد بن جمعة في القطار من مدينة أمستردام إلى ليدن ووصلنا إلى الجامعة في الموعد المحدد: الساعة الواحدة ظهراً.

وقد استمرت المقابلة معه ما يقارب ساعتين.

والدكتور بيتر يتحدث باللغة العربية ويفهم الحديث بها إذا كان باللغة الفصحى، وقد يصعب عليه أحياناً أن يعبر عما في نفسه بها بطلاقة، فيستعين بالذي يترجم له، وكان الدكتور قاسم السامرائي حاضراً النقاش وهو يعمل في نفس القسم مع الدكتور بيتر، وكان يعمل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقبل أن يعمل في جامعة الإمـام كان هنا في القسم فترة من الزمن.

ولد الدكتور بيتر سنة ١٩٤٤ ـ أي عمره الآن ٤٣ سنة.

(١) الاثنين ١٤٠٧/١٢/٩ هـ. (يوم عرفات).

http://kotob.has.it

وقال الدكتور: أنه زار المملكة العربية السعودية مرتين، مرة في سنة ١٩٨٤، ومرة في سنة ١٩٨٥. وألقى بعض المحاضرات في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، واشترك في تجهيز معرض المخطوطات العربية وألف كتاباً في الخط العربي، من خلال المخطوطات العربية، وهو منشور باللغة العربية واللغة الإنجليزية، وهو بعنوان المعرض. وعمل في تدريس التاريخ الإسلامي والعقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية، لتلاميذ جامعة ليدن وخاصة كلية العلوم الدينية.

وقال: أولاً أُدَرِّس تمهيداً لتاريخ الإسلام والعقيدة والشريعة الإسلامية، وعدد ساعات هذه المواد ٢٦ في السنة.

ويختار الطلاب بعد ذلك جزءاً معيناً للتخصص فيه، ويختار الطالب اللغة التي يكتب بها الموضوع الخاص، مثلاً إذا اختار التاريخ الإسلامي في تركيا فإنه يدرس اللغة التركية، وإن كان في أندونيسيا درس اللغة الأندونيسية.

دين الدكتور: نشأ في عائلة نصرانية، وقال: والآن كبقية الهولنديين لا يتمسك بديانة خاصة.

التخصص: التاريخ الإسلامي في الأندلس في القرون الوسطى، والتاريخ المغربي وتاريخ الاستشراق ونشر في هذين المجالين مقالات كثيرة، وبعض الكتب بلغات مختلفة، منها ما هو باللغة العربية. وله كتاب يترجم من الهولندية إلى الأندونيسية سينشر في جاكرتا، وهو في تاريخ الاستشراق الهولندي. وله مقالات عربية نشرت في مجلة عالم الكتب وهي تصدر في الرياض وقد أثنى على هذه المجلة.

وسألته: متى سمعت عن الإسلام في حياتك؟.

قال: في طفولتي.

قلت: في المدرسة؟.

قال: لا، في العائلة، لأن أبي كانت له علاقات كثيرة مع مراكز أندونيسية

http://kotob.has.it

وشخصيات، وكانوا يزوروننا ويتحدثون عن الإسلام والمجتمع الأندونيسي، وبدأ عنده الاهتمام بأمر الإسلام.

قلت: ومتى أدركت معاني الإسلام إدراك متعلم؟.

قال: بعد أن ذهبت إلى الجامعة، وقبل ذلك تعلمت بعض المعلومات في المدرسة الثانوية، وتعلمنا فيها سبع لغات: اللاتينية واليونانية وغيرهما من اللغات القديمة واللغات الحديثة، ومنهجها يهتم بالموضوعات التاريخية واللغوية.

وقال: أنه تعلم في هذه المدرسة بعض الأشياء وليست كثيرة، إلى أن ذهب إلى الجامعة، فاختار كلية الآداب وتخصص في دراسة اللغات السامية: العبرية القديمة التي كتبت بها التوراة، والعربية، وكان في أول الأمر اهتمامه الأكبر بالدراسات اليهودية والعبرية إلى السنة الثانية، وحول دراسته واهتمامه من المجال العبري إلى المجال العربي، وكان ذلك سنة ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠، وكان هذا تحولاً مهماً في حياته، لأن اختيار اللغات السامية كان نادراً في هولندا، وخاصة في هذا الزمان، ولكن التخصص في اللغة العربية والتاريخ الإسلامي كان أندر.

قال: تعلمنا دراسة القرآن والحديث وكتب الغزالي والبيضاوي، ولم نتعلم المحادثة ـ يعني باللغة العربية ـ حتى أن أستاذنا لم يكن يتكلم باللغة العربية، بل كان يقرأ بها، وله علم جيد في قراءة المتون العربية، ولكن لا يستطيع التحدث بها.

قلت له: وأنت كيف وصلت إلى المحادثة؟.

قال: بمساعدة كثير من المسلمين كانوا يتحدثون معي.

قلت: هل عرفتم من قراءاتكم أو من أساتذتكم أول وقت دخل فيه الإسلام إلى هولندا، أو أول رجل مسلم دخل هولندا؟.

قال: أول رجل؟ هذا صعب، ولكن كان هناك مناقشة في أول مسجد بني في هولندا، ويعتقد ناس كثيرون أن أول مسجد كان في شمال هولندا وكان هناك أندونيسيون، ولكن في الحقيقة أول مسجد في هولندا كان في: «بريدا» وهذا في

http://kotob.has.it

جنوب هولندا في معهد الدراسات العسكرية الملكي في الثلاثينات، والذي في الشمال كان بعد الحرب العالمية الثانية.

والمسجد الذي في الجنوب كان غرفة صغيرة ولكنه كان مسجداً، أنشىء لبعض التلاميذ الأندونيسيين، إذ كان أبناء القبائل والشخصيات الكبيـرة في أندونيسيا يرسلون أبناءهم للحصول على الدراسات العسكرية، مراتب الضباط، ويعودون مرة أخرى في الجيش الهولندي في أندونيسيا، فأنشىء المسجد من أجلهم.

أما أول شخص أسلم في هولندا أو دخل إلى هولندا من المسلمين، فكان هناك مسلمون كثيرون في القرن السابع عشر دخلوا إلى هولندا سفراء أو تجاراً من جهة السلطان المغربي وكانت توجد علاقات دبلوماسية بين هولندا ومملكة المغرب.

قلت: قبل هذا الزمن ألا يُعلَم شيء عن الإسلام في هولندا؟.

قال: قبل هذا أنشأت هولندا علاقات مع أندونيسيا في أول القرن السادس عشر وجاء بعض الناس ولكن هولنديون أسلموا، هذا شيء آخر.

قلت: أقدم من عرفتم ممن أسلم من الهولنديين؟.

قال: هناك بعض المستشـرقين، واسمه: (   ) ولكن أظن أن إسلامه كان سياسياً وليس اعتقادياً فلا نعتبر إسلامه صحيحاً، وكان في مكة سنة ١٨٨٥ أي قبل قرن.

وهناك أشخاص آخرون من الهولنديين أسلموا في أندونيسيا في وقت الاستعمار وبقوا في أندونيسيا.

والإسلام ليس له جذور قديمة في هولندا، فالهولندي لا يسلم بسهولة لأن المجتمع الهولندي نصراني من الجهة الدينية، ولكن الآن الأحوال تغيرت.

قلت: متى بدأ الإقبال على الإسلام في هولندا وبدأ بعض الهولنديين يدخلون في الإسلام؟.

http://kotob.has.it

قال: ذهب بعض الهولنديين إلى العالم الإسلامي مثل عبد الواحد قان بوميل، هل عرفته؟ **قلت**: نعم[1]، وتزوج بعض المسلمين بهولنديات فأسلمن، وإلى الآن لا يوجد في هولندا شخصيات علمية كبيرة أسلمت مثل جارودي في فرنسا.

قلت: لماذا؟.

قال: طبيعة الهولندي.

قلت: ما أسباب اتجاهك إلى دراسة الاستشراق؟.

قال: أسباب كثيرة.

أولاً: المعلومات التي سمعتها في طفولتي جعلتني أفهم أنه يوجد عالم آخر يختلف عن عالمنا فأردت أن أتعرف عليه.

ثانياً: السبب الأهم دراستي في الثانوية العبرية في السنة الخامسة والسادسة، وكانت اختيارية وأنا اخترت هذه المادة لأجل التفوق في النتائج، وبعد ذلك قرأت التوراة بالعبرية، وأردت أن أدرس هذه الدراسات في الجامعة.

في البداية كانت دراستي في اللغة العبرية، وتاريخ الدين اليهودي أكثر من دراستي اللغة العربية، ولكن رأيت أن مجال الدراسات العربية والإسلامية أوسع وأهم من مجال الدراسات اليهودية والعبرية ففضلت اللغة العربية والإسلام دون أن أنسى اللغة العبرية واليهودية.

قلت له: ما أصناف المستشرقين بالنسبة لموقفهم من الإسلام؟.

تنهد الرجل، وقال: هذا سؤال مهم.

أولاً: بعضهم لهم ديانة خاصة «قسس» ولهم نظرات خاصة، وهم متأثرون باللاهوت وهدفهم التبشير والإرسال.

---

(١) انظر الكتاب السادس (١/٤٨٧).

http://kotob.has.it

وهناك مجموعة أخرى من المستشرقين عندهم اهتمام علمي يدرسون الأصول الإسلامية لاهتمامهم العلمي في تاريخ الإسلام، وليس عندهم تلك الأهداف.

قلت: ما هدفهم أيضاً؟.

قال: العلم.

قلت: العلم وسيلة لتحقيق شيء.

قال: في الماضي كانت الدراسات الاستشراقية مرتبطة بالوظائف الاستعمارية كما تعرف جيداً، كانت الحكومة الهولندية مثل الحكومة الإنجليزية والفرنسية تحتاج إلى موظفين علماء بالشؤون الإسلامية والشؤون الداخلية والأهلية في البلدان المستعمرة، كان هذا هو الهدف الأساسي. فكانوا يحتاجون إلى معرفة كثير من الشؤون التي تحتاج إليها الحكومات المستعمرة، ولكن عدد من المستشرقين كانوا يدرسون للعلم. فنشروا تاريخ الطبري، وفهرس الحديث النبوي، ومنه المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

قلت له: ما أثر الاستشراق على أوروبا؟.

فتنهد وسكت قليلاً، ثم قال: هذه سؤالات غريبة جداً.

قلت: لماذا؟ أنت أوروبي هولندي مستشرق، لماذا لا تعرف أثر أعمال المستشرقين الأوروبيين في أوروبا؟.

قال: أما الآن فإنه يوجد في هولندا أكثر من مائتي ألف مسلم ـ قال له الأخ عبد الغني: أربعمائة ألف، وقال هو ـ: يجب على المستشرقين فرضاً عليهم أن يحاولوا أن تكون العلاقات بين المسلمين والأوروبيين تسير بدون صدام بل يتعايشون بسلام، لأن في أوروبا أحزاباً سياسية لها آراء خطيرة.

قلت: من الأوروبيين أو من المسلمين؟.

قال: من الأوروبيين، ويعملون ضد الإسلام وضد المسلمين وهذا خطر

http://kotob.has.it

في نظري، وهي أحزاب دينية متطرفة تروج وتحرض الأوروبيين ضد المسلمين ونحن نريد للمسلمين والأوروبيين أن يعيشوا بسلام.

قلت له: لا زلت أنتظر الجواب على سؤالي: ألا يوجد تأثير للاستشراق على الأوروبيين؟.

سكت، ثم قال: على الأوروبيين؟.

قلت: نعم على الأوروبيين.

قال: لو كان هناك أي تأثير من جهة الاستشراق وأنا لا أعرف هذا التأثير، قد يكون من جهة الدراسات الاستشراقية اللاهوتية الدينية لأن القسس لهم تأثير، وليس لي أي تأثير! لكن لهم تأثير يخطبون كل يوم أحد في الكنائس وأحياناً يتحدثون مع جماعاتهم عن الإسلام.

قلت: أنا أردت الاستشراق قد يكون له أثر إيجابي مع الأثر السلبي، فعندما يقرأ الأوروبي ما ينقله المستشرق عن الإسلام وتاريخ الإسلام قد يتأثر به أيضاً كما إذا صحح المفهوم الذي نشره المستشرق المبشر؟.

قال: ربما يكون ذلك موجوداً في كتابات المستشرقين في الجرائد أو في أحاديثهم في الراديو.

قلت: وما أثر الاستشراق على المسلمين خارج أوروبا؟.

وحاول أن أحيل السؤال إلى الدكتور قاسم السامرائي **فقلت له**: أنا أسأل الأوروبي.

فقال: أظن أن لهم تأثيراً عميقاً، لأن بعض الكتب المنشورة في العالم الإسلامي رأينا فيها ردود فعل كثيرة وانتقادات من المسلمين للمستشرقين، فهناك مسلمون كثيرون يقرأون كتب المستشرقين، ونقرأ في بعض الكتب العربية اقتباسات من الكتب الاستشراقية، وهذا شيء واضح يوجد نشاط كبير لنتاج المستشرقين في العالم الإسلامي، حتى في الأدب العربي، هناك مؤلفون من

http://kotob.has.it

العرب درسوا وتعلموا في الغرب، وحصلوا على درجات في أوروبا، وبعد أن رجعوا إلى العالم العربي كتبوا ضد المستشرقين.

قلت: هذا الأثر سلبي أم إيجابي؟.

قال: كلاهما.

قال الدكتور قاسم السامرائي: إيجابي وسلبي، لأنه زعزع كثيراً من أصحاب الآراء السطحية، وأثر على أصحاب الآراء الجيدة، فحفزهم للكتابة ضد المستشرقين.

قلت: مثل ماذا الأثر الأول؟.

قال الدكتور قاسم: كثير من العرب والمسلمين الذين درسوا في أوروبا تأثروا بآراء المستشرقين وتبنوها وهذا موجود في كثير من البلاد العربية، وجعلوها هي المثل الأعلى، وقسم آخر حصل عنده رد فعل فرجع إلى الأصل من تراثه القديم، فدرس بإمعان وحصل عنده أصالة فنبذ آراء المستشرقين وتبنّى الآراء الأصيلة، فهذا أثر إيجابي.

قلت للدكتور بيتر: هل توافقه على هذا؟.

قال: نعم، نعم.

قلت له: ما أثر الجاليات الإسلامية في أوروبا؟.

قال: كانوا سبباً في إسلام بعض الأوروبيين، هناك بعض الأوروبيات أسلمن بسبب زواجهن ببعض المسلمين(١) ولهم تأثير سياسي، مثلاً الأقليات في هولندا في الإدارة البلدية، وسوف يشتركون في الانتخابات الوطنية ولكن حتى الآن أكثرهم من الطبقة السفلى، ليس لهم في الحقيقة تأثير كبير في المجتمع الهولندي.

---

(١) يحاول أن يقلل من شأن تأثير الإسلام فيذكر النساء اللاتي تزوجن بمسلمين وأنهن أسلمن لغرض الزواج وليس اقتناعاً بالإسلام.

http://kotob.has.it

قلت: لكن في أوروبا؟.

قال الدكتور قاسم: إلا في إنجلترا.

فقال الدكتور بيتر: لماذا في إنجلترا؟.

قال الدكتور قاسم: لأنه يوجد كثير من المثقفين المسلمين.

قال بيتر: مثلاً؟.

قال قاسم: باكستانيون ومن العرب والثقافة الإسلامية أوسع في إنجلترا.

قال بيتر: سيظهر التأثير الثقافي للمسلمين عندما يتم إنتاج للأقليات، كالموسيقى والأدب[1].

قلت: أيهما أكثر تأثيراً الجالية الإسلامية أم الطلاب في الجامعات؟.

قال: الطلاب في الجامعات.

قلت: لماذا؟.

قال: لأن عندهم معرفة وثقافة.

(وقد أجاب بهذا الجواب المسلمون الذين التقيت بهم سواء كانوا من أهل البلدان الأوروبية أو من الوافدين).

قلت: هل تَرون في بعض الموضوعات الإسلامية ما يمكن أن يؤثر أو يلائم العقلية الأوروبية، أو يمكن أن يحل بعض المشكلات الأوروبية؟.

فأبدى دهشته لهذا السؤال، وضحك، **ثم قال:** سؤالكم هذا صعب جداً.

قلت: أنا لست سياسياً، وكنت في الأصل من سكان البادية ولذلك تجد أسئلتي صريحة.

---

(١) توجيه ماكر للمسلمين أن أثرهم إنما يكون في هذا المجال لا مجال العقيدة والخلُق.

http://kotob.has.it

قال: صريحة، ولكنها صعبة جداً[1].

قلت: أنا سمعت أن أرووبا فيها حرية كاملة بالنسبة للمناقشة **قال**: في المناقشة نعم.

قلت: وأن المستشرقين كثير منهم محايدون وليسوا منحازين ضد الإسلام.

قال الدكتور قاسم: من قال لك هذه الفكرة الجيدة؟ ـ وكان سؤاله سؤال اعتراض ـ.

قلت: سمعت.

قال: بدّل هذه الفكرة.

قلت للدكتور بيتر: هذا سؤالي، فإن أحببت أن تجيب فأجب.

فقال: هناك فرق كبير بين النظام الاجتماعي الأوروبي والأحوال الموجودة في العالم الإسلامي، والفرق الأكبر العلاقة بين الدين والسياسة وأكثر المقالات المتعلقة بالعالم الإسلامي الموجودة في الجرائد الهولندية تنصب على هذه النقطة الدين والدولة، وهذا فرق كبير.

قلت: سؤالي ليس هذا، بل أريد أنك باطلاعك على الإسلام بشؤونه السياسية والاجتماعية والإيمانية وغيرها ربما تكون قد اطّلعت في هذه الموضوعات توجد حلول لبعض المشكلات الأوروبية.

قال: يمكن أن نجد شيئاً من هذا، وهذا في رأيي الشخصي يمكن أن نجد شيئاً منه في كل الديانات النصرانية واليهودية والبوذية وغيرها، توجد في هذه الديانات أشياء نفيسة وخاصة من الجهة الأخلاقية وهذه النقاط النفيسة توجد في كل الديانات.

قلت له: بالتفصيل في شؤون الأسرة وغيرها؟.

---

(١) يتهرب من الإجابة التي يرى أن فيها شيئاً إيجابياً للإسلام، ويخشى أن يكون جوابه سلبياً ولكنه ينتقد عليه.

http://kotob.has.it

قال: هناك فرق ولكن في النقاط النفيسة لا يوجد فرق.

فضحكت ونظرت إليه متعجباً لأشعره بالتحيز وعدم الحياد في المناقشة **وقلت**: على كل حال، **فأخذ يردد هذه الكلمة**: على كل حال، وهو يبتسم، وفهم ما أريد.

وقال: لو سألتني عن أي جانب من الإسلام يمكن أن يجد تعاطفاً عند الأوروبيين لأجبتك.

قلت: وليكن.

فقال: الإسلام الذي تمثله الحكومات، وبالذات السفارات هو الذي لا يجد عند الأوروبيين تعاطفاً، أما الإسلام الذي يمثله التصوف النقي فهذا الذي يمكن أن يجد تعاطفاً[1].

والأمر الذي تقوم به الجماعات الإسلامية المتطرفة، هذا شيء مرفوض، أما التصوف فإننا نتجاوب معه، والسبب أنه موجود عندنا، أما تطبيق الشريعة في حدودها وقوانينها فهذا شيء ليس مقبولاً، وذكر كلمة: «الأصوليين».

قلت له: ماذا تعنون بكلمة «الأصوليين»؟.

قال: في رأيي أن الأصوليين تعني الذين يريدون التطبيق الكامل للشريعة الإسلامية فعلاً على الدولة كلها، هذا الشيء لا يخاطب عقول الأوروبيين ولا يتعاطفون معه، هذا ما أفهمه ـ من كلمة الأصوليين[2].

---

(١) يريد من ذلك استبعاد الدين عن الحكم، مع أن ذكره للدين الذي تمثله السفارات غريب، فإن أكثر الحكومات في الشعوب الإسلامية، هي علمانية تستبعد الدين استبعاداً شبه كامل «عدا الأحوال الشخصية» والظاهر أنه مهد للكلام عن الجماعات المتطرفة في زعمه كما يأتي.

(٢) قلت: وهذا يدل على أنه لا فرق بين المستشرقين وغيرهم من الأوروبيين الذين يحاربون شريعة الإسلام وبين الحكام العلمانيين الذين تسلطوا على الشعوب الإسلامية، بل إن هؤلاء الحكام ينفذون أفكار هؤلاء الأوروبيين.

http://kotob.has.it

قلت: ألا تعتقد أن الغربيين هم السبب في كل المشكلات التي تدور الآن في العالم الإسلامي؟.

فسكت برهة مفكراً، **ثم قال:** لماذا؟.

فقلت: أنا أسأل، أولاً قل لي: نعم، أو لا، ثم أجيبك.

فسكت، **ثم قال:** لا، والحكومات الإسلامية على رغم الاستعمار فهم الذين بدلوا النظام الحقوقي بأنفسهم وليس الغربيين، مثلاً: جمال عبد الناصر والحكومة العراقية والحكومة السورية والحكومة التركية... هل كان أتاتورك غربياً أم شرقياً، هل كان هولندياً؟.

قال له الدكتور قاسم: كان ماسونياً.

فقلت له: يا دكتور!.

إنكم أنتم وحكام الشعوب الإسلامية العلمانيين تخرج أفكاركم من مشكاة واحدة، وأنتم السابقون في هذه الأفكار، فأنتم أساتذة أولئك الحكام.

الشعوب الإسلامية ابتعدت كثيراً عن الإسلام وتفرقت وتمزقت، لكن لو بقيت فترة طويلة على هذا البعد عن الإسلام ثم وجد فيها علماء ومفكرون من داخلها وعلموها لرجعت إلى أصول دينها ولما وجدت فيها هذه الصراعات والصدامات بين الشعوب والحكام، ولكن عندما جاء الغربيون بصفة عامة ودرسوهم هذه الفكرة، وهي الفصل بين الدين والدولة، فأصبح عندنا فئة مثقفة، دربها الغرب في المدارس الغربية أو في البلدان الإسلامية وسلمها الحكم، وهي الآن تضرب الشعوب وتجبرها جبراً على الفصل بين الدين والدولة، فالشعوب تريد الإسلام فعلاً، والحكام العلمانيون المنفذون لأفكار الغربيين لا يريدون ذلك، ولا يمكن أن تستقر الأمور في بلاد المسلمين إلا بتطبيق الإسلام في العقيدة والسلوك والسياسة والاجتماع والاقتصاد والحرب وغيرها، فسبب الصراع هو هذا، وهذا إنما جاء من الغربيين.

وهذا بخلاف الأوروبيين فإنهم يمكن أن يستقر أمرهم في الجملة بدون أن

http://kotob.has.it

يحكمهم دين، لأن دينهم ليس لديه ما يحكم به حياتهم.

فقال: بالعكس، كانت في تركيا انتخابات، فانتخبوا برلماناً من أحزاب مختلفة، فأين توجد الشريعة الإسلامية في تركيا ـ يعني بذلك أن الشعب التركي لا يريد الشريعة الإسلامية ولو أرادها لطبقها وقد انتخب هو من يحكمه ـ.

قلت له: لو وجدت انتخابات حرة كما توجد عندكم على الأقل، لما وصل إلى الحكم فاسق، وإنما يصل إلى الحكم الصالحون فقط، وهم الذين لا يحكمون إلا بالشريعة الإسلامية، بلادكم فيها حرية، وأما بلاد المسلمين فالانتخابات يسيرها السلاح والتزوير والسجون والمعتقلات والذبح، فهذه المقارنة التي ذكرتها ليست سليمة.

قال: حتى في تركيا؟ **قلت**: في كل مكان، لا توجد حرية الانتخابات.

قال: ولكن ليس هذا فعل الغربيين وغلطهم.

قلت: بل فعلهم وغلطهم، لأنهم مكنوا للديموقراطية في بلادهم ومكنوا للاستبداد (الدكتاتورية) في بلاد المسلمين، لأن الديموقراطية في الغرب متمكنة، مع ما فيها من ملاحظات، ولا يريد الغربيون لهذه الديموقراطية أن تتمكن في بلاد المسلمين، لأنها لو تمكنت في بلاد المسلمين وإن كانت ليست من الإسلام ـ فستكون ثمرتها أن يحكم الإسلام وليس العلمانية.

قال: كون الغربيين لا يريدون ذلك، هذا غير مهم.

قلت: ولكنهم قد فعلوه بالقهر الاستعماري أولاً، وباستعمار العقول ثانياً، وهذا أخطر من الأول.

قال: وهل يريد المسلمون الانتخابات الحرة؟.

قلت: من تريد، الشعوب؟.

قال: نعم.

قلت: نعم تريد ذلك بفارغ الصبر وستصل إن شاء الله إلى تقرير مصيرها

http://kotob.has.it

والتمتع بحكم الله الذي هو فرض عليها، وستعرف أوروبا عندئـذٍ السعادة المفقودة بسبب فقد الحكم بالشريعة، لأن الأوروبي لا يفهم الآن من الإسلام إلا ما يطبقه بعض الحكام، ولهذا أول ما يسأل عنه الأوربيون: لماذا تتحاربون وأنتم مسلمون...؟ لا يفرق بين الإسلام الذي جاء به القرآن والسنّة، والتطبيق العملي من الصحابة، وبين عمل بعض المسلمين الذين أبعدوا الإسلام عن حياة الناس أو أساؤوا تطبيقه.

ثم سألته: هل عندك وقت للاستمرار في المناقشة؟.

فقال: نعم!.

قلت له: لك مع الإسلام رحلة طويلة، أما بدأت تفكر فيه، أو أما رأيت أنه أقرب إلى العقل والفطرة من غيره؟.

فقال: أظن أن الإسلام ليس بأبعد من العقل، وليس بأقرب من العقل، مثل النصرانية.

قلت: أي عقل: عقل الإنسان العادي، أو عقل الذي عنده أفكار معينة؟.

قال: أي عقل كان هذا لا يهم.

قال الدكتور قاسم موجهاً خطابه إليّ: أنصحك! لقد صار لي معه اثنتا عشرة سنة أريد أن يُسلِم فلم يفعل.

قلت: أنا أسأل مجرد أسئلة والهداية بيد الله.

قال الدكتور بيتر: الإسلام والمسيحية واليهودية والبوذية كلها ديانات، وأسسها اعتقادات، أنت تريد مني أن أعتقد شيئاً لا أراه؟.

قلت: القرآن الكريم توجد فيه براهين تدل على صحته وصدقه ولا توجد في غيره.

قال: لماذا؟.

قلت: أولاً: الإعجاز الذي فيه.

http://kotob.has.it

فقال: ـ الإعجاز! ـ.

قلت: وليس إعجازاً لفظياً فقط، بل إن العلم الحديث أقر أن في القرآن حقائق لم يتوصل العلماء إليها إلا بعد ألف وأربعمائة سنة بعد دراسات ومشقات وأجهزة حديثة.

قال: هذا يعتمد على تفسيرات.

قلت: لا، بل على نصوص القرآن والسنّة، وضربت له مثالين: **المثال الأول**: بما في خلق الجنين من أطوار ومصطلحات وردت في القرآن والسنّة في وقت يستحيل فيه على البشر أن يعرف ذلك، وقد تحقق ذلك في هذا العصر عن طريق التقدم العلمي، **والمثال الثاني**: إخبار الرسول ﷺ بأن المسلمين سيقاتلون الترك، وقد حصل.

فقال عن الأول: كان للأعراب القدماء معرفة وفهم عميق بكل ما يتعلق بالطبيعة ويعرفون الجنين.

قلت: بهذه التطورات؟.

قال: كانوا يفتحون بطن جملهم ـ يعني ناقتهم[1] ـ.

قلت: وقت النطفة؟.

قال: ولكن هل يجب على الإنسان أن يعرف معنى النطفة؟.

قلت: المراد أن الله ذكر ذلك قبل ألف وأربعمائة سنة ولم يُعرف معنى ما ذكره الله في القرآن من ذلك الزمان إلا في هذا العصر والرسول ﷺ يقول: «نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نكتب» وهذا المعنى لا بد أن يكون من عند الله.

---

(١) انظر إلى أين يصل الحسد والهوى بالإنسان، المختصون في علم الأجنة يعترفون باستحالة معرفة ما ذكره القرآن في وقت نزوله بالنسبة للبشر ويعترفون أن القرآن من عند الله بسبب اشتماله على ما لم يمكن للبشر أن يعرفه في ذلك الوقت والدكتور بيتر يقول إن الأعراب كانوا يفهمون ذلك فهماً عميقاً؟!.

http://kotob.has.it

فقال: أرسطاطاليس قد فتح رحم الأم قبل الإسلام.

قلت: وعرف النطفة والعلقة والمضغة؟.

فسكت.

قلت: وقصة قتال الترك؟.

قال: هل الحديث صحيح؟.

قلت: نعم.

قال: هذا يحتاج إلى دراسة تاريخ الحديث.

قلت له: ادرسه.

قلت: ماذا ترى عن مستقبل العالم الإسلامي، مع هذه المشكلات التي تنتشر فيه وفي غيره؟.

سكت كعادته، **ثم قال**: هذا سؤال صعب جداً.

قال الدكتور قاسم: أنا سألت مستشرقاً مشهوراً في بريطانيا، قلت له: ماذا تظن عن مستقبل الإسلام في إنجلترا؟ قال: أظن أن إنجلترا ستتحول إلى الإسلام.

فقال الدكتور بيتر: في رأيي ستتحول الأحوال في العالم الإسلامي إلى أحوال تشبه الأحوال في أوروبا أكثر من أحوال أخرى.

قلت: من أي ناحية؟.

قال: ستكون الشريعة الإسلامية أضعف في المجتمع الإسلامي من الوقت الحاضر[1].

---

(١) يحاول بشتى الوسائل أن يدخل اليأس في قلوب المسلمين من تطبيق الشريعة وبدلاً من أن تقترب أوروبا إلى الإسلام يرى اقتراب المسلمين في نهج أوروبا في فصل الدين عن الدولة.

http://kotob.has.it

قلت: لماذا تظن هذا الظن؟.

قال: لما أراه في الدول الإسلامية في كل مكان وقد سأل الحسن الثاني ـ يعني طلب ـ أن يكون عضواً في دول السوق الأوروبية المشتركة.

قلت له: أنت تعرف في علم الاجتماع أن الأضعف يقلد الأقوى؟.

قال: ممكن.

قلت: هذا الذي نص عليه ابن خلدون في المقدمة.

قال: كل المشكلات في العالم الإسلامي سببها محاولة تطبيق الشريعة الإسلامية.

قلت له: أنا أوافقك أن محور المشكلات في العالم الإسلامي يتعلق بتطبيق الشريعة الإسلامية، لأن الشعوب الإسلامية تريد تطبيقها وأكثر الحكام لا يريدون ذلك، وعدم تطبيق الشريعة الإسلامية هو سبب كل المشكلات، والدليل على إرادة الشعوب الإسلامية تطبيق الشريعة كثرة الشباب الذي يطالب بها مع ما يلاقيه من اضطهاد ومطاردة واعتقالات، وإعدامات، ولم يترك الحكام المناوئين لتطبيق الشريعة يهدأون، وسوف لا يتركهم مهما كانت التضحيات حتى تطبق الشريعة الإسلامية.

قال: حتى العمال؟.

قلت: حتى العمال، بل كثير من الفسقة الذين لا يحافظون على الصلاة لو سألتهم ماذا تريدون لقالوا: الإسلام.

قال: ولكن أي إسلام؟.

قلت: الإسلام الذي جاء به القرآن والسنّة، نحن ليس عندنا إسلام غير القرآن والسنّة، وكل شيء يأتي من خارج القرآن والسنّة، وهو يخالفهما فليس من الإسلام.

قال: بحدودها؟ يعني مع تطبيق الحدود.

http://kotob.has.it

قلت: نعم، في كل شيء، وهذه الحدود التي تخافون منها-لا تحصل إلا نادراً، لأنه إذا طبق الإسلام سوف لا يوجد سراق كثيرون ولا زناة كثيرون، لأن الإسلام يحل المشكلات من جذورها، يبدأ الإسلام بالحل من تربية الفرد والأسرة والمجتمع، وكلها مبنية على إيمان ونظام حياة.

أنتم الآن ترون الناس جائعين فيسرقون، وترونهم فسقة فيزنون، وترون بينهم وبين الحكام مشكلات تنتهي إلى الانقلابات أو السجون والمعتقلات والقتل، وهذه الأمور الموجودة ستنعدم أو تقل كثيراً إذا طبق الإسلام، لكن أنتم تظنون أنه إذا طبق الإسلام ستبقى موجودة على ما هي الآن وسيصبح المجتمع كله قتلاً وقطعاً ورجماً. وليس الأمر كذلك، ولو راجعت الفترة التي كانت في عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفائه لوجدت عدد الذين ارتكبوا ما يوجب تطبيق الحدود قليلاً جداً. فالشيء الذي في أدمغتكم عن الإسلام ليس هو الإسلام بل هو شيء آخر تماماً.

قال: ولكن عندي رأي آخر.

قلت: لا بأس، لأن لك تاريخاً طويلاً في تكوين هذا الرأي لا يمكن أن تتنازل عنه في هذه اللحظات، بل تحتاج إلى مراجعة طويلة حتى تصل إلى نتيجة صحيحة.

قال: ولكن كل ما أرى في العالم الإسلامي يقوّي ما أرى وهل الحوادث الموجودة في كل مكان سببها العالم الغربي؟.

قلت له: أضرب لك مثالاً: عبد الناصر، ذبح الإخوان المسلمين وسجنهم ـ قال الدكتور: ذبحاً كاملاً ـ.

قلت: وأصبح الناس يظنون أن الإسلام انتهى في مصر وبعده بسنة واحدة فقط (وقبل أن أكمل قال الدكتور بيتر: ازدهر الإسلام) **قلت**: ازدهر مثل النبات الذي ينتشر بسرعة هائلة.

قال: نعم.

http://kotob.has.it

قلت: لماذا؟ إن القوة قد تسلطت على الشعوب، ولو تركت الشعوب تختار ما تريد لما رضيت بالإسلام بديلاً.

ولهذا فرأيك غير صحيح.

قال: ولكن هناك اختلافات كثيرة بين المسلمين ويبدو أنه ستصعب عليهم الوحدة، وتوجد بينهم اختلافات حتى في أوروبا، فهل السبب هو العالم الغربي؟.

قلت: العالم الغربي وتلاميذه من أبناء المسلمين.

قال: وهل السبب في حروب القرون الأولى هو العالم الغربي؟.

قلت: سببه بعد المسلمين عن الإسلام[1].

وذكرت له مثالاً، لو أن أحد الأحزاب تعلم الدكتاتورية وخرج عن الديموقراطية، هل تعتبرونه خارجاً عن الديموقراطية؟.

قال: نعم.

قلت: كذلك الذي يترك الإسلام ولا يطبق أصوله يعتبر خارجاً عن أمر الله.

قال: كم في المائة خرج عن العالم الإسلامي؟.

قلت: هذا صعب، ولكن كثيراً من المسلمين خرجوا عن الإسلام. وضربت له أمثلة بالملحدين والعلمانيين الذين يرفضون حكم الإسلام ولا يرونه صالحاً للعصر، وهؤلاء لو كنت قادراً عليهم لحكمت عليهم بحكم المرتد.

قال: لماذا؟.

قلت: لأنه أنكر الإسلام.

---

(١) ومع ذلك فقد كان لليهود دور كبير في المشكلات التي حصلت بين المسلمين من عهد الصحابة رضي الله عنهم، كالحال في عبد الله بن سبأ.

http://kotob.has.it

قال: ولكن على الرغم من كل ما ذكرت أعتقد أن العالم الإسلامي يتغير إلى جهة أوروبية.

قلت: بالقوة أم بالاختيار، **قال**: بالقوة أو بالاختيار.

قلت: نحن نعتقد إن شاء الله أن أوروبا ستستفيد من الإسلام.

ضحك وقال: يمكن ولكن من الجهة الروحية.

قلت: من الإسلام سواء من الناحية الروحية أو غيرها، ونحن الآن ليس عندنا إمكانات، ونعتبر ضعفاء ولكن ديننا قوي ومتى رجعنا إليه منحنا الله القوة، والفرق بيننا وبينكم أنكم أقوياء بالديمـوقراطيـة - والديمـوقراطيـة ليست من الإسلام ولكن لو وجد منها حرية اختيار أولياء الأمور في البلدان الإسلامية لتمكن المسلمون من تطبيق الإسلام -. وعندكم احترام للنظام ولا توجد حروب بين شعوبكم واقتصادكم قوي والحرية عندكم موجودة في الجملة، وبسبب ما عندكم من قوة تنظرون إلينا ونحن ضعفاء، ولكن ليس عندكم أساس ثابت في الإيمان ونظام الحياة الرباني، أما نحن فعندنا هذا الأساس الذي يمنح الإنسان بقلبه وعقله وروحه وجسمه قوة، فإذا استقرت أمورنا على هذا الأساس القوي فسيكون العالم الإسلامي أقوى من غيره وعندئذٍ سينظرون إلينا نظرة أخرى.

قال: هل توجد حرية في مجتمع يسيطر عليه الإسلام؟.

قلت: الأصل أن لا توجد الحرية الصحيحة في غير الإسلام أتدري لماذا؟.

قال: قد قلت: إن هولندا بها حرية كاملة!.

قلت: حرية في الجملة.

قال: وهل هذه الحرية في الجملة ستكون موجودة في العالم الإسلامي؟.

قلت: ستكون الحرية في العالم الإسلامي أحسن من أي حرية أخرى وهي في حدود الإسلام.

قال: هذه الحرية ستختلف عما هو موجود في أوروبا لأن الحرية في أوروبا مبنية على نظام فصل الدين عن الدولة.

http://kotob.has.it

قلت: إن سبب فصل الدين عن الدولة في أوروبا معقول لأن الدين الذي كان موجوداً يزعم أهله أنه من عند الله ويجبرون الناس على قبوله من أفكارهم وكانوا يقفون ضد العلم والحقائق العلمية ويقولون إنها تخالف الدين الذي جاء من عند الله ويحرمون على الناس ما لم يحرمه الله وليس في ذلك الدين نظام يمكنه أن يسير حياة البشر تسييراً سعيداً، فكان لأهل أوروبا الحق في الخروج على هذا الدين. ولكن دين الإسلام ليس كذلك، بل إن دين الإسلام يلائم العقل والفطرة وهو يدعو إلى الاعتبار واستعمال العقل، ولا يمكن أن يتعارض مع أي حقيقة علمية وكان الواجب على أهل أوروبا أن يبحثوا في هذا الدين فسيجدونه ديناً صحيحاً يسعدون به ولكنهم فعلوا كما يفعل شخص يحترق بيته فيذهب هائماً في الصحراء يأبى أن يسكن البيوت خشية من أن تحترق كلها كما احترق بيته الأول، أي إن الأوروبي عندما اضطر أن يفصل ديناً غير قادر أن يكون منهج حياة، بل يعارض مصالحه التي يراها توافق العقل وتجلب له الخير، اضطر أن يفصل هذا الدين عن السياسة، وظن أن كل دين يجب فصله عن السياسة، ولو كان ديناً آتياً فعلاً من عند الله، وعنده منهج للبشر يوجّه نشاطهم كله إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

قال: لا تظن من فصل الدين عن الدولة في أوروبا أن الكنيسة لا تأثير لها في حياة الناس، بل لها تأثير كبير، هناك أحزاب دينية والحزب المسيحي في هولندا هو أكبر الأحزاب فيها.

قلت: ولكنه علماني، وليس عنده إلا الاسم، والأسلوب الذي يحكم به في هولندا يحكم به أي حزب غيره.

قال: لا يمكن أن نقول بسهولة أنه يوجد فصل تام بين الدين والدولة في أوروبا، فهناك مجالات يمنع الدين من التدخل فيها، وهناك مجالات يمكن للدين أن يكون فيها. مثلاً: المدارس مفتوحة لتدريس الدين، المدارس الأولية والثانوية وحتى الجامعات.

قلت له: لم تفهم ماذا أريد إلى الآن، أنا أقول احترق بيت أوروبا فحرمت

http://kotob.has.it

على نفسها أن تسكن في بيت غيره، فصلت دينها عن دولتها بسبب عدم قدرته على منحها منهجاً لحياتها يتناسب مع مصالحها، ولمصادمته للعقل، وظنت أن كل الأديان كذلك فعممت الحكم على الإسلام فلا سمع ولا طاعة في الحكم لأي دين آخر، أليس كذلك؟.

قال: بلى.

قلت: أما بالنسبة لديننا فإنه يدعونا إلى التفكير بالعقل ويدعونا إلى التقدم العلمي ويدعونا إلى المناقشات الحرة ويدعونا إلى كل شيء فيه صلاح ديننا ودنيانا.

قال: لا، لا.

قلت: أنا إذا قلت ديننا فأريد به القرآن والسنّة فلا تخلط بين المنهج وبين ما يفعله بعض المسلمين.

قال: دينكم يقدم العلم إلى حد ما، لو عمل العلم بنوع ضد الدين فهذا ممنوع.

قلت له: لا يستطيع العلم أن يثبت حقيقة علمية واحدة ثابتة تخالف الدين، سواء كانت تتعلق بالطب أو الكون، لكن عند المسيحيين تخالف.

قال: وما رأيك في علم الاستشراق؟.

قلت: العلوم الإنسانية أمر آخر، يحصل فيها خلاف حتى بين المسلمين، وأنا أتكلم عن الحقائق العلمية التجريبية أو الحسية المشاهدة...

قال: حتى علوم الطب، مثل إسقاط الجنين.

قلت: هذه ليست حقيقة علمية، بل هو حدث يحتاج إلى حكم بالإباحة أو المنع.

قال: ولكن مجال العلم أوسع.

قلت: الإسلام أوسع.

http://kotob.has.it

قال: أما أنا فأحب هذه الحرية التي أعيش تحتها ولا أريد أن أفقدها، ويبدو لي أنا أنه لا يمكن أن توجد هذه الحرية في مجتمع إسلامي تسيطر عليه الشريعة الإسلامية.

قلت: هل تعني الحرية الموجودة عندكم بكل ما فيها؟.

قال: نعم.

قلت: صحيح إذا طبقت الشريعة الإسلامية سوف لا توجد هذه الحرية لأنها ـ بكل ما فيها ـ تعتبر فوضى وخروجاً على دين الله ولا يمكن أن يقرها الإسلام، ولكن عندي سؤال عن معنى الحرية، ما هي؟.

قال: حرية الإنسان: أولاً الحقوق الإنسانية، وأول حق إنساني هو حرية الضمير، وهذا يدل أن لكل إنسان حرية دينية وأخلاقية وفلسفية!.

قلت: أخلاقية أيضاً؟.

قال: إلى حد ما، طالما عاش في بيته أو في مجتمعه فله حرية الضمير، سواء كان نصرانياً أو يهودياً أو مسلماً أو ملحداً، يعتقد ما يريد، هل توجد هذه الحرية في ذلك المجتمع الإسلامي؟.

قلت: الجزء الذي يحقق الحياة السعيدة للإنسان موجود.

قال: هل يمكن في هذا المجتمع أن يتكلم الناس بكل حرية ينتقدون الرئيس؟.

قلت: نعم تنتقد الرعية ولي أمرها في الإسلام سواء كان المنتقد فرداً رجلاً أو إمرأة أو جماعة وعندنا في الإسلام باب كبير يسمى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدين النصيحة.

قال: هذا ليس عملياً الآن.

قلت: نعم، لأن الشريعة لم تطبق، وقلت لك يجب أن تفصل بين تصرف سيء من بعض المسلمين وبين منهج الإسلام.

http://kotob.has.it

قال: الأوروبي ينظر إلى العالم الإسلامي من الناحية العملية فهو لا يدرس الكتب القديمة، إنما يرى الحقيقة.

قلت: قل الواقع.

قال: الواقع.

قلت: أنت تدرس الحقيقة.

قال: الكتب القديمة جزء من الواقع.

قلت: حقيقة الإسلام قد يوافقها الواقع وقد يخالفها ويبقى الإسلام هو الحقيقة، سواء طابقه الواقع أو لا.

قلت: أنا أفهم أن الحرية الصحيحة أن لا يكون الإنسان عبداً إلا لله فقط، ولا يكون حراً في ترك عبودية الله.

قال: هذا رأيكم.

قلت: نعم، هذا رأيي.

قال: هناك آخرون لهم آراء.

قلت: نعم، بعضهم يرى أن من الحرية شرب الخمر والزنا وعمل ما يريد في الحياة.

قال: لا، لا، نحن نتحدث في الحقوق الإنسانية، وقلت لك: أول حق إنساني هو حق حرية الضمير.

قلت: تعني حرية الدين؟.

قال: هل يمكن في مجتمعكم أن تُعطى في المستقبل حرية للمعتقدين بالبوذية؟.

قلت: وجد في عهد الصحابة.

قال: نعم في عهد الرسول (ﷺ) ولكن الآن وفي المستقبل؟.

http://kotob.has.it

قلت: إذا طبق الإسلام بمعناه الحقيقي سيكون أهل الأديان يعبدون حسب دينهم الذي يقرهم عليه المسلمون.

وكثير من العلماء يرَون أن الجزية تؤخذ من غير أهل الكتاب كما تؤخذ منهم، أما قرأت عن الجزية؟.

قال: ليس للمسلمين الحق في أخذ الجزية.

قلت: المسلمون يأخذون الزكاة من المسلمين ويلزمونهم بالجهاد في سبيل الله حسب الحاجة، ويأخذون الجزية من غير المسلمين ولا يلزمونهم بالقتال في صفوفهم.

قال: الآن لا يأخذون الزكاة ولا الجزية.

قلت: نعم، لأن الإسلام غير مطبق إلا في بعض البلدان مع تقصير في التطبيق.

قال: إذا أردت أن تتكلم مع الأوروبي من فضلك تكلم عن الواقع ولا تتكلم عن المستقبل أو عن الماضي قبل ١٤ قرناً.

قلت: أنا لا أتكلم عن الإسلام إلا من طريق القرآن والسنّة فقط ولا أتكلم عن إسلام يخالفهما، قلت لك إن المبدأ الأساسي عند المسلم هو هذا، وأنا إذا تكلمت عن الإسلام إنما أتكلم عنه من هذا المنطلق.

قال: حتى في هذا المجتمع لكم الحق ولكم الحرية باعتقاد القرآن والسنّة.

قلت: والتطبيق؟.

قال: التطبيق شيء آخر.

قلت له: العقيدة بدون تطبيق كعدمها.

وإلى هنا انتهت المناقشة مع المستشرق الهولندي الدكتور فان في جامعة ليدن[١].

* * *

(١) انظر الصورة رقم [١٠] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

(١٤)

لقاء مع المستشرق السويدي: كنث رتزن[١] (KENNETH RITZEN).

كان الأخ أشرف قد ضرب لي معه موعداً للاجتماع به، وقد بدأ النقاش معه في مكتب الرابطة الإسلامية الإعلامي سبع ساعات، من الساعة الثانية بعد الظهر إلى الساعة التاسعة.

وعندما بدأنا الجلسة قال لي: أنه عندما علم أمس أنه سيلتقي بي قرأ كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب كله، باللغة الإنجليزية وقال: أنه وجده قوياً في أفكاره لتصحيح الأوضاع التي كانت موجودة في عهده بالجزيرة العربية.

وسألني عن التعليقات التي تذكر بعد نصوص كل باب **فأخبرته** أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يورد في كل باب ما يناسبه من نصوص القرآن والسنّة، ثم يذكر المسائل التي استنبطها من تلك النصوص لينبه القارىء على المعاني التي أراد إبرازها من النصوص.

فقال: يبدو أنه كتبه بعجلة، لأنه يأتي بكلام قليل بعد الأبواب.

قلت: كان هدفه أن ينبه الناس على ما تدل عليه النصوص وليس هدفه شرحها بتوسع.

وسألني عن كلمة الوهابية، هل أطلقها محمد بن عبد الوهاب على دعوته، أو الموحدون أطلقوها أو غيرهم؟.

---

(١) في مقر الرابطة الإسلامية في مدينة استوكهولم السبت: ١٤٠٧/١٢/٢١ هـ.

http://kotob.has.it

فأجبته أنه لم يسم دعوته بذلك، وإنما كان يدعو الناس إلى العودة إلى الإسلام، ولكن معارضيه سموا دعوته بالدعوة الوهابية تنفيراً للناس منها.

وسألني عن الكتب التي يمكنه أن يقرأها عن دعوة محمد بن عبد الوهاب؟.

فقلت له: ينبغي أن يقرأ كتب محمد بن عبد الوهاب نفسه وكتب تلاميذه فإنها تبين حقيقة دعوته.

أما إذا أراد أن يقرأ ترجمة الشيخ نفسه فقد ألفت فيه كتب كثيرة وذكرت له بعضها.

وقال المستشرق كنث: إن بعض المسلمين يهاجمون ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب فما رأيك؟.

فقلت له: إنهما يدعوان إلى الدين الحق والتمسك بالكتاب والسنّة، والهجوم عليهما غير مستند إلى برهان، وليس معنى هذا أنهما معصومان عن الخطأ في بعض الجزئيات، ولكن نهجهما هو النهج السليم في صفاء العقيدة.

وحصلت مناقشة طويلة جداً في آراء ابن تيمية وموافقته للمذاهب الأربعة الفقهية أو مخالفته لها، وأقر بسعة أفق ابن تيمية، **وقال**: إنه كان يريد من المسلمين أن يعبروا حواجز الخلاف إلى الأخذ بالحق من الكتاب والسنّة وإجماع الأمة، **وبينت له** أن ابن تيمية رحمه الله لم يخرج عن قواعد الأئمة والسلف.

وقد خرجت بنيتجة من رحلتي هذه ولقائي ببعض المستشرقين وغيرهم من المسيحيين، وهي أنه ينبغي للدعاة إلى الإسلام أن يختاروا بعض المستشرقين أو غيرهم ممن ليسوا بمسلمين، سواء كانوا متمسكين بالمسيحية أو ليسوا متمسكين بها ويجري معهم شيئاً من الحوار عن الإسلام وبيان مبادئه بالأسلوب المناسب، وقد يكون سؤالهم عن بعض الأمور والإجابة على ما عندهم من استفسارات، فيبدو أن بعض هؤلاء يريدون أن يفهموا الإسلام من أهله كما أنهم لا يخفون في

http://kotob.has.it

الغالب ما يفهمون عن الإسلام ويقبلون المناقشة وبعضهم إذا ظهر له الحق يعترف به.

وقد اعترف صاحبنا بعد مناقشة طويلة بأن منهج الإسلام يخالف تصرفات المسلمين السيئة، مع أنه كان يرى أن تصرفات حكام الشعوب الإسلامية كلها إنما هي اجتهادات إسلامية، **ولكنه قال**: أنه يستطيع أن يصرح بهذا الاعتراف في المجالس الخاصة، ولا يستطيع التصريح بذلك أمام طلابه لما يترتب على ذلك من المواقف التي ستتخذ ضده من المسؤولين عنه[١].

هذا وبعد أن انتهينا من المناقشة نزل المستشرق السويدي إلى مكتبة الرابطة الإسلامية واشترى بعض الكتب الإسلامية المترجمة وأصررت عليه أن يقبلها هدية مني، وكان مسروراً جداً من المناقشة التي جرت بيني وبينه، وبدا لي من إجاباته وأسئلته وتعليقاته أن عنده شيئاً من التعاطف مع الإسلام أسأل الله له الهداية، وذكر لي الأخ أشرف الخبيري فيما بعد أنه كان مرتاحاً جداً لهذا الاجتماع.

بدء الحوار مع المستشرق السويدي: (كنث)

تخصصه في تاريخ الأديان، غير النصرانية، وبخاصة الإسلام ويحاضر في خارج الجامعة فيما يتعلق بالمسلمين خارج السويد أو في داخلها.

وقال: إنه يمكن دراسة الأديان من نواح مختلفة، ولكنه هو اهتم بدرجة

---

(١) وهذا يدل على ثلاثة أمور:

الأمر الأول: استمرار تعصب أكثر المستشرقين والتزامهم بنهج التحيز ضد الإسلام، ومن ذلك خلط تصرفات المسلمين السيئة بمنهج الإسلام وإفهام الناس ذلك.

الأمر الثاني: أن حرية الرأي في الغرب ليست مطلقة، ولو كانت كذلك لما خاف هذا المستشرق من ضغوط أساتذته إذا صرح بغير نهجهم.

الأمر الثالث: أن بعض المستشرقين يكتمون الحق وهم يعلمون خوفاً على مراكزهم الاجتماعية.

http://kotob.has.it

كبيرة بدراسة الدين من الناحية الاجتماعية نظراً لكونه عاش في أسرة فقيرة جداً وذات عدد كبير من الأولاد ـ يعني إخوانه ـ.

ولم يدرس من اللغة العربية إلا المصطلحات، ولذلك اهتم فقط بالناحية الاجتماعية والنفسية، ولو أنـه درس اللغة العـربية لقـرأ كثيراً عن الإسـلام وموضوعاته المختلفة.

وسألته: متى سمع عن الإسلام في حياته؟.

فقال: سمع عن الدين وهو في سن التاسعة من خلال المواد الدراسية المحدودة.

قلت: ماذا سمع عن الإسلام مدحاً أم ذماً؟.

قال: أوروبا هي مركز نظرتنا إلى الأشياء، وبدأ اتصاله بالإسلام من خلال الكلام عن شخصية عبد الناصر الذي اشتهر في أوروبا، لكن الاتصال بالإسلام كان محدوداً جداً.

وفي معركة **١٩٧٣** في سيناء ومعركة البترول وبروز القذافي بدأ الإعلام الأوروبي يتحدث عن الإسلام.

وقبل الثورة الإيرانية كان الإعلام الأوروبي محايداً نوعاً ما، ولكن بعد الثورة الإيرانية بدأت تـظهر الأخبـار عن بعض البلدان الإسلاميـة، كإيـران والسعودية والسودان وباكستان ومصر، وبدأت النظرة إلى الإسلام تتسع وفيها حذر.

وقال: أنه بدأ دراسة تاريخ الأديان سنة **١٩٧٢** وكان موضوع الإسلام عنده مهماً، لأن الإسلام يهتم بالنواحي الاجتماعية والسياسية، وليس كبقية الأديان التي تهتم فقط بالنواحي الروحية، وعندما بدأ يدرس النواحي الاجتماعية في الإسلام تعمّق فهمُه للإسلام في موضوعات أخرى غير النواحي الاجتماعية التي هي محور الدراسة.

http://kotob.has.it

قلت له: ما المصادر التي تستقي منها معلوماتك أنت وأساتذتك وطلابك في الجامعة عن الإسلام؟.

قال: إن السؤال كبير جداً، ولكن عندما بدأ هو دراسته كانت دراسة الدين الإسلامي بأسلوب محلي وتقليدي، وبعد عام ١٩٧٨ تعاون مع أستاذة في الجامعة وتسمى: كارينا درنيفا، في تطوير طريقة التدريس بأسلوب تربوي جيد.

وقال: المؤسف أن الكتب التي تدرس في الجامعة هي كتب علماء غربيين، والمستشرقون فريق منهم محايد ويتعاطف مع الإسلام، وفريق معادٍ للإسلام أو السامية عموماً، والكتابان الموجودان الآن هما لمستشرق سويدي (يانيارد) وهو أعلم السويديين بالإسلام لتخصصه فيه، ويعتبر هذان الكتابان أساس المراجع، وتوجد تكملة لهما، وهي عبارة عن مقالات لبعض المسلمين وترجمات لمعاني القرآن الكريم والأحاديث.

قلت: من أي نوع هذا المستشرق؟.

قال: الأصل أن يعرض الإسلام بطريقة علمية بحتة، بحيث لو جلس معهم صاحب دين ما لا يشعر أنهم يقدمون دينه بطريقة ظالمة له، ولكن قد تتدخل عوامل من الناحية التطبيقية، وهي أن المدرسين لهم خلفيات معينة تؤثر في عرض الإسلام.

وقال: إنهم يستعملون الموسيقى مع الأذان وحلقات الذكر، كأمثلة لما يفعله المسلمون[1]، وكذلك الصور والأفلام والخط العربي الجميل.

قلت له: هل يدعى بعض المسلمين إلى الجامعة ليتحدث عن الإسلام بصفته يمثل الإسلام ويفهمه عن كثب؟.

فقال: أما دعوة المسلم ليتحدث عن الإسلام في الجامعة فإنه توجد حواجز بين الجامعة ومسؤوليها وأساتذتها وبين دعوة المسلم لذلك.

---

(١) يعني: يخلطون بين منهج الإسلام وتصرفات المسلمين.

http://kotob.has.it

قلت: وهل توجد مراجع إسلامية ألّفها مسلمون أو ترجموها إلى اللغات المقروءة في الجامعة، وهل تعتمد تلك الكتب لو وجدت؟.

فقال: في مجال العبادات يظهر شرح المعلومات من كتب المسلمين[١]، أما في مجال السياسة فنظراً لاختلاف المسلمين فيها فلا تعرض من وجهة نظر المسلمين، وإنما تعرض عرضاً واقعياً ويعلق عليها، ومثّل لذلك بالاختلاف بين عبد الناصر والسوريين في فترة من الفترات، وكذلك الخوارج وخصومهم في القديم.

وعلقت على كلامه هذا، فقلت: إذا كان هناك رأي محايد، فيجب أن يرجع في التحليل والبيان إلى كتب الإسلام ومصادره الأصلية التي تصل إليكم مترجمة من قبل المسلمين ولا يجوز أن تعتمد على رأي عبد الناصر في سوريا ولا رأي سوريا في عبد الناصر، وكذلك إيران وخصومها، ولا أن تحكموا بتلك الآراء كلها على الإسلام وإنما الواجب العودة إلى المصادر الإسلامية نفسها، ويجب أن يكون منهج الإسلام هو المعتمد وليس تصرفات المسلمين، أي يجب الفصل بين منهج الإسلام وتطبيق المسلمين الذي يخالف ذلك المنهج.

فقال: أنا أعلم تمام العلم أنه يجب الرجوع إلى المصدر الرئيسي وهو القرآن والسنّة، ولكن يوجد ٨٥٠ مليون مسلم ينتشرون في العالم ولهم تأويلاتهم المختلفة واجتهاداتهم في استنباط الأحكام المتضاربة.

قلت: هل ترى أن ما يفعله حكام المسلمين هو من الاجتهادات والاستنباطات الإسلامية، **فقال**: نعم.

فسأله الأخ أشرف: هل هناك حدود تبين من له حق الاجتهاد؟.

فقلت له: قبل أن تطرح عليه هذا السؤال قل له: إن القرآن والسنّة لا بد من الأخذ بهما وعليك أن تبحث عن ترجمة معانيهما من مصدر موثوق وتأخذ

(١) قلت: والغالب أن تكون تلك الكتب هي كتب الصوفية المتطرفة ككتب ابن عربي، ونحوه.

http://kotob.has.it

الإسلام من النصوص الواردة في القرآن والسنّة، ويمكن أن تتصل بالمسلمين في بلدك لتفهم منهم فإنهم أقرب إلى فهم الإسلام، أما تطبيقات الحكام فلا يجوز أن يفسر بها الإسلام ويوجد منهم من ينبذ أحكام الإسلام ويعادي من يدعو إليها، فكيف يكون من مجتهدي الإسلام من هو عدو له؟!.

فقال: هل البلدان التي تدعي أنها تحكم بالإسلام لا تطبق الإسلام؟.

فقلت: يوجد في بعضها شيء من التطبيق، ولكن لا يجوز الحكم على الإسلام إلا من خلال منهجه الذي يفهمه المختصون فيه.

قال: لماذا أقر تطبيق الإسلام في السودان ثم اتجه إلى إلغائه، ولماذا بديء بتطبيق الإسلام في باكستان ثم لم يطبق، وكذلك إيران؟.

قلت له: لو وجد توكل كامل على الله تعالى ولم يراع الحكام الذين يعلنون أنهم يريدون تطبيق الشريعة الإسلامية تدخل الغرب في شؤونهم وتهديد الدول الغربية لهم إذا هم طبقوها فعلاً، لو وجد ذلك التوكل وعدم مراعاة تلك التهديدات لطبقوها فعلاً، ولكن عدم التوكل على الله والخوف من الغرب وتدخل الدول الغربية في شؤون الشعوب الإسلامية هي السبب في هذه الاضطرابات الموجودة في العالم الإسلامي.

فالدول الاستعمارية أخرجت كثيراً من أبناء الشعوب الإسلامية عن أصول دينها ووضعت لها مناهج تخالف الإسلام، وفرضت ذلك بالقوة، والذين درسوا هذه المناهج مُسِخت عقولهم وتسلّموا الحكم بمساعدة أولئك المستعمرين، فأصبحوا يسيطرون على الشعوب الإسلامية، ويطبقون الحكم بغير الإسلام كرهاً على شعوبهم.

ودول الغرب تطبق الديموقراطية في بلادها وتحول بين الشعوب الإسلامية وبين تطبيق تلك الديموقراطية ـ وإن كانت ديموقراطية الغرب تجافي الإسلام في أصولها ـ لأن الديموقراطية التي تطبق في الغرب لو طبقت في بلاد المسلمين من حيث الانتخابات لما اختار المسلمون لحكمهم إلا من يحكمهم بالإسلام، ولهذا

http://kotob.has.it

أصبحت الشعوب الإسلامية يفرض عليها الحكم بغير ما أنزل الله فرضاً.

قال: ما تفسيركم للتطورات في السودان؟.

قلت: حبكة غربية جاءت بالوضع الجديد.

قال: وماذا عن سوار الذهب؟.

قلت: هو الرجل الوحيد الذي حافظ على الأمن في وقت الأزمة، ولم يغتنم الفرصة المتاحة للاستبداد بالحكم مع أن القوة كانت في يده.

قال: أما ترى أن الديموقراطية طبقـت في السودان؟.

قلت: الديموقراطية في بلدان المسلمين لم تطبق، والأفضل أن تستفتى الشعوب لتقول كلمتها بحرية ليُعرف ما إذا كانت الانتخابات نزيهة أم لا؟.

قال: الانتخابات التي تمت في السودان كانت صحيحة بشكل كبير، والصادق المهدي يريد تطبيق الشريعة فكيف تطبق؟.

قلت: أجبتك عن الفقرة الأولى من السؤال، وأما كيفية تطبيق الشريعة، فالمرجع لكل شعب إسلامي علماؤه في معرفة ما هو من الشريعة وما ليس منها، والأمور الجوهرية في الشريعة لا يوجد فيها خلاف وإنما يوجد في الفرعيات والأمر فيها سهل إذا كان الاختلاف ناتجاً عن اجتهاد وحسن نية ولكن الاجتهاد للعلماء وليس للجهّال بالشريعة وإن كانوا حكاماً.

قال: وهل يطبق النص كما هو أو ينظر إلى روح النص والهدف منه؟.

قلت: النص قسمان: قسم لا يحتمل إلا معنى واحداً وهذا لا يجوز فيه الاجتهاد لأحد وتطبيقه حينئذٍ تطبيق لروحه والهدف منه، وقسم يحتمل أكثر من معنى وهذا يحتاج إلى مرجح، والعلماء هم الذين يرجحون من خلال قواعد أصول الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية.

وقلت له: إن القانون البشري يمكن مراجعة نصوصه وشروحه وتعديلها حسب ما تقتضي المصلحة لأنها من صنع البشر، وأما نصوص القرآن والسنّة فلا

http://kotob.has.it

يحق لعالم ولا لحاكم من الناحية التشريعية أن يعدل فيها، وإن كان يمكن مراجعة الاجتهاد في فهم النصوص إذا لم يكن مجمعاً عليه، وبشرط أن يكون المراجعون هم علماء الإسلام.

وسألته: متى دخل الإسلام إلى السويد، أو أول مسلم دخل إلى السويد، أو أول اتصال حصل بين السويد والعالم الإسلامي، وهل توجد وثائق تدل على ذلك؟.

قال: إن السويديين يعرف أنهم كانوا محاربين أشداء وكانوا يضعون على رؤوسهم قروناً، ولكن ليس لهم قرون(١)، وكانوا ماهرين في التجارة، ولما تأسست الدولة السويدية في القرن الخامس عشر الميلادي كان لهم ملك يسمى: قوسطافاسا، وفي هذا الوقت تولت ملكة بريطانيا إليزبث الأولى، وكذلك قامت الدولة الصفوية في إيران وبدأ الاتصال أكثر بين السويد وتركيا.

وقد وصل الرحالة المسلم ابن فضلان إلى السويد قبل ذلك ولكن لا أذكر بالضبط متى كان ذلك(٢).

ومنذ مائة سنة دخل فنان سويدي في الإسلام ويسمى إيفان أوقى، وأما مَن أول مسلم أو أول من دخل بالضبط فهذا غير معروف. وكان بعض السويديين متعاطفين مع الإسلام ولكن لا يدري أدخلوا في الإسلام أم لا.

أما إيفان فإنه أسلم حقيقة، وكان ذلك في القرن التاسع الميلادي، ولا يعتقد أنه أول من أسلم.

وقال: إن يوسف إسلام، أبوه بريطاني وأمه سويدية، وكان بعض الشعراء والمؤلفين لهم صلة بالإسلام ولكن لم يعرف إلى أين وصلوا بالنسبة للإسلام.

---

(١) يمزح، يعني يلبسون القرون وليس لهم هم قرون مثل الحيوان.

(٢) كان ذلك في القرن العاشر الميلادي ومطلع القرن الرابع الهجري، انظر الأعلام لخير الدين الزركلي (١/١٩٤ ـ ١٩٥) ط ٦.

http://kotob.has.it

ونظراً لانعزال السويد في الشمال عن التيارات الثقافية الأخرى فهي ليست كفرنسا التي وصلت إليها هذه التيارات الثقافية.

قلت له: متى بدأ المسلمون يفدون إلى السويد؟.

قال: بدأت الهجرة في الأربعينات والخمسينات، وأوقفت في النصف الأول من السبعينات، ولكن بدأ يفد إلى السويد لاجئون.

قلت: كم عدد المسلمين السويديين؟.

قال: في الدنمارك يدخل في الإسلام كل أسبوع اثنان، أي حوالي مائة شخص في كل عام، والسويد لا يوجد إحصاء معروف للمسلمين السويديين ولكن يبدو أنهم لا يزيدون عن ألف شخص.

قلت: هذا يدل على بطء شديد في دخول السويديين في الإسلام، فما السبب، هل تنفر أخلاق المسلمين السويديين عن الإسلام؟ أو أن السويديين محافظون على دينهم النصراني؟.

قال: السويد تعتبر أكثر البلاد الأوروبية الغربية بعداً عن التدين، وأوروبا بصفة عامة تبتعد عن التدين.

وأوروبا وبصفة خاصة شمال أوروبا يقبلون على الدين الذي يهتم بالروحانيات ولا يتدخل في أمور حياتهم السياسية، والإسلام يتدخل في شؤون الحياة السياسية وغيرها، وهذا يخالف ما ألفه الأوروبي، لأنه لا يريد ديناً يتدخل في حياة البشر، وإنما يريد ديناً تكون العلاقة فيه بين الإنسان وربه.

والناس منطقيون بدرجة كبيرة، ولهذا نبذوا الدين وصار عندهم غير مهم، ولكن في السنوات الخمس الأخيرة بدأ الناس يتحدثون مرة أخرى عن الدين، لاختلاطهم بالثقافات الأخرى.

والمجتمع السويدي مجتمع علماني، والدين ليس له تأثير في الناس، وينظر السويديون إلى الإسلام أنه دين متأخر ولا يوافق العقل وكل الأديان عندهم متأخرة.

http://kotob.has.it

والثورة الإيرانية لها تأثير في نفور الناس من الإسلام وليس معنى هذا أن كل ما عند الإيرانيين خطأ، ولكن الشيء البارز هو التعصب الذي اهتمت بإبرازه وكالات الأنباء العالمية.

وتوجد جريدة محافظة نشرت مقالين: أحدهما عن إيران، والآخر عن أفغانستان.

أظهر المقال الذي نشر عن إيران أن الإسلام دين وحشي وأما المقال الذي نشر عن أفغانستان فأظهر أن المجاهدين جبهة تحرير تقاتل من أجل الحرية والديموقراطية، ويرى الشعب السويدي ـ فيما يرى هذا المستشرق ـ أن المجاهدين الأفغان هم أقرب إلى الإسلام من الإيرانيين.

والسويديون يرَون أن المسلمين لا يعطونهم صورة حقيقية مشرفة للإسلام تجذبهم إليه. وتصور السويديين للمسلمين على هذه الصفة يحول بين السويديين والإسلام.

وإذا عرف المسلمون كيف يفكر السويديون وكيف يناقشون ويناظرون وإذا بدأ اتصال المسلمين بهم على هذا النحو فإن السويديين يمكن أن يبدأوا بتفهم الإسلام بدرجة أكبر(١).

قلت: ولو وجد أسلوب من دعاة الإسلام يبين أن الإسلام منطقي بمعنى أنه يوافق العقل فهل يقبل السويدي على الإسلام ما دام السويدي منطقياً؟.

قال: الذي يجذب الناس إلى الإسلام ليس الأدلة العلمية فقط، إذ يوجد اتجاه الآن إلى الغيبيات (ميتافيزيقيا) وإذا اجتمع الاثنان: الغيبيات والأدلة العلمية فيكون ذلك أقرب إلى التفهم والاستجابة.

وبعض الناس يتأثرون بشخصية محمد (ﷺ) ولكن لا يعرفون عنه كثيراً، وكذلك يمكن أن يقبل الناس على قضية التوحيد أو العبودية والروحانية والإخلاص.

---

(١) لقد نصح هذا المستشرق.

http://kotob.has.it

وقال: إن الإسلام هو المسيطر على العالم الثالث والمسلمون كلهم أمة واحدة، لأنهم يشعرون بانتماء بعضهم إلى بعض وهذه كلها تشد السويدي إلى الإسلام إذا وضحت له.

وكذلك اتصال الإسلام بقضايا المجتمع وحلول مشكلاته.

وسألته عن عام الإسلام الذي أقامته السويد قبل سنتين، ما الهدف منه، وما المؤسسات التي دعيت إليه وما نتائجه؟.

فأجاب: الهدف منه إعطاء فكرة عامة عن الإسلام من الناحية الدينية والثقافية، وليس من الناحية السياسية.

والفئات المشاركة على رأسها المتحف التاريخي وبعض المتاحف الأخرى، وأساتذة الجامعات، والمعروضات كالمخطوطات والعملات.

والنتيجة أنه حصل نجاح كبير، حيث حضر عدد كبير من الناس فأخذ الذي لا يعرف شيئاً عن الإسلام فكرة عنه، أما الذي عنده معلومات عن الإسلام قبل ذلك فلم يستفد كثيراً منه ولم تشارك مؤسسات إسلامية في ذلك.

ثم قال موجهاً سؤاله إليّ: ما تقويمكم أنتم لهذا الأمر؟.

فقلت: رأيي أنه كان ينبغي أن تدعى لحضوره المؤسسات الإسلامية من الداخل ومن الخارج حتى تعرف السويديين فعلاً بالإسلام من قبل المسلمين أنفسهم، وقد سمعت أن بعض حكام الشعوب الإسلامية بعثوا فرق رقص ونماذج مما يسمى بالفلكلور الشعبي، وهؤلاء لا يمثلون الإسلام وإنما يمثلون عادات كثير منها يخالف الإسلام وأغلب هؤلاء بعيدون عن التدين يشبهون الأوروبيين أنفسهم.

والتعريف الصحيح بالإسلام إنما يكون من أهله يشرحونه قولاً وفعلاً وهذا هو الذي تقتضيه الأمانة العلمية.

قلت: نظراً لدراستك الإسلام، هل وجدت فيه ما يكون فيه حل للمشكلات الموجودة في السويد؟.

http://kotob.has.it

فقال: الشيء الذي يمكن أن يفيد به الإسلام المجتمع الغربي: الربط بين نواحي الحياة السياسية والعلاقة الجنسية والأسرية والاجتماعية، كل ذلك يكون وحدة واحدة يشملها بند العبودية «عبد الله»[1] والإسلام يعطي توازناً بين الفردية والجماعية، وأوروبا ـ وبالـذات السويد ـ افتقدت هذا المعنى والإسلام يهتم به، والحياة في السويد في وقتها الحالي تتمثل في كلمة واحدة أو معنى واحد، وهو الاستمتاع بالحياة والإسلام فيه نظرة شاملة، فلا ينظر الإنسان إلى نفسه فقط (الأنانية) وإنما ينظر إلى من حوله كذلك.

قلت: يتساءل كثير من الناس: من أين جئت، ولماذا أتيت إلى الدنيا، وإلى أين المصير؟.

فهل وجدت في دراستك للإسلام أجوبة مقنعة عن هذه الأسئلة؟.

قال: أريد أن أعرف رأيك في جوابي عن سؤالك الذي قبل هذا.

قلت: جواب صحيح وممتاز جداً.

قال: هل تريد الجواب عن سؤالك الأخير مني أو من الرأي العـام السويدي؟.

قلت: بل منك أنت.

قال: شكراً، ليس عندي إجابة عن هذه الأسئلة الغامضة في الوقت الحالي، وربما في المستقبل يكون لها أجوبة، الآن لا أهتم بها ولا أجد لها جواباً.

قلت: يعني ما وجد لها إجابة في القرآن؟.

تنهد الرجل وسكت، **ثم قال** أنه يرى أن الإسلام لم يعطه الإجـابة المقنعة، ولكن هو يشعر بالتناسق والتوافق مع الأخلاق الإسلامية وهذا السؤال صعب!.

---

(١) هكذا نطقها باللغة العربية.

http://kotob.has.it

قلت: إذا أردت أن نتحدث في هذا الموضوع فلا مانع عندي.

قال: نعم، تفضل.

فشرحت له أن القرآن أجاب إجابات كاملة عن هذه الأسئلة، وذلك أن لهذا الكون خالقاً وهو الله، وأن الإنسان خلق ليعبد الله، وهذه العبادة شاملة لعمارة الأرض كلها في حدود ما يرضي الله، وأن هناك يوماً آخِر يصير الناس إليه فيحاسبون ويجزون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والجنة لأهل الإيمان والنار لأهـل الكفران.

قال: أنا عندي خلق الكون معجزة، هذا بالنسبة للسؤال الأول، والسؤال الثاني أرى أن العبادة أمر إيجابي في الإسلام، وأما السؤال الثالث فالمهم أن نفعل فعلاً صحيحاً، وليس المهم أن نعتقد اعتقاداً صحيحاً، كما قال الكاردينال الفرنسي فإن: العاطفة أهم من الناحية المنطقية.

قلت له: هل يمكن أن توجد عاطفة قلبية تصنع للناس ميزاناً للفعل الصحيح في الأرض، مع اختلاف الناس في العدل والظلم والهوى والعلم والبيئات؟.

لا يمكن أن يتفقوا على نظام معين نابع من العواطف ولا من العقول بل إنهم يحتاجون إلى من يضع لهم قانوناً وهو خالٍ من الجهل عالم، خال من الظلم عادل، خال من الهوى مستقيم على الحق بحيث يصلح النظام الذي يضعه للبشرية كلها.

فلما سمع هذا الكلام **قال**: وهذا هو الإله؟.

قلت: نعم، هذا هو الإله.

وسألته: ماذا ترى في مستقبل الإسلام في بلاد الإسلام وبلاد الغرب بعد أن تمكنت من دراسته مع ما تراه في الواقع؟.

فقال: على المستوى النظري يملك الإسلام المقومات التي تحتاج إليها البشرية، ولكن الآن بدأ الناس يتعاملون مع نصوص الإسلام وكل واحد يقول أنا

http://kotob.has.it

أستطيع أن أقرأ النص وأحدد المعنى الذي أراه، وليس علي اتباع أحد من الأئمة كابن حنبل وغيره، ومن الذي يملك حق التأويل للنصوص هل هو العالم أو الشخص العادي أو المدرس؟.

فقلت له: إنه يحتاج في معرفة جواب هذا السؤال إلى تعلم اللغة العربية ليفهم بها القرآن والسنّة وأصول الفقه وغيرها، حتى يعلم أن الذي له حق تفسير النصوص هو العالِم الذي اجتمعت فيه خصائص تمكّنه من التفسير، كما أن الهندسة والطب لا يمكن أن يتولى أمرهما إلا من تخصص فيهما، فلا بد للمفسر أن يكون عالماً باللغة، عالماً بالقرآن والسنّة، والقواعد الإسلامية والعلوم، وهذا المعنى قد لا يعرفه كثير من الناس الذين هم بعيدون عن فهم هذه القواعد والعلوم.

قال: في النصرانية، كل واحد يقرأ ويفسر، بخلاف القرآن والسنّة، فلماذا؟ وحتى المسلمون يوجد منهم مَن خرج عن تفسير العلماء، والطبيب المسلم يتكلم وغيره.

قلت له: الإسلام فيه قواعد مستنبَطة من القرآن والسنّة، والقرآن ثابت من وقت نزوله على النبي ﷺ إلى الآن ـ وكذلك السنة الصحيحة ـ وأما الإنجيل والتوراة فليس منهما شيء ثابت، بل هما من كلام كُتّاب متأخرين ليسوا أنبياء، والذي يعلم تلك القواعد ويلتزم بها له حق التكلم في أمور الإسلام، والذي لا يضبطها فليس له ذلك.

قال: العلماء أنفسهم مختلفون، بعض علماء المسلمين يرَون عدم تعدد الزوجات، وبعضهم يرى التعدد، ويعلل الأولون مذهبهم بأن الإنسان لا يستطيع العدل.

قلت: العلماء المسلمون متفقون على جواز التعدد، ولكن المسلم مأمور بينه وبين الله إذا كان يعرف من نفسه أنه لا يعدل بين الزوجات[1] فلا يجوز له

---

(١) فيما يقدر عليه.

http://kotob.has.it

أن يعدد، ولكن لا يمنعه الحاكم من الزواج بناءً على ظن أنه لا يعدل.

فذكر أن بورقيبة[1] في تونس منع التعدد، وهو مسلم، وقال: المسلمون أربعة أقسام: أصوليون، وتقليديون، وعلمانيون، وتحديثيون، وأنتم أصوليون، وبورقيبة من العلمانيين التحديثيين، ولكن كل هؤلاء الأصناف داخلون في نطاق الإسلام فهم كلهم مجتهدون.

قلت له: ما رأيك لو استطاع شخص من السويد أن يستولي على الجيش والبلد، وقال للسويديين: يجب عليكم أن تسمعوا لي وتطيعوني بدون انتخابات ويجب أن تعتقدوا أني ديموقراطي نيابي، فهل يعتقد السويديون أنه ديموقراطي؟.

قال: هذا ليس ديموقراطياً، ولكن انظر إلى المسلمين من الخارج إنهم كلهم مسلمون.

قال له المترجم الأخ أشرف الخبيري: هل تحكم على بريجنيف أنه ديموقراطي؟ **قال**: لا، **فقال**: كيف تحكم على الشيوعي أنه ليس ديموقراطياً وأنت خارج الشيوعية ولا تحكم على من خالف الإسلام؟ **فتوقف عن الإجابة**.

قلت له: كل من يزعم أن الإسلام لا يصلح لتنظيم حياة البشر في هذا العصر أو غيره فهو ليس بمسلم فكيف يكون مجتهداً في نصوص الإسلام وهو لا يؤمن بها؟.

وقلت له: إن تقسيمك صحيح ولكن النتيجة غير صحيحة.

وقلت له: الحكام الذين لا يحكمون بالإسلام ويسيطرون على الشعب بالقوة والشعب يطالب الحكم بالإسلام وفيه علماء متخصصون في كل باب من أبواب الإسلام، أيهما أولى بالاجتهاد في الإسلام الحاكم الذي يعادي الإسلام ويقف ضد الحكم به أو العلماء المتخصصون في أبواب الإسلام المختلفة؟.

---

(١) أراح الله المسلمين منه في ١٤٠٨/٣/١٦هـ بعد أن زج بالمسلمين في السجون والمعتقلات وقتل عدداً منهم وشرد آخرين، فعزل عن الحكم ونفي في بعض أرياف تونس.

http://kotob.has.it

قال: أنا أعرف هذا الكلام وأقره في جلساتي الخاصة، ولكن لا أستطيع أن أشرح للطلاب ذلك أو أرجحه ولو فعلت ذلك لطردوني!.

قلت له: ما زلت أنتظر رأيك في مستقبل الإسلام في بلاد الإسلام والغرب؟.

قال: فيما يتعلق بحل المشكلات الموجودة يوجد في الإسلام حلول لها، وواضح أن الولايات المتحدة في انحدار وكذلك الاتحاد السوفيتي، وأوروبا بدأت تتقهقر اقتصادياً، ومنطقة الشرق تنتعش اقتصادياً، وفي إفريقيا تحدث أشياء كثيرة، وبدأ الإسلام يتغلغل والشباب يعتنقه ويمكن أن يحدث الإسلام الشيء الكثير، ودور أوروبا يوشك على الانتهاء لتقدم التكنولوجيا في الشرق، ويرى أن الإسلام يتقدم.

ثم استدرك فقال: أرى أن أوروبا تحدث توازناً بين روسيا وأمريكا لأن دولها بدأت تتحد.

قلت له: قيل إن السويديين سيقبلون على الإسلام في المستقبل فما رأيك؟.

قال: لا أعرف ماذا سيحدث في المستقبل ولكن من الناحية النظرية يمكن أن يحدث هذا، ولو لم تقم الثورة الإيرانية ربما كان الإقبال على الإسلام في السويد أقرب، وقد تكون الثورة الإيرانية، على ما فيها من سلبيات، نبهت الناس للإسلام.

قال: وأنا أسأل هل تتوقعون أن يحدث هذا؟.

فقلت: لا أستطيع الحكم لأني بعيد عن السويد وعادات أهلها، ولكن في الجملة وحسب اعتقادي أن القوتين أمريكا وروسيا هما في انكماش والإسلام وحده وبدون قوة ثالثة تنصره نراه يسير في أماكن كثيرة ونحن نعتقد أن الإسلام سينتصر لأنه الحق وما عداه الباطل.

* * *

http://kotob.has.it

(١٥)

مقابلة مع المستشرق المنصف[١] الدكتور آينربرج (AINRBERG) النرويجي[٢]

سمعت المسلمين يثنون على هذا الرجل وعلى كتاباته عن الإسلام وعلى ترجمته لمعاني القرآن الكريم فاشتقت للقائه أكثر من غيره من المستشرقين الآخرين، وضرب لي الأخ أبو يوسف موعداً مع الرجل لألتقي به في جامعة أسلو في مقر عمله في الساعة الواحدة من ظهر هذا اليوم.

وكنا عنده في الساعة الواحدة والربع.

رحب بنا ترحيباً حاراً، وهو يتحدث باللغة الإنجليزية واللغة العربية باللهجة المصرية، وبعد أن تعارفنا وبدأ هو يثني على الإسلام طلبت منه أن نبدأ الحوار لأسجل المعلومات الممكن تسجيلها، فكانت كما يأتي:

ولد الدكتور آينربرج سنة ١٩٢١ **وقال:** غداً سيكون عمري ٦٦ سنة.

قلت له: متى أول ما سمعت عن الإسلام في حياتك؟.

قال: في الحرب العالمية الثانية، كان طياراً، وكان عندهم أسرى من المسلمين في شمال إفريقيا، وكانوا عمالاً في إنجلترا، وكان هو تابعاً للجيش الإنجليزي، وكان أولئك العمال يصلّون، واهتم هو بذلك وسألهم عن دينهم ولم يكن قبل ذلك يعرف شيئاً عن الإسلام، ولا كان دارساً له.

---

(١) إذا وجد شيء في كتابات هذا الرجل فيه مخالفة لبعض معاني القرآن والسنّة فهو ناتج عن سوء فهم، وليس عن سوء قصد، ولا شك عندي في ذلك.

(٢) الاثنين ١٤٠٧/١٢/٣٠ هـ. (آخر أيام العام الهجري ١٤٠٧).

http://kotob.has.it

قلت: متى بدأ اهتماك بالإسلام؟.

قال: عندما جئت إلى النرويج في سنة ١٩٦٠.

قلت: وما سبب اهتمامك به؟.

قال: أنه كان مهتماً بالدين بصفة عامة، والتقى بالمسلمين في إنجلترا فزاد اهتمامه به وذلك قبل ٤٥ سنة من الآن وأغلبهم أسرى كانوا منفيين في إنجلترا، ودرس تاريخ الأديان وخاصة الإسلام سنة ١٩٦٥.

من مؤلفاته كتاب لم يستطع الأخ أبو يوسف أن يترجم عنوانه إلا بمشقة وهو: «**الإسلام بين الصدام والحوار**»، وسألت عن مضمون هذا العنوان فقال الدكتور إن الإسلام حصل بينه وبين الكنيسة في الأندلس صدام والآن هو مع الكنيسة في حوار، يقصد أنه يمكن أن يتفاهم المسلمون والنصارى بدلاً من أن يتحاربوا.

وترجم كتاب الأيام لطه حسين، وكذلك ترجم كتاب مبادىء الإسلام للمودودي، وقال عن كتاب المودودي هذا: إنه بيّن أصول الإسلام.

وترجم معاني القرآن الكريم وقال أنه بدأ في ترجمته عندما كان يدرس الطلبة في الجامعة، وكان يترجم لهم بعض الآيات، فلما كثرت عنده الآيات المترجمة أحب أن يكمل ذلك وكان بداية الترجمة سنة ١٩٧٠، وأول طبعة خرجت سنة ١٩٨٠.

سألته: عن سبب اتجاهه لدراسة الإسلام وتدريسه أكثر من الديانات الأخرى كاليهودية والبوذية؟.

فقال: كان يعرف الأديان الأخرى من قبل، ولكن الإسلام يفسر معنى الإلّه تفسيراً واضحاً ويبين سبب وجودنا بطريقة يقبلها العقل والقلب(١)............؟!.

(١) في سنة ١٩٦٧ التقى في القاهرة ببعض الأزهريين وبعض العلماء من دولة عربية أخرى (٥/٩٨).

http://kotob.has.it

وقال: أنه قد دعي من قبل بعض المؤسسات المسيحية والمدارس لإلقاء محاضرات عن الإسلام.

قلت له: هل تعرف متى دخل الإسلام النرويج؟.

فقال: في سنة ١٠٠٠م كانت توجد تجارة جيدة بين النرويج وروسيا، وكان من بين تجار روسيا مسلمون، ويرجع أصلهم إلى الخليفة البغدادي، ووصل هؤلاء المسلمون إلى النرويج بدليل وجود عملة عربية قديمة.

وكتب في سنة ١٩٦٧ كتيباً صغيراً ضد اليهود، واحتجت سفارة اليهود في النرويج واتصلوا برئيس الجامعة يطلبون منه أن يفصله من الجامعة ولكنهم أخفقوا.

وسألته عن القرآن ورسالة محمد ﷺ: ماذا يرى فيهما وقد ترجم معاني القرآن الكريم ودرس الإسلام وسيرة الرسول ﷺ؟.

فقال: لا أشك في أن القرآن من الله، ولا أشك في ثبوت رسالة محمد ﷺ(١).

وقال: إني عندما ترجمت القرآن الكريم كنت أشعر أن الله ساعدني على ترجمته.

وكانت ترجمته من العربية إلى النرويجية واستعان بالترجمة الفرنسية والإنجليزية والألمانية واللاتينية.

درس اللغة العربية في هذه الجامعة ـ جامعة أسلو ـ ودرسها في القاهرة لمدة سنة.

وكان يوجد أستاذ في جامعة أسلو يعرف كل اللغات السامية ومنها العربية وتعلم الدكتور آينربرج العربية قليلاً منه.

---

(١) يوجد عند بعض المسيحيين اعتقاد أن القرآن وحي وأن محمداً ﷺ رسول، ولكن لا يعتقدون أن الأديان الأخرى وبخاصة النصرانية منسوخة بذلك!.

http://kotob.has.it

ويوجد أستاذ سوداني في الجامعة يسمى عبد المجيد العرقي، أثنى عليه الدكتور وقال: إنه مخلص وطيب وهو معجب به لأنه يفيد النرويجيين ويحب الحضارة الإسلامية[1].

وقال الدكتور: إنني الآن أدرس اللغة العربية على قواعدها.

قلت له: من أعجبك من علماء المسلمين قديماً وحديثاً؟.

فقال: في هذه الأيام حسن البنّا وسيد قطب، وقبلهما محمد عبده، وقبله ابن تيمية، وقال: إن السبب في إعجابه بهؤلاء أنهم يقولون أشياء منطقية صحيحة، يقبلها الإنسان العاقل، وكذلك ابن الجوزي.

وقال: إننا في حاجة إلى مسند الإمام أحمد بن حنبل، عندنا نسخة واحدة منه فقط والطلاب يقبلون إليه كثيراً، ويسأل: هل طبع من جديد؟.

وكانت لديه نسخة من كتاب أصول الإيمان للشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ الكتاب بيده وأثنى عليه كثيراً.

ولديه مكتبة جيدة من المراجع الإسلامية في الجامعة وهو في حاجة إلى المزيد.

وسألته عن عدد المسلمين من أصل نرويجي؟.

فقال: لا يدري، وعنده هو طلاب نرويجيون أسلموا وعددهم ستة: رجلان وأربع نساء.

قلت له: ماذا ترى عن مستقبل الإسلام في أوروبا؟.

قال: عدد المسلمين كثير جداً في أوروبا، ولكن المستقبل يتوقف على عدم استعمال العنف الذي يجري الآن بين بعض المسلمين، كما يحصل من الخميني، فإن ذلك يحد من انتشار الإسلام في أوروبا.

قلت له: ما الموضوعات التي ترى أنها يمكن أن تؤثر في الأوروبي؟.

---

(١) سمعت أن هذا الأستاذ السوداني غير ملتزم بالإسلام كما ينبغي.

http://kotob.has.it

قال: أهم موضوع هو العقيدة الصافية، وإبراز الحضارة الإسلامية. **وقال**: لا أعتقد أن الاقتصاد المشاع حالياً كالبنوك الإسلامية مفيد لأنها ـ أي البنوك ـ لا تختلف عن البنوك الأخرى، فهي تأخذ فائدة بأسلوب آخر[1].

ومن الموضوعات المهمة بيان النواحي الاجتماعية في الإسلام كتربية الأطفال وكونهم لهم مكانتهم في الإسلام وعلاقة الوالدين بهم.

وكذلك قضية المرأة في الإسلام، لأن الأوروبي يعتقد أن المرأة ليس لها مكانة في الإسلام.

قلت له: هل تظن أن هذا الاعتقاد خطأ من الناس أو لهم مستند في ذلك؟.

فقال: الرسول ﷺ كان طيباً مع نسائه، ولكن التطورات التي حصلت بعد ذلك غيرت من المعاملة للمرأة قليلاً.

مثال ذلك: أن الرسول ﷺ تزوج خديجة رضي الله عنها ولم يتزوج عليها إمرأة أخرى خلال ٢٥ سنة ثم تزوج بعد ذلك عدداً من النساء لأسباب كثيرة، لكن الآن ـ وإن كان القرآن يحل الزواج بأكثر من واحدة ـ فعلى الزوج أن يبقى ٢٥ سنة مع زوجته قبل أن يتزوج عليها غيرها، كما فعل الرسول ﷺ ولأن العدل بين الزوجات صعب كما دل على ذلك القرآن ولهذا ينبغي الاكتفاء بزوجة واحدة[2].

وسألته عن صفات الداعية المسلم الذي يمكن أن يؤثر في الأوروبي بدعوة الإسلام؟.

---

(١) على المسؤولين عن البنوك الإسلامية أن يوضحوا للناس عدم صحة هذه التهمة التي سمعتها من كثير من الناس مسلمين وغير مسلمين.

(٢) أخبرته أن هذا الموضوع يحتاج إلى نقاش طويل معه ولكن الوقت لم يكن متسعاً ونحن في حاجة إلى المزيد من المعلومات، ولكن يبدو أن الرجل عنده استعداد طيب لقبول الحق إذا اتضح له.

http://kotob.has.it

فاهتم بذكر أمرين يعتبران موضوعين وليسا صفات للداعية إلا من حيث قدرته على إتقانهما:

الأول: أن يخاطب الناس بالأمور التي يتفق فيها المسلمون والمسيحيون حتى يستميلهم، فإذا حصل ذلك تدرج معهم بالأمور الأخرى التي يخالفون فيها.

والثاني: دفع الشبهات المنسوبة للرسول ﷺ مثل قولهم أنه كان نزاعاً إلى النساء ولذلك تزوج نساء كثيرات، وأنه كان يعتمد على العنف في دعوته إلى الإسلام.

وأكد الدكتور على أمر ثالث يجب أن يكون الداعية إلى الإسلام متمكّناً منه وهو مقارنة الأديان ـ بحيث يكون عنده علم بالدين الذي يدعو أهله إلى الإسلام، كالمسيحية مثلاً، لأنه بذلك يستطيع أن يبين لهم عدم صحة دينهم ويبين لهم سمو الإسلام وضرب لذلك مثالين:

المثال الأول: أن القرآن اعتبر آدم وحواء مشتركين في الخطيئة عندما أكلا من الشجرة، ولكن المسيحيين يعتبرون المرأة هي سبب الخطيئة وأن حواء هي التي أغوت آدم، ويعتبرون أن الخطيئة ما زالت مستمرة في ابن آدم.

المثال الثاني: أن الإسلام يعتبر الطفل مولوداً على الفطرة والمسيحيون، بسبب الإيمان عندهم باستمرار الخطيئة في ابن آدم، يحكمون على الطفل أنه يولد متحملاً الخطيئة، وقبل مائة سنة كانوا يغطسون الأطفال عندما يولدون في الماء حتى يطهروهم من الخطيئة في زعمهم، فإذا ماتوا قبل الغسل لم يدفنوهم وإنما يلقونهم في الزبالة لأنهم متسخون بالخطيئة.

لقد أشار هذا الرجل بأمرين مهمين:

الأمر الأول: دفع الشبهات عن الإسلام.

والأمر الثاني: ذكر مثال النصرانية، وسبق أن قال: إن أهم موضوع إسلامي هو تقديم العقيدة الصافية للناس!.

http://kotob.has.it

وسألته: هل قام المسلمون بواجبهم في نشر الإسلام وإقامة الحجة على الناس؟.

فقال: أغلب المسلمين هنا جهّال، ولكن في استطاعة المتعلمين منهم أن يقوموا باجتماعات ومحاضـرات لتفهيم الناس الإسلام، وكان يعرض برنامج في التلفزيون منذ سنـوات وكان له أثر جيد وليته يعاد هذا البرنامج مرة أخرى، ووجود المسلمين في النرويج يلفت انتباه الناس للإسلام، ولا أرى أن الحجة قد قامت على الناس بالدعوة إلى الإسلام، لعدم من يبلغ الإسلام إليهم.

والأخطر من ذلك أن الكتب الموجودة في المدارس تتضمن موضوعات ضد الإسلام.

قلت له: أيهما أكثر تأثيـراً في النرويجي من المسلمين الـطلاب أم الجالية؟.

فقال: كلهم سيؤثرون، لأن وجودهم ينبه الناس إلى الإسلام، والنرويجي إذا أراد أن يسأل عن الإسلام توجه إليهم.

قلت له: ما رأيك في اتخاذ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وسيلة لدعوة الأوروبي؟.

فقال: لا أعتقد أن أحداً يرى أن القرآن يتناقض مع العلم، وعلى الرغم من أن الكنيسة هاجمت العلماء ولكنها الآن تحترم العلماء فلا أرى داعياً لطرح ذلك[١].

هذا وقد بقينا معه ساعتين كاملتين، كانت المناقشة معه ممتعة جداً، وكان هو في غاية السرور.

وقد ودعنا بحرارة أرجو الله أن يوفقه ويزيده بصيرة، وقد سألني بعض

---

(١) كنت أريد أن أوضح له عن معنى الإعجاز العلمي في القرآن ولكن الوقت كان ضيقاً فلم نستطع مناقشة كثير من المسائل.

http://kotob.has.it

الأسئلة في معنى بعض الآيات القرآنية من ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ﴾ ما معنى الأوتاد؟ فأخبرته في حينه بما حضرني وهو أن لفرعون الطاغية أوتاداً كان يوثق أرجل الناس وأيديهم إليها إذا غضب عليهم.

فقال هو: إن المعنى الذي تبادر إلى ذهنه أنها الأهرامات لأنها كالجبال، والجبال سميت أوتاداً في القرآن، فقلت له: الأفضل أن تعود إلى تفسير السلف أولاً، كتفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير، فوعد بذلك.

هذا، وقد كنا عازمين على زيارة جزيرة ترومو في شما للنرويج، التي توجد بها أسرتان مسلمتان، ولكن ضاق الوقت عليّ فألغيت الحجز بعد أن حجزنا هذا اليوم لنسافر إليها غداً[1].

ولا زال يراسلني، ويسأل عن بعض الأمور التي تشكل عليه هو وتلاميذه وبعضهم مسلمون[2].

* * *

(١) انظر الصورة رقم [١٢] في آخر الكتاب.

(٢) في الصفحة التالية صورة من خطاب بعثه إليّ.

http://kotob.has.it

UNIVERSITETET I OSLO

Institute of Semitic Studies
Arabic/Islamic Section
University of Oslo
P. O. B. 1005 Blindern,
0315 Oslo 3, Norway

Semittisk Institutt/Arabisk
Tlf. 45 68 08
Boks 1005
Blindern, 0315 Oslo 3

September 23, 1988.

Professor Dr. A.A.Qādirī
Section of Higher Studies
Islamic University in Medina

POB 170 MEDINA Saudi-Arabia

Dear Sir,

First of all, let me once again express our gratitude for the books you were good enough to send us.
This time I have a special question, that you as a professor in law might have an opinion about. When I lecture on the Holy Qur'ān the students are free to ask questions, and now some of them asked in connection with surat an-Nisā, verse 119, where Satan will make men change, alter Allah's creation. They referred to the custom of circumcising women in some Muslim countries, and wanted to know if this was not against the Qur'ān. I could not answer them, and so we looked up in the commentaries, in Bayḍawī, Zamakhšarī and aṭ-Ṭabarī, but found nothing touching the actual question. Except perhaps aṭ-Ṭabarī, who mentions altering God's dīn (religion), which I in this connection understood to be God's order, His established nature, body and feelings. Cutting the clitoris as they do in Cairo, - is it not altering God's creation (as well as castration)? I could not decide this question, so I thought I might ask for your opinion.

Now quite another thing. When you were here I think I showed you my translation of the Holy Qur'ān into Norwegian. It is now sold out, and we consider a reprint, this time with Norwegian/Arabic text in 2 colums each page. To obtain a reasonable price for immigrant Muslims and converted Norwegians I asked the Rābiṭa Islāmiyya in Mecca, Secr. Gen. Abdallah Omar Nasīf for a financial contribution. I hope I gave you the impression that I am most serious in my work with Islam and the Holy Qur'ān, so if you should meet mr. Nasīf, or might telephone him, you could perhaps tell him this. He does not know me, but the Norwegian Embassy in Riyadh has handled my approach to the Rābiṭa, and they know me.

This was a long letter, but I hope that your interest in Islam will help forgive the trouble I am causing.

Yours sincerely
Einar Berg
Einar Berg, prof.

صورة عن خطاب بعثه إليّ، يسأل فيه عن ختان المرأة

http://kotob.has.it

(١٦)

مقابلة مع بروفسور مونتجمري[1] (MONTGOMERY)

فضلت أن أثبت هنا ترجمته التي أعطانيها ليطلع القارىء، وبخاصة المسلم على اهتمام المستشرقين بالاطلاع على الموضوعات الإسلامية المختلفة التي تندرج تحت الأصول الثلاثة: الله جل جلاله، محمد رسول الله ﷺ، الإسلام... هذا مع كثرة الأعمال والوظائف التي تأخذ كثيراً من الوقت، وكل ذلك ليس حباً في الإسلام وإنما هو الطعن فيه مباشرة أو بالأسلوب الماكر الذي لا يظهر إلا لذوي الفهم الثاقب والعلم النافع من المسلمين.

ولد سنة: ١٩٠٩ في ١٤ مارس.

درس في كلية واتسون في أدنبرا، ثم في جامعة أدنبرا، وجامعة أكسفورد، نال شهادة الماجستير سنة ١٩٣٠ في العلوم العتيقة.

ودرس في كلية باليول بأكسفورد ما بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٣٣.

ودرس علوم اللاهوت بأكسفورد وعين قسيساً في كنيسة القديس بولس بلندن...

وحصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٤٤.

عمل محاضراً في جامعة أدنبرا، وعمل مع هيئة الأسقف الأنجليكاني في فلسطين من عام ١٩٤٣، وكانت مهمته إعداد بحوث عن الإسلام.

---

(١) في جامعة أدنبرا في ١٤٠٨/١/١٤ هـ.

http://kotob.has.it

وعاد إلى أدنبرا سنة ١٩٤٦ ودرس الفلسفةالقديمة . . .

وفي سنة ١٩٦٤ عين أستاذاً في قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.

انتدب أستاذاً زائراً لعدد من الجامعات والمراكز: منها جامعة تورنتو في كندا في قسم الدراسات الإسلامية، والكلية الفرنسية في باريس، ومركز الدراسات العربية المعاصرة التابع لجامعة جورج تاون بواشنطن.

وكان رئيساً لجمعية المستشرقين البريطانيين.

وتقاعد سنة ١٩٧٩، وهو متزوج له ابن وأربع بنات.

وله مؤلفات كثيرة منها:

«الجبر والقدر في فجر الإسلام»، و«عقيدة وسلوك الغزالي»، و«محمد (ﷺ) في مكة»، و«محمد في المدينة»، و«حقيقة الإِلّه»، و«علاج مشاكل البشرية»، و«الإسلام ووحدة المجتمع»، و«الحق في الأديان» و«دليل القرآن»، و«ما هو الإسلام»، و«الفكر الإسلامي السياسي»، و«الوحي الإسلامي والعالم الجديث»، و«تعريف بالقرآن»، و«الأثر الإسلامي في أوروبا خلال القرون الوَسطى»، و«عصر تكون الفكر الإسلامي»، «مجد الإسلام الغابر»، «الإسلام. . .»، «الإسلام والمسيحية اليوم»، «النبي المكي في القرآن»(١).

وعندما سألته: ما اختصاصك؟.

قال: اللغة الإغريقية واللاتينية والعربية والدراسات الإسلامية والفلسفة، **وقال**: أن عنده أكثر من عشرين كتاباً.

قلت: ما سبب اتجاهك للدراسات الإسلامية واللغة العربية؟.

قال: بعد تقسيم الهند جاء شباب للدراسة في هذا القسم، وكانت تحصل مناقشات معهم في موضوعات إسلامية متنوعة في أوقات الفراغ وتناول الوجبات

---

(١) أشكل عليّ عنوان كتابين ـ في الترجمة ـ فتركتهما، وتركت تواريخ تأليف هذه الكتب، فقد ذكر مع كل كتاب أو بحث تاريخه.

http://kotob.has.it

كالفطور، فاهتم بذلك، وفي هذا الوقت كان أستاذاً للفلسفة وزار كلكتا وعمل ثلاث سنوات بالكنيسة الأنجلاكينية حيث كان يقوم بإعداد دراسات للأساقفة.

قلت له: متى سمعت عن الإسلام في حياتك؟.

فقال: لا يذكر.

قلت: متى بدأ اتصال الإنجليز بالمسلمين أو المسلمين بالإنجليز؟.

قال: في الحروب الصليبية في عهد الملك ريتشارد الذي عاصر صلاح الدين، وكان ملكاً كبيراً.

قلت: من أول شخص أو طائفة من المسلمين دخلوا بريطانيا؟.

قال: في بداية القرن التاسع عشر في عهد الخلافة العثمانية كان يوجد السفير التركي، وجاء بعده طلاب.

وبدأ ابتعاث الطلاب المسلمين إلى أوروبا قبل مائة وخمسين سنة من قبل محمد علي باشا، هذا في فرنسا، أما بريطانيا فهو غير متأكد إن كان جاء في هذه الفترة منهم أحد.

وقال: المعروف من الكتب أن الطلبة المصريين جاؤوا إلى فرنسا للدراسة سنة ١٨٢٠.

وفي عهد الحكم العثماني[١] كان لدول أوروبا سفراء في تركيا، ولتركيا سفراء في أوروبا.

قلت: هل يوجد أثر في بريطانيا يدل على وجود مسلمين في القديم؟.

فقال: لا يعرف.

---

(١) عندما ترجم لي الأخ عبد الخالق قال: الحكم التركي، فوقفه مونتجمري وقال: لا تقل التركي، فإن التركي معناه المعدم وتطلق الكلمة للاحتقار، ولكن قل العثماني فإنهم يعتزون بذلك.

http://kotob.has.it

قلت: من أول مسلم بريطاني؟.

قال: في القرن التاسع عشر الميلادي أسلم واحد أو اثنان ولا يعرف الأسماء، **وقال**: بعض الناس قد يظهرون الإسلام ولكن لا يعتقد أنهم مسلمون حقاً، منهم: ريتشار بيرتـون الذي زار مكة والمدينة في حوالي ١٨٦٠.

قلت: كم عدد المسلمين في بريطانيا؟.

قال: مليون تقريباً[١]، وأما البريطانيون فبضع مئات.

قلت: مـا سبب قلة الداخلين في الإسـلام من الأوروبيين وبخاصـة البريطانيين؟.

قال: الأفارقة غير متحضرين والحضارة الإسلامية أعلى مما عند الأفارقة، والحضارة الإسلامية تنافس الحضارة الغربية ولذلك يدخل الأفارقة بكثرة في الإسلام، إضافة إلى عداوة الأفارقة لـلأوروبيين بسبب الاستعمار، بخـلاف الأوروبيين فـإن عندهـم حضارة، ولذلك لا يرَون في الإسلام ما يجذبهم إليه!.

قلت: ما الأسلوب النافع لعرض الإسلام في أوروبا[٢]؟.

قال: الذي يقدم الإسلام للغربي يجب أن يعرف الثقافة الغربية وأن يقدم الإسلام في صورة عصرية حديثة وليس في صورته التقليدية، فإن صورتـه التقليدية منفرة (يقصد بصورته التقليدية ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، ويقصد بالعصرية ما استقاه الكتّاب المنتسبون للإسلام من المستشرقين من التحريفات والتشويهات ومن ذلك فئة العلمانيين الذين لا يرَون الإسلام صالحاً للتطبيق في هذا العصر).

---

(١) والمسلمون يقدرون ذلك بأكثر من مليونين.

(٢) أسأله هذه الأسئلة وأنا أعرف شدة امتعاضه منها ولكن كنت أريد أن أحصل على ما في قلبه من حقد في أجوبته ليعلم الذين يحاولون إحسان الظن بكثير من المستشرقين الحقيقة في وقت يقول المستشرقون: أنهم يدرسون العلم للوصول إلى الحقيقة وليست دراستهم كما كانت من قبل استعمارية!!.

http://kotob.has.it

ثم قال: توجد طرق مختلفة ـ متنوعة ـ ولكن علماء المسلمين لا يعرفون الفلسفة الغربية وطريقة التفكير الغربي، مثال ذلك: ما يتعلق بصلب المسيح الوارد في القرآن هذه حقيقة تخالف ما عند الغربيين وبعض المسلمين، ومنهم محمود أيوب اللبناني حاول أن يثبت أن ما في القرآن لا يتعارض مع ما يفهمه المسيحيون، وهذه محاولة لتأويل ما في القرآن لمعرفة الرجل لفلسفة الغربيين وطريقة تفكيرهم[1].

وسألت الرجل: ماذا ترى في مستقبل الإسلام في العالم وبخاصة في أوروبا؟.

فأجاب ـ ووجهه يتلون ـ: يعتمد ذلك على ما تتمخض عنه الحرب في الخليج لأن لهذه الحرب آثاراً واسعة، بعيدة المدى لأن الخميني وعد وعوداً كثيرة فإذا فشل في تحقيقها وخسر المعركة فإن الناس سيتجهون ضده وضد ما يمثله من مبادىء ويتجهون أكثر إلى العلمانية والشيوعية وإذا حصل سلم فقد لا يحصل تحولات كثيرة، ولكن يمكن للدول الإسلامية أن تلعب دوراً وعلى المسلمين أن يتعاونوا أكثر مع غير المسلمين وخاصة السياسيين[2].

* * *

---

(١) وهذه من أمثلة الأسلوب العصري الذي يريده المستشرقون: التنازل عن صميم الإيمان الذي جاء به القرآن!.

(٢) صرح مونتجمري هنا بما يعتقده الغربيون وبخاصة المفكرين والسياسيين وهو أنه إذا ساد السلم بلاد المسلمين فإن المسلمين يمكن أن يلعبوا دوراً، ولم يفسر هذا الدور ولكنه مفهوم وهو الثقل السياسي والاقتصادي الذي تنافس به أوروبا، ولهذا نصح المسلمين أن يتعاونوا مع الغرب إذا ساد السلم وبخاصة مع السياسيين.

ـ انظر الصورة رقم [١٣] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

كان عندنا موعد في هذا اليوم[1] مع مستشرقين من أساتذة قسم الدراسات الإسلامية والعربية والشرقية في كلية الآداب بجامعة أدنبرا، وهما:

(١٧)

المستشرق إيان هاورد (IAN HOWARD)
والمستشرقة كارول هيلين براني (CAROLE HILLEN BRANI)

ولد إيان سنة ١٩٣٩.

وهو أستاذ مشارك، وتخصصه في الشيعة وقليل من الفقه وبخاصة العبادات.

وولدت براني سنة ١٩٤٣، وتخصصها في التاريخ الإسلامي القديم من العصر النبوي إلى فتح القسطنطينية، وهي بدرجة أستاذ مشارك.

كان البدء بسؤال عن جامعة أدنبرا؟.

قالا: إنها أنشئت منذ أربعة قرون.

وعدد كلياتها سبع.

وعدد طلابها عشرة آلاف.

وعدد طلبة كلية الآداب ألف طالب.

وقسم الدراسات الإسلامية والعربية والشرقية أنشىء قبل خمسين سنة.

---

(١) ١٤٠٨/١/١٤ هـ.

http://kotob.has.it

وكان يوجد في الكلية قبل مائة سنة أستاذ مستشرق يعتبر عمله نواة لهذا القسم في الكلية ويسمى: وليم ميور، ألّف سيرة الرسول ﷺ وباسمه سمي هذا المبنى الذي فيه القسم.

وسألتهما عن مصادر القسم؟.

فقالا: هي المصادر الإسلامية وكتب المستشرقين، ولا بد من اللغة العربية في الدراسة.

وسألتهما عن أصول البحث المعتمد عندهما في دراسة الإسلام؟.

فأجاب هو: أول هدف لنا هو الوصول إلى الحق.

وقالت هي: نبدأ يجمع المصادر ونقرر ما نريد ولا ننظر إلى الأمور إلا بمنظار الحق، والبحث الموضوعي صعب ولكنا نحاول.

وسألتهما: متى سمع كل منهما عن الإسلام في حياته؟.

فقال هو: أول ما سمعت عن الإسلام كان عمري خمس عشرة سنة في الكنيسة عندما ذكر القسيس أن الطريقة التي يأخذ بها كثير من المسلمين في عبادة الله هي أرقى من طرق النصارى.

وقالت هي: أنها سمعت عن الإسلام عندما كانت في إيران مع زوجها وزارا المساجد، ودرست بعد ذلك اللغة العربية والفارسية والتاريخ الإسلامي، ولم تسمع عن الإسلام في صغرها في المدرسة لأنه في وقت دراستها لم تكن المدرسة تدرس تاريخ الأديان، أما الآن فيذكر الإسلام في الراديو والتلفاز والجرائد وبخاصة بعد الحرب الإيرانية العراقية ومشكلات فلسطين.

وسألتهما: هل تعرفان أول بريطاني دخل في الإسلام؟.

فقال هو: دخل رجل بريطاني في الإسلام قبل مائتين وخمسين سنة ولكن لا يعرف اسمه، ويصعب تحديد أول مسلم وأول وقت دخل فيه الإسلام رجل أو إمرأة في بريطانيا.

http://kotob.has.it

وقد كانت بريطانيا تحكم بعض الدول والشعوب الإسلامية كالهند مثلاً ويحتمل أن يكون دخل في تلك البلدان بعض البريطانيين في الإسلام.

قلت: ما سبب اتجاهكما لدراسة الإسلام واللغة العربية؟.

فأجاب هو: أنه كان مدرساً في عدن اللغة الإنجليزية للعرب من سنة ١٩٦٢ - ١٩٦٧ ودرس اللغة العربية مع بعض أصدقائه من العرب، ثم ذهب إلى لبنان واستمر في دراسة العربية وبعد سنتين دخل الجامعة الأمريكية في بيروت وأخذ شهادة في الإسلاميات ثم درس في جامعة كيمبردج.

وقالت هي: إن السبب يعود إلى زيارتها مع زوجها لتركيا وإيران وكانت موظفة فرغبت بعد الزيارة في دراسة اللغة العربية والتاريخ الإسلامي فدرست ذلك في جامعة أكسفورد وتابعت الدراسة في جامعة أدنبرا، وزارت مصر وسوريا والأردن والمغرب، ورأت أنه لا يوجد في الغرب من يعرف اللغة العربية والتاريخ الإسلامي كثيراً وأنه لا بد من دراسة ذلك دراسة عميقة.

وسألتهما: ما سبب قلة دخول الأوروبيين في الإسلام؟.

فقال هو: الغرب الآن يمر بمرحلة الإلحاد.

وقالت هي: ليس للغربيين أيديولوجية في الغالب وهم في حياتهم لا ينتبهون للإيمان ويمكن عند موتهم أن يؤمنوا، والذين يؤمنون بالله يؤمنون بالنصرانية، وذلك يكفيهم، ويوجد سبب آخر وهو أن أكثر المسلمين في الغرب ليسوا مسلمين حقاً لأنا نشاهد في الجرائد كل يوم أموراً قبيحة والرجل في الغرب عامة لا يعرف من الإسلام إلا ما يراه في إيران والعراق ولبنان، والدين عند الغربيين ليس مهماً.

والمسلمون يقولون أنهم لا يحبون اليهود (هذا عدته من أسباب عدم دخول الغربي في الإسلام!).

قلت: هل تريان أن الغربيين في حاجة إلى معرفة الشؤون الاجتماعية في الإسلام؟.

http://kotob.has.it

قال هو: توجد هنا مشكلة، وهي أن كل طائفة في أي شعب مسلم تقول عن عاداتها أنها إسلامية، والتعاليم الإسلامية تختلف عما يطبقه المسلمون في أعمالهم.

والمجتهدون من المسلمين تختلف اجتهاداتهم[1].

وهذا يجعل الأخذ بالإسلام صعباً.

قلت: ما الأسلوب المناسب لعرض الإسلام في الغرب؟.

فقالت هي: عرض سيرة الرسول محمد (ﷺ) وتدريس القرآن، وعرض عمل المسلمين اليومي، والطلاب يحبون عادة ما يدرس في الكتب ولا يتكلمون ضد الإسلام بكلام قبيح.

وقال هو: من الصعب عرض الإسلام على نـاس لا دين لهم وهذه الصعوبة يواجهها حتى النصراني إذا عرض النصرانية، والمجتمع يسيطر عليه الإعلام.

قلت: هل تريان أن الإسلام قادر أكثر من غيره على محاربة الإلحاد؟.

قالت هي: نعم.

وقال هو: عندما جاء النبي (ﷺ) بالإسلام في جزيرة العرب كان قوياً ومؤثراً ووقف أمام تلك التيارات فإذا وجدت شخصية مسلمة قوية مؤثرة مثله يمكن أن يكون الإسلام قادراً على ذلك.

قالت هي: يمكن أن تقوم بذلك مجموعة من المسلمين، والعالم الغربي يمر بحالة جزر والعالم الإسلامي يمر بحالة مد.

والإسلام عنده هذه القدرة، وقد شاهدنا ذلك في العالم مثل أمريكا، وأقرب مثال لتأثيره على الملحدين إسلام جارودي (مر الكلام عن جارودي فقد

---

(١) بينت له أن الاجتهادات في أمور جزئية أما الجوهرية فالغالب الاتفاق عليها.

http://kotob.has.it

قابلته في باريس) والإسلام ليس دين إرهاب وأنا أقول ذلك لطلابي، ويجب عليكم ـ تقصد المسلمين وهي تخاطبني ـ أن تبينوا للناس ذلك.

وقال هو: وهذا هو الذي ينشره الإعلام الغربي عن الإسلام، ولو كان لكم في الغرب جريدة على الأقل تنشرون فيها أفكاركم(١).

قلت: ما رأيكما في مستقبل الإسلام؟.

قالت هي: الإسلام الآن قوي جداً، ويمكن أن يكون أقوى في غير أوروبا ـ العالم الثالث.

وقال هو: الإسلام الآن يقوم على مفترق الطرق ويعتمد على استمرار المسلمين أقوياء في دينهم، ولكن إذا كانت الحياة الغربية تسيطر عليها في المستقبل فإن مستقبل الإسلام سيكون مثل مستقبل المسيحية في الغرب.

إلى هنا انتهت المقابلة وقد استغرقت ساعة وخمس عشرة دقيقة.

وكانت المرأة أكثر صراحة من الرجل وأقرب صواباً، ولكنها لم تخف ـ ربما لصراحتها ـ حَدَبَها وإشفاقها على اليهود.

وقد حصلت مناقشة مختصرة في هذا الأمر بعد المقابلة وبينت لها موقف المسلمين من اليهود وأسبابه.

ثم عدنا إلى الفندق الذي انتقلنا إليه وهو المسمى: نزل مراكش (MARRAKECH HOTEL).

* * *

---

(١) ليت، وهل ينفع شيئاً ليت! إن القادرين من المسلمين غير مكترثين إلا من شاء الله.

http://kotob.has.it

(١٨)

كنا على موعد مع الأب الدكتور ميشيل لولونج[1] في مكتبه بباريس، وكان معي الدكتور أحمد جاب الله رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا.

رحب بنا الرجل وأظهر سروره بقدومنا، وحيانا باللغة العربية وهو يتحدث بها.

وقبل أن أبدأ الكتابة عنه ذكرت بأني أزور المبشرين والمستشرقين في هذه الجولة وأحاورهم في بعض القضايا مع أخذ بعض المعلومات منهم **فقال**: أنا لست مبشراً ولا أرى أن المسلمين في حاجة إلى التبشير، لأن عندهم ما يكفيهم وهو الإسلام الذي جاء به القرآن والرسول محمد ﷺ.

قلت: وماذا أسميك، مستشرقاً؟.

قال: سمني مؤمناً، أنا مؤمن[2].

قلت: متى ولد الأب لولونج وما تخصصه وما وظائفه؟.

قال: أنه ولد سنة **١٩٢٥** في مدينة في فرنسا في عائلة متدينة وعنها أخذ دينه، وخاصة الإيمان بالله والمسيح والارتباط بالكنيسة الكاثوليكية.

---

(١) باريس: الخميس ٢٤/١/١٤٠٨ هـ.

(٢) قصده أنه مؤمن بدينه، ومؤمن بأن الإسلام حق ولكنه غير ناسخ لغيره من الأديان فالدين المسيحي الموجود حالياً حق كالإسلام كما سيأتي ذلك صريحاً من كلامه...

http://kotob.has.it

ولم يكن يعرف الإسلام جيداً عندما كان شاباً ولا يعرف عن المسلمين شيئاً ذا أهمية، وعندما درس في جامعة السربون وجد فرصة للالتقاء بالمسلمين وبخاصة طلبة المغرب العربي فتعرف على الإسلام عن طريقهم، وعرف أن الإسلام فيه ثروة للبشرية، وأن هناك علاقة قوية بين المسلمين والمسيحيين، وبخاصة أنه حصل اجتماع للكنيسة سنة ١٩٣٤ دعت فيه إلى التعرف على الديانات الأخرى واحترام الإسلام والتعاون مع المسلمين وبخاصة في نشر القيم الأخلاقية وغير ذلك.

ودعا بولس السادس والبابا بولس الثاني إلى الصداقة بين المسلمين والمسيحيين واحترام بعضهم بعضاً، نعم هناك اختلاف بين الديانتين، وبخاصة حول المسيح باعتباره عند المسيحيين بالإضافة إلى أنه رسول فهو كذلك إلّه، وكذلك حول بعثة الرسول محمد (ﷺ).

ومع هذا الاختلاف فلا مانع من الاحترام والعمل المشترك لوجود ما يجمع المسلمين والمسيحيين كالاعتقاد في الله وبأننا كلنا عائدون إلى الله ومحاسبون بين يدي الله، وكذلك القيم والأخلاق.

وسألته: متى تظن أول صلة حصلت بين فرنسا والمسلمين؟.

(وفهم الدكتور أني أريد الصلة في هذا العصر فصحح له الأخ أحمد ـ وهو الذي كان يساعدنا في الترجمة ـ ذلك وأن المقصود في القديم والحديث).

فأجاب: أن السؤال عن التاريخ مهم باعتبار أن الحاضر متأثر بالماضي.

كان في القديم صراعات بين أوروبا المسيحية والإسلام، وكان الإسلام يعتبر عدواً وخطراً في أوروبا لعدة قرون، فقد ارتبط الإسلام في أذهان الأوروبيين بمعركة: بوتييه التي وقف فيها القائد الفرنسي شارك مارتيل المد الإسلامي، وكانت الحروب الصليبية، وأرسلت الجيوش لمحاربة المسلمين في بلادهم، وجاء المسلمون إلى أوروبا الوسطى، وكانت العلاقة بين المسلمين والمسيحيين علاقة خوف واستشعار الخطر من الجانبين، وكان المسلمون يظنون أن المسيحيين يكوّنون خطراً عليهم وعلى دينهم، وكان المسيحيون يظنون أن

http://kotob.has.it

المسلمين يكوّنون خطراً عليهم وعلى دينهم، بالإضافة إلى ذلك شاركت الكنيسة في استعمار أوروبا لبلاد المسلمين ـ واستدرك[١] الدكتور فقال ـ: لا يقال الكنيسة ولكن بعض المسيحيين.

ولكن كانت هناك علاقات بين الشرق الأوسط وأوروبا إيجابية على رغم هذا الجو الذي فيه نوع من الصراع والخلافات.

في الشرق الأوسط احترم المسلمون المسيحيين، ومكّنوهم من تطبيق ديانتهم بحرية وكذلك في القدس، حيث كان المسلمون متسامحين مع اليهود ومع المسيحيين، وفي أوروبا ـ في إسبانيا ـ كانت هناك فترات تعايش وتفاهم، والآن رغم المشكلات الدولية نعتقد أن الذي يجمع بين المسلمين والمسيحيين أهم من الذي يفرقهم.

الذي يفرقهم هو المشكلات السياسية، فالمسلمون ـ مثلاً ـ قريبون من مشكلات العالم الثالث، بينما أوروبا في محور الدول الصناعية، لأن في العالم قطبين: قطب الدول الضعيفة التي يطلق عليها الجنوب والدول القوية التي يطلق عليها الشمال.

فالمشكلة في الحقيقة الآن بين المسلمين والمسيحيين هي سياسية وليست دينية[٢].

ولا بد أن يجتهد المؤمنون ـ يعني المسلمين والمسيحيين في مقابلة الملحدين ـ في إقرار السلام في الشرق الأوسط، مثلاً فلسطين لا بد أن يتعاون المسلمون والمسيحيون في الدفاع عن حقوق الإنسان فيها مهما كانت ديانتهم.

---

(١) كان استدراكه على المترجم، لأن المترجم عبر بالكنيسة، وهو أراد كما قال بعض المسيحيين تبرئة للكنيسة من أن تكون فعلت ذلك بإجماع.

(٢) لم نتمكن من مناقشة هذا الرأي لأن الأب كان مستعجلاً، وكان الهاتف يرن بين آونة وأخرى يذكرونه باقتراب وقت الصلاة، وهو الذي يتولى الصلوات في أوقاتها، كالإمام عند المسلمين.

http://kotob.has.it

والبابا يدعو إلى تعاون المسلمين والمسيحيين وتجاوز الخلافات الماضية، ويقول: إن الذي يجمعنا أكثر من الذي يفرقنا، المشكلة الآن هي كيف يعمل المسلمون والمسيحيون في إحلال السلام.

(وأخرج كتاباً من مكتبته، وقال): ترجمت في هذا الكتاب عدة خطابات لبولس السادس والبابا الحالي، وكلها تدعو إلى ضرورة الانفتاح والتعاون بين المسلمين والمسيحيين، وفي الزيارة الأخيرة للبابا لأمريكا تكلم في لقائه مع الطائفة اليهودية عن ضرورة وجود وطن للفلسطينيين في فلسطين (وقال الأب باللغة العربية): حق تقرير المصير.

ولكن هذا الكلام وهذه التعليمات التي يكررها البابا دائماً ليست محترمة من قبل الكنائس المحلية.

وقد يكون من المفيد أن توجد لقاءات دائمة بين المسؤولين عن المؤسسات الإسلامية وغيرها وكذلك المؤسسات الكنيسية مثل الفاتيكان والطوائف المسيحية الأخرى ـ وذكر مؤسسة مسيحية في جنيف الظاهر أنها مجمع الكنائس العالمي ـ ويمكن في مثل هذه أن يتدارس المسلمون والمسيحيون مشكلاتهم، مثل مشكلة الأقليات الإسلامية في بلاد المسيحيين والأقليات المسيحية في بلاد المسلمين، وكيف يمكن لهذه الأقليات أن تطبق دينها وتكون محترمة، لأن عدم تسوية هذه المشكلات ستستغل من قبل جهات أخرى لإشعال الخلاف بين المسلمين والمسيحيين كما يحصل الآن عندنا من بعض المسيحيين في أوروبا حول وجود المسلمين يرَون أنه نوع من الغزو لأوروبا المسيحية.

فلو حصلت لقاءات بين المسؤولين من المسلمين والمسيحيين كان في ذلك نوع من التفاهم في نطاق العقيدة المشتركة.

(**وسأله الأخ المترجم أحمد جاب الله**: لماذا لا تأخذ الكنائس المحلية بالتعليمات التي تصدر من البابا)؟.

فأجاب: الكنيسة تأخذ بتعليماته إلى حد ما، وأنه هو ـ أي الأب لولونج ـ

http://kotob.has.it

كان مسؤولاً عن لجنة السكرتيرية المسؤولة عن العلاقة مع المسلمين والكنيسة يحب أن تأخذ بتعليمات البابا، وتوجد مجموعة تعمل لهذا الهدف، ولكن يجب أن نعترف أنه يوجد في فرنسا وفي غيرها من لا يوافق على هذا التوجه ويعود السبب إلى بعض المشكلات، فإن الفاتيكان له موقف من قضية فلسطين ويرى أن مدينة القدس يجب أن تكون محايدة وليست تحت نفوذ إسرائيل، وهذا هو موقف الأمم المتحدة، وهذا الموقف ليس مقبولاً في الظاهر عند الكنيسة الفرنسية بسبب الجو العام السائد هنا ، لا يجرؤ مسؤولو الكنيسة أن يصرحوا بمثل هذا الموقف ولكن هو ـ أي الأب لولونج ـ يتمنى دائماً لو أن الكنائس المحلية تلتزم بالتعليمات العامة للبابا.

وقال: لو كان المسلمون مسلمين حقاً، والمسيحيون مسيحيين حقاً لحصل بينهم التفاهم، وعدم التفاهم من قبل المسلمين هو أنهم لا يلتزمون تماماً بتعليمات دينهم، وكذلك المسيحيون.

والكنائس لها مشكلات خاصة، فالبابا ـ مثلاً ـ يدعو في أمريكا إلى احترام مبادىء المسيحية، ولكن الأساقفة لا يأخذون كلهم بكلام البابا، فدور البابا هو التذكير بهذه المبادىء.

وسألت الأب لولونج: بعض المستشرقين الذين قابلتهم وكذا وسائل الإعلام في الغرب ينسبون إلى الإسلام ما يفعله بعض المسلمين مما يخالف الإسلام، فما رأيكم في هذا؟.

قال: هذا ليس عدلاً، وأنا معك في هذا الأمر، ليس عدلاً أن نقوّم الإسلام بسلوك سيء لبعض المسلمين، لأنه يوجد مسلمون جيدون أوفياء لدينهم، وأعرف في فرنسا كثيراً من المسلمين الذين يلتزمون بإسلامهم فلا بد أن نقوم الإسلام بعمل هؤلاء الملتزمين، وليس بعمل المنحرفين[1].

---

(١) الإسلام يعرف بمنهجه ونصوصه، حتى ولو خالف بعض المسلمين الملتزمين في بعض الجزئيات.

http://kotob.has.it

وكذلك بالنسبة للمسيحية فلا ينبغي أن نقوم موقف الكنيسة من خلال مواقف بعض المسيحيين، فلا نقول ـ مثلاً ـ: إن الكنيسة وراء الاستعمار، لأن هذا موقف بعض المسيحيين وليس موقف الكنيسة ككل(١).

قلت: ما القاعدة التي تنطلقون منها في بحوثكم وكتاباتكم عن الإسلام، ما الهدف، وما المصادر وما الوسائل؟.

قال: الهدف من الدراسات التي أعددتها عن الإسلام أنا باعتباري أباً مسيحياً جاءتني فرصة لمعرفة المسلمين ومن صلتي بهم تعرفت على الإسلام، ورأيت من المهم الإسهام في التعريف الموضوعي للإسلام لإخواني المسيحيين.

درست العربية والقرآن والسنّة، ثم درست وحضرت الليسانس في اللغة العربية، وقمت بإعداد أطروحة دكتوراه حول التراث الديني في التعليم التونسي، ثم كتبت عشرات من الكتب لتوضيح نقاط الالتقاء والخلاف بين الإسلام والمسيحية، وكتبت عن الصعوبات السياسية التي تحول بين التقاء المسلمين والمسيحيين، وكتبت كتاباً عن القدس، وآخر ما كتبته كتاب تعرضت فيه لنقاط العلاقة بين المسلمين والمسيحيين ومشكلة الشرق الأوسط والصحوة الإسلامية.

وسألت الأب فقلت: ما دمت على اطلاع طيب على القرآن والسنّة والسيرة النبوية فهل وصلت في اطلاعك ذلك أن القرآن هو كلام الله حقاً، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله صدقاً؟.

فأجاب: هذا سؤال مهم وصعب، ولقد حاولت في كتاب مع مجموعة من المسيحيين والمسلمين أن أشرح كيف يكون موقف المسيحي من القرآن ومن محمد ﷺ.

وموقفي الخاص كمسيحي لا أستطيع أن أشاطر المسلمين ـ يعني

---

(١) يحاول الأب بشتى الوسائل أن يقنع المسلمين بسلامة موقف الكنيسة المركزية من الإسلام والمسلمين في الجملة.

http://kotob.has.it

أوافقهم - تماماً في عقيدتهم، ولا أستطيع الاعتقاد بأن القرآن والرسول ﷺ جاءا عوضاً عن الديانة المسيحية، كما هو موقف المسلمين من المسيح - يعني كما أن المسلمين لا يعتقدون أن المسيح إلّه، بل يعتقدون أنه رسول فقط مخالفين في ذلك عقيدة النصارى الذين يعتقدون أنه رسول وإلّه فموقفنا نحن المسيحيين من القرآن ومن الرسول كموقف المسلمين من عقيدتنا، أي لا نوافق أن الإسلام جاء بديلاً للمسيحية - ولكن لا بد من احترام القرآن واحترام الرسول، لا بد أن أفهم ماذا يقول الله لي في القرآن وما يقول الرسول (ﷺ) وأنا أعتقد أن القرآن من الله وأن محمداً مرسل من الله، ولكن الوحي الإلّهي الذي نزل على المسيح كان كاملاً.

(وقد استوضحت من المترجم بعد أن كتبت ما مضى: أرجو أن تلخص لي ماذا فهمت من كلام الأب السابق، **فقال الأخ أحمد جاب الله**: الحقيقة أراد أنه كما يعتقد المسلمون في المسيح أنه رسول فقط، والنصارى يعتقدون أنه رسول وإلّه، والنصارى يسمحون للمسلمين أن يعتقدوا في المسيح خلاف ما يعتقده النصارى فليسمح لنا المسلمون أن نعتقد في القرآن وفي محمد (ﷺ) ما لا يعتقدونه ويقول: إن هذا الموضوع موضوع شائك وصعب وقد عبر عن رأيه في الكتاب الذي ذكره، فقلت للأخ: ولكن فهمت من عبارة الأب أنه يعتقد أن القرآن جاء من عند الله؟ قال: نعم في الأخير يقول: موقفه الشخصي اعتقاده أن القرآن من الله وأن محمداً مبعوث من الله ولكن لا يعتقد أن القرآن جاء ليلغي الديانة المسيحية، ولكن يقول: أنه وهو مسيحي يجب عليه أن يفهم مراد الله عزّ وجلّ من القرآن وما جاء به محمد ﷺ)[1].

قلت: ما الأسلوب المناسب الذي يراه الأب لعرض الإسلام على أهل الغرب؟.

قال: الجواب باختصار: لا بد أن يكون المسلمون مسلمين حقاً.

---

(١) وكان الأب يسمع هذا الكلام وهو يفهم الحديث باللغة العربية.

http://kotob.has.it

قلت: ما الذي ينصح به الأب المسلمين حتى يحافظوا على أبنائهم في أوروبا في جو يخالف جو بلادهم؟.

فأجاب: لا بد من الاستفادة من المسجد، ولا بد من دراسة القرآن ولا بد من التربية الدينية، وهذا واجب المسلمين في هذه البلاد، ثم لا بد أن يتجاوز المسلمون خلافاتهم في فرنسا وأن لا يتصارعوا فيما بينهم، وأن يعيشوا في سلام بينهم وبين غير المسلمين.

وسألته: ما سبب قلة دخول الأوروبيين في الإسلام، بخلاف غيرهم كالأفارقة ـ مثلاً ـ؟.

قال: في إفريقيا كثير من الناس ليس لهم دين كبير ـ قصده سماوي ـ عندهم ديانات تقليدية، ليست كالإسلام والمسيحية، وكما يوجد ناس يدخلون في الإسلام في إفريقيا فكذلك يدخل آخرون في المسيحية، لأنهم يجدون في الإسلام والمسيحية حقائق لا يجدونها في دياناتهم التقليدية.

أما في الغرب أكثر الناس لهم ديانة، وإن كانوا لا يطبقونها ولكن ينتسبون إلى ديانة، فأنا مثلاً مسيحي ولست مسلماً ولا أريد أن أكون مسلماً وأنا مسرور بذلك، فلست في حاجة إلى دين آخر أقبل عليه، وينبغي أن نشتغل كلنا المسلمين والمسيحيين بالملحدين وكل من ليس له دين نساعدهم حتى يجدوا الطريق إلى الله من أي باب.

انتهت المقابلة التي أجريت مع الأب لولونج.

وكانت عندي أسئلة أخرى واستفسارات ومناقشات فيما ذكر ولكن وقته كما ذكر لم يكن يسمح له بالاستمرار، ووعدني بوقت آخر إذا شئت ولكن وقتي لم يكن يسمح لي بالعودة إليه[1].

ولا بد هنا من ذكر بعض الأمور تعليقاً على هذه المقابلة:

---

(١) انظر الصورة رقم [١٥] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

١ ـ أن الأب متحمس كثيراً للتقريب بين المسلمين والمسيحيين إلى حد أنه يرى أن نقاط الوفاق بينهم أكثر من نقاط الخلاف.

٢ ـ أنه يؤكد على إخلاصه لدينه فلا يذكر شيئاً إيجابياً للإسلام إلا وذكر مثله للمسيحية ولا ينفي شيئاً سلبياً عن الإسلام إلا فعل ذلك للمسيحية.

٣ ـ أن النقطة الأساسية ـ وهي العقيدة في المسيح ـ يقر الأب أن الخلاف فيها جوهري لأن المسلمين يعتقدون أنه رسول وبشر والمسيحيين يعتقدون أنه رسول وإله، ومع ذلك فإنه لشدة تحمسه للتقريب بين المسلمين والمسيحيين يجعل هذه النقطة شبه منسية ويقول: إن سبب الخلاف بين المسلمين والمسيحيين سياسي وليس دينياً.

٤ ـ يؤكد الأب أن القرآن جاء من عند الله، وأن محمداً رسول الله ومع ذلك يقول أنه لا يوافق المسلمين أن الإسلام جاء ملغياً للديانة المسيحية ـ المحرفة عند المسلمين ـ والقرآن قد نص أن الإسلام هو الدين الحق الذي لم يبق غيره من الأديان ديناً حقاً، ونص الرسول ﷺ أنه لا يسمع به يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن به إلا دخل النار، فلا أدري كيف يوفق بين إيمانه بالقرآن أنه من عند الله وأن محمداً ﷺ رسول الله وبين اعتقاده أن دين المسيحية غير الصحيح في القرآن دين حق ويقول: إن الوحي الإلهي كان كاملاً عند المسيح، فإن كان يعني عند نزوله قبل تحريفه فلا شك أنه كامل بالنسبة لوقته وإن كان يقصد الآن فالكلام متناقض.

٥ ـ أن الدكتور الأب قام بجهود كبيرة جداً لخدمة هدفه وهو محاولة التقريب بين المسلمين والمسيحيين بالأسلوب الذي يراه، وهذا يدل على أن أهل الأديان الأخرى وإن كانت باطلة عندنا فإنهم وهم يعتقدون أنها دين يبذلون كل طاقاتهم لإقناع الناس بها.

فهل درس المسلمون تلك الكتب ومغزاها وأساليب دعوة التقريب فيها وبينوا لقومهم ذلك؟.

http://kotob.has.it

وهل درسوا ما أراد الأب بقوله: أنه كتب لقومه المسيحيين ليفهمهم كيف يكون موقفهم من القرآن ومن الرسول محمد ﷺ؟.

٦ ـ أن كثيراً من الأسئلة أو فقراتها كان يحاول الأب التهرب من الإجابة الصريحة عنها.

٧ ـ يبدو لي، والله أعلم، أن الرجل يميل إلى الإسلام في قرارة نفسه وأنه لا يريد أن يظهر ذلك للمسيحيين صراحة، وهذه طبيعة من لم يصل إيمانهم ويقينهم إلى التوكل على الله وتقديم رضاه على إرضاء الناس أو الجاه أو المال أو المنصب.

وقد ذكرته للأخ الدكتور عبد الله بن عمر نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامي، فقال: أنا أظن أن هذا الرجل من الذين يكتمون إيمانهم، وعلى كل حال فإن الهداية بيد الله، وقد وجدت مستشرقاً كبير السن في بعض بلدان أوروبا في هذه الرحلة يكتم إيمانه فعلاً وصرح لي بأنه مسلم ولكنه طلب مني عدم التصريح بذلك، وعلل ذلك بأنه أراد أن يخدم الإسلام والمسلمين دون أن يشعر أعداء الإسلام بأنه مسلم، وقد أثنى عليه المسلمون هناك فعلاً.

* * *

http://kotob.has.it

وأختم هذا الكتاب بمقابلة المستشرق البرتغالي:

(١٩)

ماريانو (TOAO MARIANO DA FONSECA)[1]

ولد ماريانو في بغداد في ٢٩ مارس سنة ١٩٢٢ أي إن عمره بلغ ستاً وستين سنة، وهو لا زال نشيطاً.

وهو برتغالي مسيحي كاثوليكي.

تخصصه: مهندس كهربائي ميكانيكي.

الوظائف التي تقلدها:

عمل في شركة سيارات فورد في العراق.

وعمل في الجيش البريطاني في الحرب العالمية الثانية في فلسطين والعراق وإيران والشرق الأوسط بصفة عامة.

وعمل في شركة بريطانية تسمى شركة: فيحاء للتجارة والمقاولات في العراق والكويت ١٩٥٢ ـ ١٩٥٤، ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩.

وعمل في السفارة الأمريكية في مدينة لشبونة من سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨.

وعمل قنصلاً في بغداد والخليج للبرتغال ومندوباً تجارياً من سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣.

---

(١) في قرية صغيرة وهي مرتولة (MARTOLA) بتنا فيها في فندق صغير يسمى سانرامو (SANRAMO)، وقد رافقني هو والإمام محمد البقالي المغربي إمام الجامع في لشبونة لزيارة المدن البرتغالية الجنوبية ذات الآثار الإسلامية، في ١٤٠٩/١/٦ هـ.

http://kotob.has.it

وكان مستشاراً لشركة النفط البرازيلية: فيتزوبراس في العراق والخليج، وكانت أول اتفاقية مع العراق لمدة ٢٥ سنة وكان مع الشركة في مفاوضات مع السعودية لمدة شهر سنة ١٩٧٣ ونزل في فندق اليمامة.

وقد منحه رئيس جمهورية البرازيل وسام ريوبرانكو.

وعمل في البرتغال رئيساً لفرع تنمية التجارة مع الدول العربية في غرفة التجارة والصناعة في مدينة لشبونة.

وقد بعثته وزارة الخارجية البرتغالية سنة ١٩٨٥ إلى العراق لتنظيم الاتفاق الاقتصادي مع الحكومة العراقية، واستغرقت مدته ثلاثة شهور.

ثم رجع إلى البرتغال وترك العمل في وزارة الخارجية وعمل مراسلاً للحكومة العراقية بوساطة سفارتها في باريس.

وعندما فتحت سفارة العراق في لشبونة ساعد في إكمال إجراءاتها وفتح جمعية الصداقة البرتغالية العراقية.

وأصدر مجلة برتغال برس كوب لتقوية العلاقة مع الدول العربية.

وفي سنة ١٩٨٤ دعته سفارة المملكة العربية في مدريد لزيارة المملكة عن طريق وزارة الإعلام السعودية للتعريف بالاقتصاد السعودي وفتحت البرتغال سفارة في المملكة، وقابل وزير الإعلام ووزير الصناعة في المملكة وزار عدة مناطق فيها. .

ودعاه الشيخ فهد من الكويت، وهو المشرف على النشاط الرياضي.

وآخر عمل له هو إنشاء معهد الدراسات العربية، بالاشتراك مع غيره، في منطقة جنوب البرتغال، تسمى الغرب (ALGARVE)، وهي تسمية عربية، والظاهر أن سبب تسميتها بالغرب كونها تقع غرب الأندلس في إسبانيا، وكذلك قام بتأسيس المؤسسة البرتغالية للتراث الإسلامي.

وكتب محاضرات بعنوان: «انطباعات عن الهندسة المعمارية الإسلامية»، ألقاها في مسجد لشبونة (الجامع الكبير).

http://kotob.has.it

وكان تأسيس هذه المؤسسة في سنة ١٩٨٧، والهدف منها إنعاش وإحياء الثقافة والفن العربي الإسلامي في البرتغال، وهو- أي ماريانو- رئيس هذه المؤسسة وسيكون من مهامها المحافظة على الآثار الإسلامية وإصلاحها وإحياء التاريخ والحضارة الإسلامية واللغة العربية وإنشاء مكتبة تهتم بذلك.

وعدد المؤسسين معه أربعة عشر شخصاً من البرتغاليين.

وسألته: متى تعلم اللغة العربية؟.

فقال: تعلمها في بغداد في الخمسينات والسبب حبه لها لأنه ولد هناك وأبوه كان يعمل هناك ثم اهتم بعد ذلك بالفن العربي والحضارة الإسلامية.

وقد درس بعض الأمور المتعلقة بذلك في المتحف البريطاني ثلاثة شهور، وكذلك زار المتحف العراقي ومتاحف تركيا ومصر والسعودية (في الرياض).

قلت له: متى سمعت عن الإسلام؟.

فقال: أنه سمع عنه وهو صغير جداً لاختلاطه بأصدقائه في العراق، وبدأ يهتم بدراسة الإسلام وعمره ثنتا عشرة سنة والسبب في ذلك أن هوايته كانت تتعلق بدراسة النقود القديمة، وذلك جعله يدرس الكتب التاريخية ولم يدرس مقارنة الأديان.

وصلة المسلمين بالبرتغال قديمة من وقت وجودهم فيها وفي الأندلس سنة ٧٠٠ م.

وكانت صلة البرتغال بالعالم الإسلامي بعد اكتشافاتها البحرية في الهند وعمان والخليج. وآثار المسلمين في البرتغال قديمة. ولكن لم يكن للعرب بعد خروجهم ذكر إلا بعد الحرب العالمية الثانية. وهنا أبدى ماريانو أسفه لعدم تقوية العرب علاقاتهم بالبرتغال التي لا زالت آثارهم فيها شاخصة: الأسماء العربية في المدن والشوارع والأشخاص.

وأصول سكان البرتغال: في الشمال الغال وسلتيك، وفي الوسط والجنوب

http://kotob.has.it

اللوزيتانيين (منهم الرومان والفينيق والمغاربة، وصلة سكان شمال إفريقيا بالمنطقة أقدم من صلة الفينيقيين والرومان والعرب) ونظامها الآن جمهوري وسكانها أحد عشر مليوناً.

وأهم صادرات البرتغال النسيج القطني والأحذية والفلين والأسماك والرخام والفسيفساء.

وكذلك تصنع السفن وتصدرها، والآلات الكهربائية الخفيفة والقطارات والسيارات (تجمع وتصدر) والسلاح الخفيف.

قلت له: كم عدد المسلمين غير البرتغاليين؟.

قال: لا توجد إحصائية دقيقة ولكنهم لا يزيدون عن تسعة آلاف (المسلمون يقدرون العدد بخمسة عشر ألفاً). وعدد المسلمين البرتغاليين لا يزيد عن خمسة عشر شخصاً. والمسلمون البرتغاليون يوافقونه في هذا التقدير ويزيدون عليه واحداً فقط، وليس تقديراً وإنما عداً.

قلت له: ما سبب قلة دخول البرتغاليين في الإسلام، بخلاف بقية دول أوروبا الغربية؟.

فقال: عدم فهمهم للإسلام وأنكر أن تكون الكنيسة تقوم بتشويه الإسلام! وكذلك أجهزة الإعلام في البرتغال.

وقال: إن مخالفة المسلمين لمنهج الإسلام من أهم أسباب ابتعاد غيرهم عن الإسلام.

واعترف بأن تصرفات كثير من المسلمين السيئة يخالف منهج الإسلام.

وسألته: هل توجد كتب مترجمة عن الإسلام؟.

فقال: يوجد كتاب بعنوان «الإسلام» ألفه رجل في جامعة لشبونة ولا يوجد غيره، وهو يشوه الإسلام تشويهاً سيئاً جداً.

(وكان الأستاذ البقالي المغربي إمام جامع لشبونة موجوداً فعقب قائلاً:

http://kotob.has.it

طبعت في البرازيل كتب إسلامية قام بطبعها بعض الجمعيات الإسلامية، وهي جيدة).

قلت له: ماذا ترى عن مستقبل الإسلام في العالم؟.

فقال: الناس في الغـرب يلتمسون مخرجاً من التفكك العائلي ويرغبون في أن يعودوا إلى نظام الأسرة وارتباطها ويمكن أن يأتي وقت يعود فيه الناس إلى الإسلام ولكن ليس بالقوة وإنما بالثقافة، ويرى أن حلول مشكلات كثيرة في الغرب موجودة في القرآن.

قلت له: ما موقف المستشرقين من الإسلام قديماً وحديثاً؟.

فقال: المستشرق العالِم لا يطعن في الإسلام وإنما الذي يطعن فيه المتعصبون من المبشرين...

قلت له: ما الأسس التي يجب أن يلتزم بها الباحث المستشرق؟.

قال: الأمانة وعدم التحيز، والاطلاع على المراجع الأصلية وفهم اللغة العربية.

قلت له: ما الموضوعات الإسلامية التي ترى الأوروبيين في حاجة إلى معرفتها؟.

قال: هم في حاجة إلى تفسير القرآن بلغاتهم وفيه كثير من الموضوعات التي يمكن أن يستفيدوا منها.

وينفر الأوربيون من تحريم شرب الخمر.

قلت له: ما نقاط الضعف التي تراها عند المسلمين؟.

فقال: الاختلافات، ولو قرأوا القرآن وطبقوه لما اختلفوا هذه الاختلافات الشديدة.

قلت له: ما الإمكانات المتاحة لنشر الإسلام في أوروبا؟.

قال: يمكن فتح مدارس ابتدائية.

http://kotob.has.it

ثم قال: إن المؤسسة ـ وهي التي يرأسها ـ تحتاج إلى كتب التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية باللغة العربية والبرتغالية والإنجليزية.

وبعد أن أجريت مع ماريانو هذه المقابلة **قلت له:** إن المسلمين تخلوا ـ في الغالب ـ عن واجبهم في الدعوة إلى الله، وأنا وقد التقيت بك وتعرفت عليك وعرفت أنك قمت برحلة طويلة في التعرف على الإسلام عن طريق هوايتك في معرفة حضارة الإسلام وأنت تجيد اللغةالعربية قراءة وكتابة وحديثاً أسألك سؤالاً قد لا تتوقعه وهو: أما فكرت في الدخول في الإسلام؟.

فقال: هو مسيحي ويحترم الإسلام ولكنه لم يحاول ذلك.

قلت له: إن واجبي أن أنصحك وقد رافقتني مرافقة لم تحصل لغيرك حيث سافرنا يومين في سيارة واحدة وننام في فندق واحد ونتحدث عن الإسلام كثيراً، والمسلم يجب عليه أن يحب للناس ما يحبه لنفسه من الخير، وأن هذا الدين هو الدين الحق الذي لم يبق دين محفوظ النصوص والأصول والأحكام والمعاملات والأخلاق مثله.

ولا يسمع بهذا الدين يهودي ولا نصراني إلا ودخل النار إذا لم يؤمن به وأنت عمرك الآن ست وستون سنة ولا تدري ماذا بقي لك من هذا العمر ومستقبلك بدون إسلام مستقبل مظلم عندك وواضح عندنا نحن المسلمين، لذلك يجب عليك أن تفكر في إنقاذ نفسك من النار وقد قامت عليك الحجة بفهمك للإسلام.

وكان ماريانو مصغياً وأبدى شيئاً من العاطفة وشكرني على هذه النصيحة وتفرقنا لننام، وأسأل الله له الهداية، وقد بعثت له ببعض الكتب الإسلامية وبخاصة تفسير القرآن الكريم الذي أبدى رغبته فيه للاطلاع عليه.

هذا، وعندما عدنا إلى مدينة برشلونة ألحّ عليّ أن أزوره في منزله لتناول طعام الغداء مع إمام المسجد الشيخ البقالي وقال لي: لا تخف سنقدم لك الطعام الحلال الذي رأيتك تحرص عليه في السفر والذي لا شبهة عندك فيه وهو

http://kotob.has.it

السمك والخضار فلبيت رغبته. وهو متزوج امرأة هندية غير مسلمة وتناولنا عنده طعام الغداء، وعنده غرفة مليئة بالتحف الأثرية الإسلامية القديمة جداً من السجاد والسيوف والمواعين، وقال: إن عنده تحفاً من النقود الإسلامية من الدنانير والدراهم وغيرها وقد أودعها في البنك خوفاً عليها من السرقة والنهب لأنها غالية الثمن، وقد ألف كتاباً ضمنه صور تلك التحف.

وقد أعطاني رقم هاتفه من أول يوم تعارفنا فيه وقال لي: أي مشكلة تحدث لك من حيث اللغة أو غيرها اتصل بي أنا سأكون رهن إشارتك وكان وفقه الله يأتيني من منزله إلى الفندق ويساعدني أكثر من المسلمين الموجودين في لشبونة لأن عنده من الوقت ما ليس عندهم[1].

* * *

(١) انظر الصورة رقم [١٦] في آخر الكتاب.

http://kotob.has.it

الفهرس

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

قسم الصور

http://kotob.has.it

[١] زعيم الهندوكيِّين (الثاني من اليمين) مبدياً سروره بما سمع وتواضعَه.
سنجاراجا ـ أندونيسا: ١٦/ ٩/ ١٤٠٠ هـ.

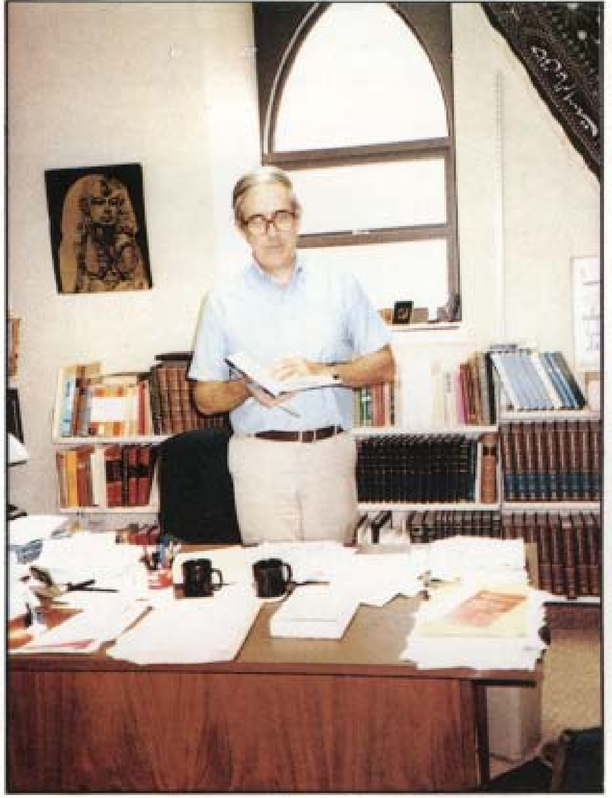

[٢] المستشرق الكندي «لتيل»، رئيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة مقيل.
مونتريال ـ كندا: ٢٠/١٠/ ١٤٠٥ هـ.

http://kotob.has.it

[٣] «لي تشوان تيان غسان»، مسؤول القسم العربي في إذاعة تايوان (الرابع من اليمين)، وعن يساره الدكتور إبراهيم إدريس جاو، قنصل الصين في المملكة العربية السعودية، ويبدو في أقصى اليسار الملحق التعليمي السعودي عبد الله البخيت. تايوان: ١٤٠٦/١٠/٣٠هـ.

[٤] الدكتور جون تيلر (الأول من اليمين) مستشرق متخصص في دراسة اللغات اللاتينية واليونانية. جنيف ـ سويسرا: ٤/ ١١/ ١٤٠٧ هـ.

http://kotob.has.it

[٥] الأستاذ المؤلف مع رئيس قسم الشؤون الخارجية لجريدة جورنال دي جنيف العالمية: «أنطوان موريس».
جنيف ـ سويسرا:
٥/ ١١/ ١٤٠٧ هـ.

[٦] «قلوتز ـ سنقر» (الثاني من اليمين) وبدا عن يمينه تباعاً: الأستاذ المؤلف، وزميل قلوتز «جان بيار»، ويحيىٰ باسلامة، واللواء كمال سراج الدين. جنيف سويسرا.

http://kotob.has.it

[٧] «وولف غانغ غروبر» الشاب الألماني المدعوّ إلى الإسلام أثناء نقله في سيارتنا من منطقة قارمش إلى ميونيخ.
ميونخ ـ ألمانيا: ١١/١١/١٤٠٧هـ.

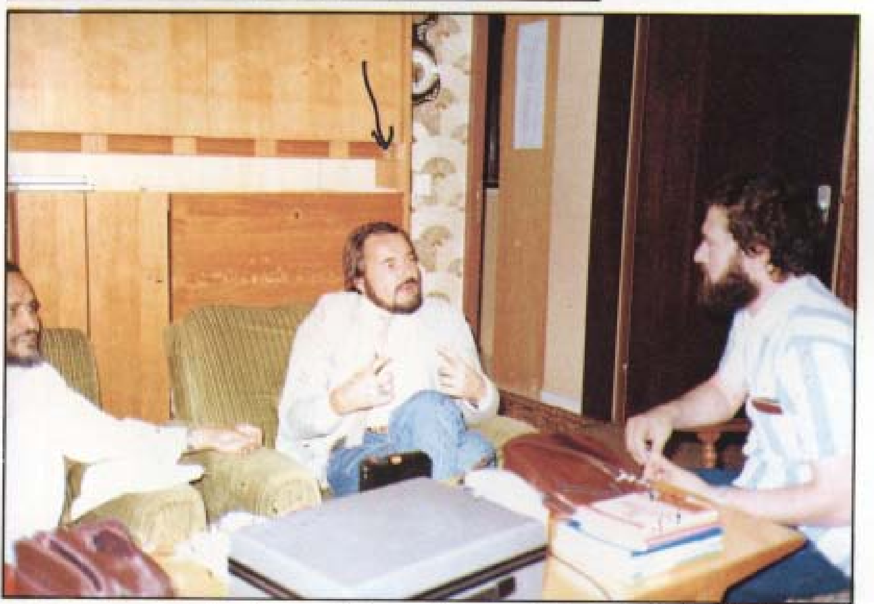

[٨] المستشرق الألماني الدكتور «كارل بين سوانجر» (الثاني من اليمين).
ميونخ ـ ألمانيا: ١٣/ ١١/ ١٤٠٧ هـ.

http://kotob.has.it

[٩] «توماس كوبيك» مستغرق في تفكره، وهو أمريكي ألماني غير مسلم، أجريت معه مقابلة وشُرح له الإسلام ودُعي إليه.
برلين الغربية ـ ألمانيا: ١٨/ ١١/ ١٤٠٧ هـ.

[١٠] المستشرق الهولندي الدكتور بيتر. جامعة ليدن ـ كلية اللاهوت.
ليدن ـ هولندا: ٩/ ١٢/ ١٤٠٧ هـ.

http://kotob.has.it

[١١] المستشرق السويدي كنث رتزن في مقر الرابطة الإسلامية.
ستوكهولم ـ السويد: ٢١/ ١٢/ ١٤٠٧ هـ.

[١٢] المستشرق النرويجي الدكتور آينربرغ في مقر عمله في جامعة أسلو، حاملا كتاب «أصول الإيمان» للشيخ محمد بن عبد الوهاب.
برج ـ النرويج: ١٤٠٧/١٢/٣٠ هـ.

http://kotob.has.it

[١٣] المستشرق البريطاني الشهير وليم مونتجمري واط.
أدنبرا ـ بريطانيا: ١٤/ ١/ ١٤٠٨ هـ.

[١٤] مع المستشرق إيان هاورد في جامعة أدنبرا: ١٥/ ١/ ١٤٠٨ هـ.

http://kotob.has.it

[١٥] الأب الدكتور ميشيل لولونج.
باريس ـ فرنسا: ٢٤/ ١/ ١٤٠٨ هـ.

[١٦] ماريانو في منزله، يشرح للشيخ محمد البقالي (عن يمين الصورة) صور النقود والتحف التي يملكها في الكتاب الذي ألفه. مارتولا ـ البرتغال: ٦/١/١٤٠٩ هـ.

http://kotob.has.it